فهرست الجزء الاول من كتاب قناطر الخيرات

بيان

الاصل

البحث

فصل

تمت

الفهرست

الجزء الاول من كتاب
قناطر الخيرات تأليف الامام
شيخ الاسلام العالم
العلامه الشيخ اسماعيل
ابن موسى الجيطالي
النفوسي رحمه
الله ونفعنا
به
امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالالوهية والكبرياء المنفرد بالديمومية والبقاء المتقدس عن نقائص العاهات تعالى عن العيوب والآفات خلق كل شئ فقدره واخترع الانسان وصوره خضع كل شئ لهيبته وتواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته واستسلم كل شئ لجبروته لم يزل عالما بجميع المحدثات على ما هي عليه من الصفات من تفاصيل اجناسها ومجارى انفاسها قبل وجود اعيانها وجريان ازمانها شاءها الحكيم فى ازليته فظهرت على وفق مشيئته ليس له شريك فى انشائها ولا ظهير فى ايجادها انشاءها لا من شئ معه موجود واتقنها على غير مثال معهود اخترعها دلالة على قدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته وما خلق الجن والانس الا لعبادته عالم فى الازل بما هم عاملون وبآجالهم التى اليها ينتهون وبارزاقهم التى هم لها آكلون فهم لما علم منهم منقادون وعلى ما سطر فى كتابه المكنون ماضون فجميع ما وجد

بعد العدم من جميع الاشياء والامم فقد سبق به من الله القضا
وجف به القلم فالاجال محدوده والانفاس معدوده والارزاق
مقسومه والاعمال محتومه والاثار محسوبة في اللوح مكتوبه
لا يستاخر شئ عن اجله ولا يسبقه قبل حلول محله ولا يفوت احدا
رزقه المقسوم ولا يتعدى ما قدر له من امره المحتوم فقد سبقت
كلمته الحسنى لعباده المرسلين واوليائه المخلصين كما حق القول منه
لاعدائه الغاوين كل ميسر لما خلق له ولا يتجاوز ما وقت له يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
احمده حمد من اخلص له الانابه وادعوه دعاء مؤمل منه الاجابه
واشهد ان لا اله الا الله الملك المحمود الذي ليس بوالد ولا مولود
واشهد ان محمدا عبده المرتضى ورسوله المصطفى ارسله الى
الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ
رسالة ربه ناصحا لامته حتى اتاه من ربه اليقين بعد كمال الدين
صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الاخيار واصحابه المهاجرين
والانصار والتابعين لهم باحسان الى يوم تشخص فيه الابصار
(امابعد) فقد انكشف لارباب القلوب بحقائق
الايمان واوضح محكمات القرآن ان لا وصول للعبد الى السعادة
الابديه الا بالعلم وامتثال العبادة الدينيه وهما بضاعة الاوليا
ومنهاج الاقويا وهما دين الله القويم وصراطه المستقيم لاجله
خلق الموت والحياة وبسببه تنال عنده النجاه ولكنه طريق
صعبة المسالك مخيفة المهالك كثيرة العوايق والموانع غزيرة
الاعداء والقواطع بعيدة المسافات كثيرة الآفات ذات شعاب
واوديه وعقبات واهويه محفوفة باللصوص والقطاع مشحونة

بالافاعي والسباع تنبعث فيها الشياطين الموسوسة والعقبات
المختلسة قد تشبكت بالاشراك الخاتلة ومزجت بالسموم القاتلة
وهكذا يجب ان تكون لانها طريق الجنة ذات الحور والجوهر المكنون
تصديقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات ومع ذلك ان الله سبحانه خلق الانسان
ضعيفا فحمله ثقل الامانة تكليفا واوجب عليه اتقان حمل تلك
الامانة بالعلم والعمل والتشمير في اداء حقها بالجد لا بالكسل فعمر
الانسان قصير والناقد لاعماله بصير والجهل مع اتباع الهوى
عليه غالب والآفات محدقة به من كل جانب والاجل قريب غير
مديد والسفر بعيد صعب شديد والطاعة هي الزاد فلا بد منها والدنيا
منصرمة فلا مرد لها فمن ظفر بالزاد منها سهل عليه على الصراط الجواز
ومن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ومن حرم من الطاعة نصيبه
طال عليه في سفره النصب والتعب ودام عليه في النار الوصب
واللهب فلهذا الخطب الفظيع والهول الشنيع قل السالكون للطريق
بالجد والتحقيق ومنهم من بذل في بدء امره من النفس بعض المجهود فطال
عليه التعب فانقطع ولم يصل الى المقصود الا الاصفياء المخلصين الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قلت
فلما كان الطريق على ما وصفنا من المشقة والمخافة وكثرة العوايق
وبعد المسافة من الآفات المانعة والمفازات الشاسعة والشعاب
والاودية والعقبات المؤذية رأينا ان نرتب عليها قناطر لكي يمكن
للسالكين عليها العبور حتى تفضي بهم ان شاء الله تعالى الى درجات
السرور وذلك ان الله سبحانه نقل بني آدم من اصلاب الرجال الى بطون
الامهات فخلقهم فيها خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث فاخرجهم

الى

الى الدنيا جهالا فاحياهم بالعقول بلغا ورجالا فامتازوا بالعقول
عن البهائم فصاروا من جملة العقلاء وهم الملائكة الفضلاء فالزمهم
عند كمال العقول طريقة التكليف وتقدم اليهم على السنة رسله
بالانذار والتخويف وجعل لهم الارض ذلولا وفراشا ونباتها معاشا
لا ليستقروا فيها بل ليتخذوها منزلا ويتزودوا منها زادا وعملا متحرزين
من مصايدها ومعاطبها ويتحققوا ان الاعمار تسير بهم سير السفن
بركابها فهم فى الدنيا سفار وباعمالهم تجار فاول منازلهم المهد وآخرها
اللحد والوطن الجنة او النار والعمر مسافة السفر والسنون مراحله والشهور
قطاع طريقه والايام امياله والانفاس خطواته والطاعة بضاعته
والاوقات رؤس امواله والشهوات قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله
فى دار النعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى فى دركات الجحيم
والعذاب الاليم واذ ما دون الجنة من قناطر جهنم والفزع الاكبر
الى القبر الذى فيه هول المطلع مفازة محفوفة بالاهوال الفظيعة
والافزاع الهايلة الشنيعة من صحف تنشر ونار تزفر واعمال توزن
فترجح او تخف وقلوب تفزع وترجف وعقارب فى القبر تلدغ
وحيات تلسع وملائكة تخبر وجوارح تنشر فتحقق بهذا الترتيب
العجيب ان البطون للخلق مغارات والدنيا لهم مفازات ومابعد الموت
الى الفراغ من الحساب اخطار مهولات ثم ان الله سبحانه شرع ملة
الاسلام طريقة سهلة حنيفية سمحة ورتب فيها فرائض من التوحيد
والصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك فكانها قناطر مقنطرة
وحرم فيها أشيأ من الشرك والظلم والفواحش والربا والقذف وغير
ذلك مما يطول ذكره فكأنها للعبد صواعق مهلكة وامر عباده بقمع
الشهوات ودفع العلائق الشاغلة عن طاعته من اصناف الخلق والهوى

والنفس والدنيا فكأنها عقبات واودية وشعاب متلفة عائقة
للعبد عن سلوك الطريق الى الله تعالى قاطعة له عن المسير وامرهم
بالاستعاذة به تعالى من الشياطين الموسوسة من الجن والانس
فكأنها لصوص مسترقة وعقبان مختلسة واوجب عليهم تطهير
القلوب من مغارس الفواحش والذنوب من الشك والشرك وسخط
المقدور والغل والحسد والكبر والريا والغضب والعداوة والبغضاء
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء
والاستهانة بالفقراء والمكر والخداع والغش وسوء الظن
والخيانة والفخر والخيلاء والتنافس والمهابات والاستكبار عن
الخلق والانفة عن قبول الحق والعصبية والمداهنة والعجب وحب
الرياسة والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن
من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها
اذلال وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة
السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطوا والاتكال على الطاعة
وطول الامل والقساوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على
فراقها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا والطيش
والعجلة وقلة الرحمة والاصرار على المعصية الى غير ذلك فهذه
وامثالها كأنها سموم قاتلة واشراك لابليس خاتلة وامر بحفظ
اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والهمز والغمز واللمز والطعن
في الدين واللعن لمن لا يستحق والشتم والازرا والقذف وبهتان
البري والحكم بغير ما انزل الله وقول الزور والنطق بالفحشا والتغني
والنياحة والخوض فيما لا يعني واشباه ذلك مما كان للاعمال
نيران مشتعلة ونبه عن التيقظ واخذ الحذر من مكايد

البنفس وغرور الشيطان وتزكية النفس والرضا عنها الى غير
ذلك مما كانها حبايل غائلة للانسان وامر بغض البصر عن الحرام
وحفظ الفروج عن الزنا وصيانة النفس عن جميع ما لا يجوز التكلم به
وحفظ البطن عن جميع ما لا يحل اكله ولا شربه الى غير ذلك من المناهى
وامر بعمارة القلب واللسان بذكره عز وجل والصبر والشكر والخوف
والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة ومعرفة منته تعالى فى جميع
الاحوال والاحسان وحسن الظن واليقين والمعرفة وحسن المعاشرة
والصدق والاخلاص والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول
بالحق واشباه ذلك من جميع اضداد الآفات المتقدمة وذكر الله
تعالى فرائض الاسلام فقال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة واتى
الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء
وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ثم ذكر
المحارم فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم
من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده
واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فاوجب على العبد امتثال اوامره الاول فالاول واجتناب محارمه

والسؤال عنها حتى تعرف وتجتنب ولا تمتثل وحرضهم على كف
الالسنة وتطهير الافئدة لكي تصح الاعمال ولا تبطل فقال تعالى اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم الآية وقال ولا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وقال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
وقال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم الآية وقال ان الله يامر
بالعدل والاحسان الآية وقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال
لنبيه عليه الصلاة والسلام قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما
بطن الى قوله ما لا تعلمون فلما كان الامر على ما وصفنا كان ينبغي لنا
ان نرتب على طريق الاسلام قناطر كما قدمنا ليسلك المسترشدون
عليها ونهيئ لهم سلاحا من العلم ليقاتلوا بها وندلهم على عقاقير من
الصبر ونظام النفس والحلم والقناعة الى غير ذلك حتى يتجرعوا
مرارة الدنيا بالزهد فيها ونوقظ قلوبهم بهيجان الخوف والحذر
والاشفاق حتى يتمكنوا من الهروب من النار وزقومها ونزعجهم بازعاج
الرجاء والشوق الى الجنة ونعيمها الى غير ذلك مما يطول به الكتاب
ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل الجسيم شمر الموفقون عن
ساق الجد والاجتهاد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا
بقايا الاعمار قبل ان يزعجوا عن هذه الدار جعلنا الله واياكم من
الموفقين لعلم دينه العالمين به انه ارحم الراحمين *

(فصل في ترتيب قناطر الاسلام) اعلم انه سبحانه
خلق ابن آدم اطوارا في الارحام ونفخ فيه الروح والشم فمكث هناك
مدة ليس له علم بشيء من الامور الا الحس به يستلذ وبه يتألم
فلما خرج من بطن امه وجرت الحركة في مفاصله ابصر وذاق وشم
وسمع وذلك قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم

لا تعلمون شيئا فقرن الله تعالى به الملك صاحب اليمين فيرشده
ويسدده ويقويه ويؤيده فعند تمام سبع سنين قرن به الملك
صاحب الشمال يلهمه ويلقنه ويعلمه ويلبسه الختام تمام اربعة عشر
سنة فلما ظهر على الكلام استقبلته القياسات الخيالية واختلطت
له بالعقلية فاذا نظر الى السماء توهمها بساطا اخضر نثرت عليه
دنانير صفر فلما قويت نفسه وبلغ حسه ذهب الخيال هباء
منثورا وبقي العقل اميرا مامورا وهو معنى قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير فتعين حينئذ عليه التكليف ووجب عليه
معرفة خالقه الرحيم اللطيف نظر بعقله الذي هو من حجج الله تعالى
على المكلفين مع سائر حججه من الانبياء والمرسلين واصناف الخلق
اجمعين فتامل فاذا الدنيا بين يديه كانها مفازة مظلمة وبالجهالة
مدلهمة فاذا فيها اصناف الحيوانات المؤذية قد استقبلته فقال لا يصح
لي سلوك هذه المفازة الظلماء الا بمصباح نور يكون لي دليلا لاعرف
ما آتي وما اتقي فتستقبله هاهنا قنطرة العلم بخالقه وهي القنطرة
الاولى ولن يصل الى ذلك الا بتنبيه مخبر او الهام ملهم يبعث
عقله على التفكر والبحث والنظر فيتفكر في الدليل من خلق السموات
والارض وما فيهما وما بينهما من خفض ورفع وجوهر وعرض
ويتفكر في اختلاف الليل والنهار وما يجري به الدهر من الاكوان
والاحداث من الخير والشر والنفع والضر والشدة والرخاء وغير
ذلك ويستدل بالصنعة على الصانع فيعلم يقينا ان الصنعة
لابد لها من صانع وان الخلق لابد له من خالق ثم يمعن النظر في
خلقة نفسه وتسوية جوارحه وما افاض عليه الرب سبحانه من
اصناف النعم من الحياة والعقل والفهم والسمع والبصر والشم وغير

ذلك مما لا يحصى كثرة من المعاني الشريفة واللذات العجيبة
وما صرف عنه من اصناف المضار والآفات فاذا امعن النظر
بعين البصيرة لا عين البصر علم ان لهذه الصنعة صانعا ولهذه
النعمة منعما حيا رازقا عالما باسراره وما يختلج في افكاره
قد وعد على شكر النعمة ثوابا وعلى كفرانها عقابا وانه ان غفل
عن شكره وخدمته ازال عنه تلك النعمة واذاقه الباس والنقمة
عاجلا وآجلا فيهاج حينئذ لا محالة في قلبه خاطر الفزع
الذي ينبهه عليه في عقله وتلزمه الحجة وينقطع له العذر
من اجله مع سائر الحجج من كتاب الله ورسوله فعند ذلك
تستقبله القنطرة الثانية وهي قنطرة الايمان بهذا الصانع
الخالق المنعم الرازق انه خالقه ورازقه طلبه فوجده وعرفه
بعد ما جهله فيؤمن به ايمانا يقينا بالقلب واللسان ويدوم
على ذلك الى الممات ويوحده توحيدا خالصا يرى به الامور
كلها من الخير والشر والنفع والضر رؤية يقطع بها التفاته
الى الوسايط والاسباب وهذا التوحيد والايمان والعلم
هي العصا التي يضرب بها سيد السباع التي استقبلته
حين اشرف على مفازة الدنيا المظلمة بالجهل فيقتله فتفرقه
عنه سائر الدواب المؤذية التي هي ما دون الشرك من الذنوب
تحقيقا لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف فلما عرف العبد سيده ووحده وآمن به وعلمه
بعد ما جهله تيقن انه قد اوجب عليه خدمته وكلفه
شكر نعمته ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من
خدمته بظاهره وباطنه بعد حصول هذه المعرفة به

استقبلته

استقبلته القنطرة الثالثة وهى قنطرة الصلاة معقدم فرضها على الصيام فى نزول الوحى اول الاسلام لا فى حالة التكليف والالزام لان العبد مامور بجميع الفرائض منهى عن جميع المعاصى فى حالة البلوغ فوجب عليه عند دخول وقتها الاتيان بجميع وظايفها علما وعملا لانه لما عرف سيده وجب عليه ان يخضع له ويخشع ويذعن له بجميع العبودية فلا عبادة تجمع الخضوع والخشوع والابتهال الى الله سبحانه والتضرع اليه مثلها فيجب على العبد الوقوف بين يدى سيده للخدمة بالطهارة الكاملة والخشوع التام فبذلك يحظا عنده ويرضى عنه فاذا واظب على الصلاة اورثه ذلك لين الفؤاد وتمرين الجسد وتذلل النفس اجلالا لخالقها وانذلالا لرازقها فاذا اتى بالصلاة راغبا راهبا استقبلته القنطرة الرابعة وهى قنطرة الصوم عند حلول شهره ووجوب فرضه مقدما فرضه فى النزول على الزكاة ايضا لان النفوس على الاموال اشح وفيما يتعلق بالابدان اسمح وذلك الصلاة والصيام لان فى ايجاب فرض الصيام حثا على رحمة الفقراء واطعامهم وسد جوعاتهم بما قد عاناه العبد وقاساه من شدة المجاعة ولان الصوم يقهر النفس ويكسر شهوتها المستولية عليها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء فوجب على العبد احكام الصوم بجميع شروطه وكف جوارحه عن المحرم عليه ظاهرا وباطنا لان المقصود من الصوم عند اهل التحقيق التخلق بخلق من اخلاق الملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان لانهم منزهون

عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم بقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلا بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط في اسفل سافلين والتحق باغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلا عليين والتحق بافق الملائكة المقربين الى الله تعالى قرب صفات لا قرب مكان والذى يتشبه باخلاقهم يقرب من الله بقربهم فهذه حقيقة الصوم عند اهل التحقيق فاذا اتى العبد بفريضة الصوم على الكمال استقبلته القنطرة الخامسة وهى قنطرة الزكاة كما ورد فى الخبر الزكاة قنطرة الاسلام قدم الله تعالى فرضها على فرض الحج لان فى الحج مع انفاق المال سفرا شاقا فكانت النفس الى الزكاة اسرع اجابة منها الى الحج فكان فى ايجابها مواساة للفقراء ومعونة لذوى الحاجة تكفهم عن البغضاء والتقاطع وتبعثهم على التوادد والتواصل مع ما فى ادائها من تمرين النفس على السماحة ومجانبة الشح المذموم لان السماحة تبعث على اداء الحقوق والشح يصد عنها لان الله تعالى امتحن عباده حين ادعوا محبته ان ينفقوا من اموالهم المحبوبة عندهم فيكون ذلك تصديقا لدعواهم ولذلك قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاشترطهم عن المال الذى هو معشوقهم وعن النفس التى هى غاية محبوبهم فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة النفس بالمهجة شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون فاذا اخرج العبد من ماله فريضة الزكاة بكمال حقوقها الى المستحقين لها استقبلته القنطرة السادسة وهى قنطرة

الحج اخرالله سبحانه فرضه على العباد لانه يجمع عملا على بدن وحقا في المال جعل فرضه بعد استقرار فرائض الابدان وفرائض الاموال ليكون استئناسهم بكل واحد من النوعين ذريعة الى تسهيل الجهاد عليهم لانه يجمع النفس والمال كالحج وكان في ايجاب الحج تذكيرا لسفر الآخرة في مفارقة المال والاهل وخضوع العزيز والذليل في الوقوف بالمحشر بين يديه واجتماع المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبة اليه واقلاع اهل المعاصي عما اجترحوه وندم المذنبين على ما قدموه لانه قل من حج الا واحدث توبة من ذنب واقلاعا من معصية فاذا ادى العبد فريضة الحج على الكمال خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فهذه الخمس قناطر قواعد الاسلام كما صح في الخبر بني الاسلام على خمس الحديث وهي اصل العبادة والاتيان بهن على الكمال علامة السعادة فلسنا نتعرض هاهنا الذكر قنطرة الجهاد لانه من فروض الكفاية داخل في فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر درجاته الثلاث وهذه الفرائض الخمس اصلها واساسها الذي تبنى عليه هو التوحيد والايمان والاخلاص لانه لا تصح العبادة الا بالايمان ولا يصحان الا بالعلم ولا يصح العلم الا بالطلب ولا يصح الطلب الا بالارادة ولا تصح الارادة الا بباعث يبعث عليها والباعث هو الرغبة في ثواب الله والرهبة من عذابه ولا يصح ذلك الا بالوعد والوعيد ولا يصحان الا بالشرع ولا يصح الشرع الا بصدق الرسول عليه السلام وصدق الرسول يصح بالمعجزة لان ظهور المعجزة انما هو باذن الله سبحانه وتعالى مالك الخلق والامر تبارك الله رب العالمين*

(فصل)*

فلما استكمل العبد هذه الفرائض وتحقق له الطريق كما وصفنا انبعث قلبه ليتجرد للعبادة فنظر فاذا هو صاحب ذنوب وتبعات فيقول

كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المخالفة والمعاندة فيجب على
اولا ان اتوب الى الله تعالى ليطهرني من اقذار الذنوب فاصلح
لخدمة علام الغيوب فتستقبله هاهنا قنطرة التوبة
وهي القنطرة السابعة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل الى المقصود
من العبادة فياخذ في ذلك باقامة التوبة في حقوقها وشروطها
الى ان قطعها بجميع وظايفها كما سياتي ان شاء الله تعالى فلما
فرغ من هذه القنطرة حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا
حوله عوايق محدقة به كل واحد منهن تعوقه عما قصد من
العبادة وتشغله بضرب من الشواغل فتستقبله ها هنا قنطرة
العوايق فتامل فاذا هي اربع احداهن قنطرة الدنيا المتعلقة
به فيحتاج الى قطعها بالتجرد عنها والزهد فيها لان الدنيا والآخرة
ضرتان ان سخط احداهما ارضى الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب
بقدر ما يميل الى احداهما يعرض عن الاخرى ويبعد عنها فاحتاج الى
قطعها بالزهد فيها والتجرد عنها الا قدر الزاد فلابد له منه كما
سياتي ان شاء الله تعالى الثانية قنطرة الخلق اهل الرغبة والبطالة
واهل الشر والجهالة فيحتاج الى قطعها بالتفرد عنهم والهرب من لقائهم
ان عم البلاء او خشي هلاك دينه او يعتزل اعمالهم بقلبه وفعله
ويحضر الجماعة والجمعة معهم ويوفيهم حقوقهم من صلة وزيارة
وحضور ميت كما سياتي ان شاء الله تعالى الثالثة قنطرة
الشيطان فيحتاج الى قطعها بالقهر والمحاربة والاستعاذة بالله
منه والمخالفة له لانه عدو ولا مطمع فيه لمصالحه وابقائه لانه
لا يقنعه الا هلاك العبد اصلا فلا وجه الى الامن من هذا
العدو والغفلة عنه الرابعة قنطرة النفس وهي اعدا

الاعداء واشدها على العبد اذ هي بين جنبيه لا يمكنه التجرد عنها بمرة لانها المطية ولا مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصده من من الاقبال على العبادة اذ هي مجبولة على ضد الخير امارة بالسوء والشر فاحتاج اذا الى ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها في المصالح والرشاد ويمنعها عن المهالك والفساد فياخذ في قطع هذه القنطرة بالسياسة والاعتدال فيقمع من شهوات النفس ما خرج عن طاعة الشرع والعقل ويترك لها ما لا يخرج من الشرع والعقل فلا يترك كل شهوة ولا يتبع كل شهوة فلما فرغ من هذه القنطرة وقطعها بحسن عونه وتوفيقه رجع الى العبادة فنظر فاذا عوارض تعترضه عن العبادة وتشغله عنها كما ينبغي فتستقبله ههنا قنطرة العوارض فتامل فاذا هي اربعة احدها الرزق تطلبه النفس به ويقول لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت عن الخلق فمن اين يكون قوامي ورزقي الثاني الاخطار من شيء تخافه وترجوه او تريده او تكرهه ولا يدرى الصلاح في ذلك من الفساد فان عواقب الامور مبهمة لانه ربما يقع في فساد او مهلكة الثالث الشدايد والمصايب تنصب عليه من كل جانب لاسيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومجاهدة النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من هم وحزن يتعرضه وكم من مصيبة تتلقاه الرابع القضاء من الله سبحانه بالخلق والامر يرد عليه حالا فحالا والنفس تسارع السخط وتبادر الفتنة فيحتاج الى قطع هذه القنطرة العوارض الاربعة باربعة اشياء بالتوكل على الله سبحانه في موضع الرزق وبتفويض

الامور اليه في موضع الاخطار وبالصبر عند نزول الشدايد
وبالرضا عند نزول القضاء فلما قطع هذه القنطرة بما ذكرنا
باذن الله وحسن عونه رجع الى العبادة فنظر فاذا النفس فاترة
كسلا لا تنشط ولا تنبعث للخير والعبادة كما يجب وينبغي
وانما ميلها ابدا الى غفلة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول
وبلية وجهالة فاحتاج معها ها هنا الى سايق يسوقها الى
الخير والطاعة وينشطها له والى زاجر يزجرها عن الشر والمعصية
ويفترها عنه وهما الرجا في ثواب الله تعالى والخوف من عذابه
مع توابعهما من الحذر والاشفاق والشوق والمحبة فتستقبله ها هنا
قنطرة البواعث فاحتاج الى قطعها بالخوف والرجا كما قدمنا
فلما قطعها بحسن عون الله تعالى وتاييده رجع الى العبادة فتستقبله ها هنا
قنطرة العبادة بالكمال فيما نفيها بالشوق والاجتهاد اذ لم ير
شيئا شاغلا ولا عايقا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة
واقامتها بتمام الرغبة فيها نظر فاذا تبدو الهذه العبادة التي احتمل فيها
كل ذلك آفتان عظيمتان وهما الريا والعجب تارة يرائي الناس
بطاعة الله فيفسدها وتارة يمتنع من ذلك ويلزم من نفسه
فيعجب بها ويحبط العبادة عليها ويتلفها فاستقبلته ها هنا
قنطرة القوادح في الاعمال المبطلة لها فاحتاج الى قطعها
بذكر المنة والاخلاص ونحو ذلك ليسلم له ما يعمل من خير وعبادة
فلما قطعها بجد واحتياط وحسن عصمة الله وتاييده فلما فرغ
من هذا كله حصلت العبادة وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا
هو غريق في بحور من الله تعالى وكثرة ايادير من امداد التوفيق
والعصمة وانواع التاييد والحراسة فخاف ان يكون منه اغفال

للشكر فيقع في الكفران فتزول عنه تلك النعم الكريمة من
انواع الطاف الله تعالى وحسن نظره فتستقبله ها هنا
قنطرة الحمد والشكر على كثير نعمه تعالى فلما فرغ من
هذه القنطرة نزل فاذا هو بمقصوده من العبادة بين يديه
فلم يسر الا قليلا حتى وقع بميدان الانس والرضى وبساتين
المحبة واللقا وصحراء الشوق وعرصات المعرفة ومجلس
المناجاة فارتفع ها هنا على بساط قنطرة المناجاة فهو يتنعم
في لذة العبادات وبساط المجاهدات ايام حياته وبقية عمره
تارة يتنعم بلذة الشوق والمحبة ويتلذذ بحلاوة الرجا والطمع
وتارة ينقبض بخوف الخاتمة فبينما هو يبادر الموت راغبا
راهبا ويتوقع القدوم على الله تعالى آمنا مطمئنا فيكابدها هنا
قنطرة خوف الخاتمة قال فبينما العبد يجتهد في الدعاء
والتضرع ويتنعم في المجاهدة والتخشع ويبادر الخاتمة بالخوف
والقلق خائفا من حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد والضلالة
ومرارة العزل والازالة وقد خلف جملة القناطر وانشرح له
القلب بالعلوم والبصائر وقد طهره الله سبحانه من الاوزار
والكبائر وسبق العوايق الشاغلة ودفع عن نفسه العوارض
المانعة وظفر بالبواعث والزواجر وسلم من القوادح المبطلة
فبينما هو كذلك اذا اشرف على قنطرة الموت بشخص في الدنيا
ارضى وقلب في العقبى سماوى وقد استقذر الدنيا وحن
الى الملك الاعلى واستبطأ البريد واشتاق الى اللقا فبينما هو
كذلك اذا برسل رب العالمين قد وردوا عليه بالروح والريحان
والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان فتلقاه

في طيبة النفس وتمام البشرى والانس من هذه الدار الفانية المفنية الى الحضرة الالهية والجنة العالية فيكون القبر له روضة من رياض الجنة ويوفق للصواب عند امتحان الملكين اياه بالسؤال والفتنة ويعرض روحه على مقعده من الجنة في كل غدوة وعشية فاذا بعث من قبره حمل على نجائب الكرامة آمنا من الفزع الاكبر واهوال يوم القيامة ويكون وجهه كالقمر ليلة التمام مع ما يلقى من البر والاكرام ويأخذ بيمينه صحيفة العمل ويكسى من فاخر الحلى والحلل ويحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ويجوز قناطر جهنم بنور ساطع على ذلك الظلام المدلهم ويساق الى الجنة محبورا ويسقيه الرب سبحانه شرابا طهورا في ملك كبير ونعيم خطير مجاور للرحمن في رياض تلك الجنان مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في مقعد صدق عند مليك مقتدر فيالها من سعادة ما اعظمها وكرامة ما ادومها فنسأل الله البر الرحيم المنعم الكريم ان يمن علينا وعليكم معشر الاخوان بهذه الطريقة المستقيمة حتى يوصلنا بها الى هذه الكرامة العظيمة والنعمة الجسيمة وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم في هذا السعي المشكور والجزاء الموفور الا وصفا وسماعا وتمنيا لا انتفاعا واليه نرغب ان لا يجعل ما تعلمنا حجة علينا واياه نسأل ان يوفقنا جميعا للعلم والعمل كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين * (فصل) * ثم اعلم بالتحقيق انه ليس هذا الطريق في طوله وقصره وقناطره المرتبة عليه مثل المسافات التي تسلكها الانفس فتقطعها

باقدام الاجسام فيقع قطعها على حسب قوة الاجسام وضعفها وانما هو طريق روحانى تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب العقائد والبصائر اصله نور سماوى ونظر الهى يقع فى قلب من سبقت له من الله العناية الازلية فينظر العبد به نظرة فيرى بها امر الدارين بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ويبقى فى القنطرة الواحدة سبعين سنة ولا يقطعها فكم يصيح ويصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله واعسر هذا الامر واعظمه وذلك لخطائه فى الطلب وتقصيره فى الاجتهاد وجهله بالطريق وآخر يجده فى خمسين وآخر فى عشرين وآخر فى يوم واحد وآخر فى ساعة ولحظة على ما قسم له من عناية رب العزة وتوفيقه الا ترى اصحاب الكهف كان مدتهم فى هذا الطريق خطوة اذ راوا التغيير فى وجه ملكهم دقيانوس على ما حكى فى الخبر فقالوا ربنا رب السموات والارض وكذلك سحرة فرعون ما كانت مدتهم الا لحظة حين راوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون الآية فابصروا الطريق فى ساعة او اقل فصاروا من العارفين بالله الراضين بقضائه الصابرين على بلائه فان قلت فلم اختص هؤلاء بالتوفيق وحرم غيرهم وهم جميعا مشتركون فى ربقة العبودية فاعلم انه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لكن العبد مامور بالاجتهاد والامر مقسوم والحكم العدل يفعل ما يشاء فنسئل الله تعالى ان لا يحرمنا ذلك بمنه وكرمه * (فصل) * ومثال هذا الطريق فى الدنيا قناطر الصراط فى الآخرة فى عقباتها

ومقاطعها وهما صراطان صراط الدنيا وصراط الآخرة فصراط
الدنيا للقلوب يرى احوالها اهل البصائر وصراط الآخرة للانفس
يرى احوالها اهل الابصار فاختلفت احوال السالكين فى الآخرة
لاختلاف احوالهم فى الدنيا وبالله التوفيق * (فصل) *
ثم اعلم يقينا ان من سبق له من الله تعالى التوفيق واودع قلبه
نور الهداية على التحقيق حتى عرف فضيلة ارض نفسه ورزقه
العناية لخدمتها حتى ينظر اليها فيراها ارضا اريضة ذات مياه
نابعة واشجار فارعة واثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل
ويفتش فى غياض شعارها فيجدها ماوى لاسد الغضب
ونمور الجهل وذئاب الغدر وخنازير الشره وكلاب الحرص
وضباع الحمق وحيات الظلم وعقارب الحسد فاذا تحقق
ذلك منها فليبتهل الى الله تعالى بقلب منيب ان يرزقه
مجاهدة هذه الآفات المؤذية حتى ينقى ارض نفسه منها
بالمجاهدة الحقيقية ويزرع فيها اصناف رياحين الاخلاق
المرضية فان الله سبحانه مرجو ان يهب له مطية التوفيق
حتى يقطع بها الطريق وهذه المطية لها اربعة قوائم من غير
لحم ولا عظم فان قلت اشرح لى قوائم المطية فهل ينفعك
الاشتياق وانت غير مسارع الى اللحاق ولكن ساشرحها لك
فالقائمة الاولى ذكر الله تعالى على الدوام بلا ملل والثانية
تعلق القلب به فى كل حين وزمان والثالثة صرف الهمة اليه
اشتياقا والرابعة اشتغال القلب به عن كل شئ سواه واعلم
ان بصر المطية من العلم والمعرفة واذنها من المراقبة وظهرها
من التوكل وعنقها من الوفا وقلبها من الصدق مكلل

بالاخلاص ولجامها من الهيبة وروحها من اليقين وطعامها
من الانس وقائدها التوفيق وسايقها العون والتاييد
تصديقا لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وطرق التوفيق الى الله تعالى كثيرة لاتحصى والمطايا كذلك
ولكن هذه مطية من سلك اقرب طرق التوفيق الى الله تعالى
فيقطعها فى لحظة وذلك بان يجعل ما فى الوجود فى خطوة
واحدة وهذه المطية هى الغاية القصوى وما سواها من
المطايا تبع لها اليها ينتهى عمل العاملين وبفنائها تناخ مطايا
العارفين وحواليها يكون طواف الروحانيين وبادبها يتادب
الصديقون وما سواها من مطايا الاولياء وطرقهم تبع لهذه
المطية ولهذا الطريق واعلم ان هذه المطية فى طرق مفازة
القناطر المعمورة باللصوص والعاهات وفيها تقع معارك
الحروب فيكثر فيها ملاحم القتال فسلوا ايها الاخوان
الموفون للطريق رحمكم الله تعالى سيوف المجاهدة وانشروا الوية
المراقبة واركزوا رايات التفقد والمحاسبة ولكن لا يقطع
هذه المفازة بالكمال حتى يصل الى هذه المطية الا من رزقه الله
تعالى من التوفيق ما يخلص به اثير الهباء من الهوا ولطيف
الهوا من الماء مع عصمة الله تعالى وامداده اياه بقوة اليقين
حتى لا يرى فى الوجود الا الله تعالى وافعاله من ابطال العارفين
وشجعان الروحانيين وسياس الصديقين ولكن من كان التوفيق
قائده والتيسير دليله فما اسرع الى كل خير وصوله فاجتهدوا
رحمكم الله تعالى فى اخذ حظكم من مولاكم عسى ان يهديكم لركوب
هذه المطايا الحسان ويوصلكم عليها بلطفه دار الامان والرضوان

وتناصحوا فيما بينكم ولا تتركوا حب الدنيا يغلق اقفال قلوبكم فانه شر محبوب واخطر مطلوب جعلنا الله تعالى واياكم ممن يستمع القول فيتبع احسنه *(فصل)* دعانى رحمكم الله تعالى الى تمثيل الدنيا بالمفازة وتمثيل الشريعة بالطريق فيها وتمثيل الفرائض بالقناطر مرتبة موضوعة عليها وتمثيل اعمالها بالمطايا لانى وجدت ضرب الامثال يرشق القلوب بسهام الموعظة رشقا لا يليق بغيرها ولان ذلك ابلغ فى تقريب المعانى الى العقول كقوله عليه الصلاة والسلام فيما روى عنه انه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر اخوه والصبر امير جنوده وقال بعض السلف سالت راهبا فقلت صف لى الدنيا قال خلقت كخلق المراة راسها الكبر ووجهها الفرح وعينها السهو ولسانها الغدر واذناها النسيان ونفسها العلو وقلبها الطمع وبطنها الحرص ورجلاها الحسد وعنقها الحزن وظهرها الاياس من الله تعالى وزينتها الشهوات فهذه صفة دنياكم التى عليها تتشاجرون فاحذروها وقال الله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون وفى كتاب الله تعالى من الامثال مايستغرق الوصف والله المستعان *(فصل)* فان قال قائل اذا كان الامر على ما وصفت والطريق على ما مثلت لقد قل من الناس العابد لهذا الرب المعبود والواصل الى هذا المقصود فمن ذا الذى يقوى على هذه المون ويحصل هذه الشرائط فاعلم ان الله سبحانه يقول ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقال وقليل من عبادى الشكور وقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ثم قال ولكن اكثر

الناس لا يعلمون ولا يشكرون ولا يعقلون ولا يتفكرون في امثال
هذه الآيات ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه وصفا
قلبه ونوره فعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية قال
الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فاذا كان العبد
الضعيف يقوم بما عليه من التكليف فما ظنك بالرب القادر العلي
الكبير اللطيف والشان كله يرجع الى اصل واحد وهو الكلمة السابقة
في الازل بالتوفيق والسعادة ولا يدرك ذلك باجتهاد وتكليف
ولكن بقسمة ازلية وهبة واهب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
وليست هذه الهبة بالانساب ولا بالاحساب الا ترى الى لقمان
الحكيم قيل انه عبد مملوك نوبي اعطاه الله من الحكمة ما طبق الآفاق
واشتهر في الاقطار حتى انزل ذلك في القرآن وكذلك غيره ممن يطول
ذكره رجالا ونساء مثل تجينة المعتوقة وغزالة الامة المجلوبة
من السودان اما تجينة فانها كانت تصلي في مصلى ابي عبيدة الجاوني
رحمه الله تعالى فقصدها ابو الخير الزواغي فرأى ضوءا ساطعا
واشباه رجال خلفها او دائرين بها فشرب عندها من اناء لبنا ثم
توضأ من ذلك الاناء ما في حالته تلك واما غزالة فهي صاحبة
ن م وادي الزير فكانت فيما قيل اذا نومت مواليها في بلد ويغوا
حضرت المجلس في تونزيرف فتاتي كهفها آخر الليل فتجد فيه
صباحين يقدان فلما اعتقت انطفى مصباح واحد وبقي آخر
والله تعالى اعلم فنسال الله البر الرحيم ان يمن علينا وعليكم بالتوفيق

(فصل) اعلموا رحمكم الله تعالى اني تفكرت في احوال
اسلافنا رحمهم الله تعالى فوجدتهم اهل بصائر ومعرفة بالدين
واهل تواضع وخشية في قوة يقين مع ما منحهم الله من سلامة الصدور

من كل غائلة واجتهاد فى العبادة بتصديق الورع عن كل شبهة
فبذلوا فى احياء دين الله تعالى اموالهم واهرقوا فيه دماءهم فاصبحوا
وقد اقفرت منهم الديار ولم يبق الا ذكرهم فى المجالس والاقطار
فآثارهم مذكورة وسيرهم فى الاسفار مشهورة فخلف من بعدهم
خلف رضوا بالدنيا عوضا عن الآخرة عليها يتكالبون وبها يتواصلون
ومن اجلها يتوالون ويتعادون استعبدتهم الدنيا فاذلتهم والامانى
فاضلتهم فياليتهم اكتسبوها من ابوابها واكلوها من اسبابها ولكنهم
اخذوها عوضا عن الدين وثمنا بخسا السير اشيا خنا الاولين
استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان فاصبح كل بعاجل
حظه مشغوفا فصار المنكر من اجل ذلك عندهم معروفا حتى ضاعت
حدود الدين وامحت آثار السلف الصالحين فاصبح منار الدين مندرسا
وصار الهدى فى اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الخلق الا علم
الا فتوى حكومة يستدرج بها العوام اذ لم يروا ما سواها مصيدة
للحرام وشبكة للحطام واما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف
الصالح مما سماه الله تعالى فى كتابه علما وفقها وحكمة ونورا وهداية
ورشدا فقد اصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ثم انى
نظرت فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وما
دوّنه السلف الصالح رحمهم الله تعالى من الآثار والسير فى الدفاتر
والاسفار فوجدت فى ذلك علما اتضح عندى برهانه وحقيقته
وايقنت بالفوز والنجاة لمن انتحله وعمل به وهو العلم بحدود التقوى
من الورع عن محارم الله عز وجل والقيام بحدوده وتصفية القلوب
والقلوب من مكارهه فرايت انتحال ذلك والعمل بحدوده واجبا
علىّ وعلى الحجة العظمى قائمة من اجله على جميع من فهمه اذا كان ذلك

دين الله القوى والحق المبين وعليه مضى اسلافنا وسائر
المتقين ثم انى نظرت فى احوال دهرنا فرايته دهرا مستصعبا
تبدلت فيه شرائع الايمان وانتقضت فيه عرى الاسلام واندرست
فيه حدود الدين بالكلية ورايت فتنا متراكبة يحار فيها
اللبيب ودينا مندرسا لا داع اليه ولا مجيب وقد عميت عن
الآخرة بصائرنا وامتلات بحب الدنيا ضمائرنا فخشيت الانسلاخ
من الامر كله فرايت التمسك بالقليل خيرا من ذهاب الجميع وان كان
لا عذر لاحد فى تضييع شئ من اوامر الله تعالى ولا ارتكاب شئ من
مناهيه ولكن سداد من عوز لانه بلغنا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه ستأتى بعدكم قوم ان تمسكوا بعشر
ما انتم عليه نجوا فدعانى ما ذكرت الى تاليف كتاب اشرح فيه
ان شاء الله تعالى بعض شرائع الدين وابين فيه بعض مناهيه لعل
الله تعالى يجعله تذكرة لنفسى ولمن نظر فيه من ابناء جنسى
وغيرهم من الناس وسميته كتاب قناطر الخيرات فالله سبحانه
وتعالى اساله التوفيق فى القول والعمل والعصمة من الخطاء
والزلل وهذا الكتاب يحتوى على سبعة عشر قنطرة اشرحها
ان شاء الله تعالى بالتمام الاولى قنطرة العلم وهى تحتوى على
مقدمة فى بيان العقل وعشرة ابواب فى تفصيل العلم الاول
فى بيان فضله الثانى فى فضل التعلم والتعليم الثالث فى فرض
العين الرابع فى فرض الكفاية الخامس فى بيان حد الفقه والكلام
فى علم الدين وبيان علم الآخرة من علم الدنيا السادس فى طرق
العلم وتقاسيمه السابع فى ادب المتعلم والعالم الثامن فى آفات
العلم والعلماء السوء التاسع فى بيان جنس العلم المذموم واسماء

العلم المحمود العاشر في العلامات المميزة بين علماء الدنيا والآخرة
وسائر القناطر تاتى على الترتيب المتقدم ان شاء الله تعالى
الى قنطرة فيكون آخرها صفة الجنة والنار وهذه الابواب
تشتمل على فصول ستاتى فيما بعد ان شاء الله تعالى ونحن
الآن مبتدئون ان شاء الله تعالى فى ابواب العلم وتفاصيلها
اعلم انه قد قدمنا اولا انا سنشرع فى بيان مقدمة العقل قبل
ابواب العلم * (فصل) * فى فضل العقل وشرفه
وحقيقته واقسامه وانما قدمنا بيان العقل على تفصيل ابواب
العلم لان العقل آلة لدرك العلوم واس للفضائل
وينبوع للآداب واصل للتكليف وعماد للدنيا فالعلم يجرى منه
مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين
وشرف العقل مدرك بالضرورة وكيف لا يشرف ما هو وسيلة
الى السعادة فى الدنيا والآخرة وروى عن ابى سعيد الخدرى عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن
عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وعن انس قال كثرت
المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه فقال ايها الناس
ان لكل شئ مطية ولحسنكم دلالة ومعرفة بالمحجة افضلكم
عقلا وعن ابى هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى
ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم
لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال عليه السلام انهم
قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل فكانت نصرتهم ونياتهم

على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اصل الرجل عقله وحسبه دينه وعن الحسن البصري قال ما استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به يوما ما وعن البرا بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله عز وجل اوفرهم عقلا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله عز وجل من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو والجهل انكاء عدو وقال بعض الادباء صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله وقال بعض البلغاء خير المواهب العقل وشر المصايب الجهل وانشد الماوردي لابراهيم بن حسان

*

يزين الفتى في الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله * وان كرمت اعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس انه * على العقل يجري علمه وتجاربه
وافضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الاشياء شئ يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت اخلاقه ومآربه

وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ آلة وعدة وآلة المؤمن العقل ولكل شئ مطية ومطية المؤمن العقل

ولكل شئ دعامة ودعامة المؤمن العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل شئ فسطاط وفسطاط المؤمن العقل وعنه صلى الله عليه وسلم قال ان احب المؤمنين الى الله عز وجل من نصف في طاعته تعالى ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وعنه عليه الصلاة والسلام قال اتمكم عقلا اشدكم لله عز وجل خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا واعلم ان بالعقل تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات وهو ينقسم قسمين غريزي ومكتسبي فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف لا يتجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان وبه يمتاز الانسان من سائر الحيوان فاذا تم في الانسان سمى عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قيل عن صالح بن عبد القدوس انه قال اذا تم عقل المرء وتمت اموره * وتم اياديه وتم بناؤه وروى عن الضحاك في قوله تعالى لينذر من كان حيا اي من كان عاقلا واختلف الناس فيه وفي صفته على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات واختلف من قال بهذا في محله فقالت طائفة محله الدماغ لان الدماغ محل الحس وقال آخرون محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وفي آثار قومنا عن علي بن ابي طالب يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله سبحانه العقل

من نور مكنون في غامض علمه بحيث لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل فجعل الزهد راسه والخير سمعه والحياء عينه والرافة قلبه والعلم فهمه والبصر طبعه ثم قواه بعشرة اشياء بالايمان واليقين والسكينة والصدق والاخلاص والقنوع والخشوع والشكر والتسليم والصبر ثم قال له اقبل فاقبل فكان اقباله اقبالا ثم قال له ادبر فادبر فكان ادباره ادبارا فقال له عز وجل فوعزتي وجلالي ما خلقت خلقا قط اكرم علي منك ولا احسن منك ولا احب الي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اعبد وبك اعرف ولك الثواب وعليك العقاب قال فخر العقل ساجدا فمكث في سجوده الف عام فقال له عز وجل ارفع راسك واسال تعط واشفع تشفع فقال اللهم سيدي بحقك على خلقك الا شفعتني فيمن خلقتني فيه قال فذلك لك وقال صلى الله عليه وسلم من اوتي العقل فقد اوتي خيرا كثيرا وانما العاقل من عقل عن الله تعالى امره ونهيه ومن لم يكن كذلك فليس بعاقل حتى قال بعض العلماء فيمن اوصى بثلث ماله لاعقل الناس ان يصرف في الزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل وعنه عليه السلام قال اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته فلا يعجبكم اسلام رجل حتى تعلموا عقله وقال امرنا معشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم فان قيل ان كان العقل عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه لا يتحيز قيل له ان هذا من العلم الغامض الذي لا يطلع عليه الا الانبياء او الروحانيون وقد ابطل الماوردي في كتابه هذا القول بهذه العلة وقال قوم العقل غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية حكى هذا عن

الحارث المحاسبى فكانه اشار الى ان العقل نور يقذف فى القلب به
يستعد لادراك الاشياء ونسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة
العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى انكشاف
العلوم لها نسبة نور الشمس الى البصر وهذا الوصف هو الذى
يفارق الانسان به سائر البهائم وقال آخرون العقل بعض العلوم
الضرورية اراد العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز
بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من
الواحد وان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين وقالت طائفة العقل
هو جملة العلوم الضرورية من وجوب الواجبات وجواز الجائزات
واستحالة المستحيلات وقال بعضهم العقل هو العلم بالمدركات
الضرورية وذلك نوعان احدهما ما وقع عن درك الحواس الخمس كالمرئيات
المدركة بالبصر والاصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق
والروائح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس فاذا كان الانسان
ممن يدرك بحواسه هذه الاشياء ثبت له هذا النوع من العلم وكان
عاقلا لان خروجه فى حال تغميض عينيه من ان يدرك بها ويعلم
لا يخرجه من ان يكون كامل العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك
لعلم والنوع الثانى ما كان مبتدى فى النفوس كالعلم بان الشىء
لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم
وكالعلم بان من المحال اجتماع ضدين وان الواحد اقل من الاثنين
وهذا النوع من العلم لا يجوز ان يكتفى عن العاقل مع سلامة حاله
وكمال عقله فاذا كان عالما بالمدركات الضرورية فهو كامل العقل
والى هذا القول ذهب الماوردى فى كتابه قال فكل من نفى ان يكون
العقل جوهرا اثبت محله القلب لان القلب محل العلوم كما قال تعالى

افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فدلت هذه الآية على امرين احدهما ان العقل علم والثانى ان محله القلب وفى قوله يعقلون بها تاويلان احدهما معناه يعلمون بها والثانى يعتبرون فهذه جملة القول فى العقل الغريزى واما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزى وذلك علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال فان من حكمته التجارب يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف به يقال انه غمر جاهل وهذا العقل ينمى ان استعمل وينقص ان اهمل لانه من قوة نهاية المعرفة واصابة الفكرة ما لم يمنعه مانع من هوى والصاد من شهوة لانه يحصل ذلك بكثرة التجارب وممارسة الامور ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ فقالوا عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار الغير وقال التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وقيل فى منثور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقال بعض البلغاء كفى بالتجارب تاديب وبتقلب الايام عظة وينشد

الم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا وقد يكون هذا ايضا لفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس واذا امتزج بالعقل الغريزى صارت نتيجتهما هو العقل المكتسب كالذى يكون فى الاحداث من وفور العقل وجودة الراى ولذلك قالوا عليك بالحديث السن الحديد الذهن وقالت العرب عليكم بمشاورة الاحداث فانهم ينتجون رايا لم يفله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم وانشد الماوردى لبعض الشعراء *

رايت العقل لم يكن انتهابا * ولم يقسم على عدد السنينا

ولو ان السنين تقاسمته * حوى الآباء انصبت البنينا

وروى عن الاصمعي انه قال قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يحادثني فامتنعني بفصاحته وملاحته ايسرك ان تكون لك مائة الف درهم وانك احمق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي فانظر الى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه ما لعله يدق على من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة وحكي عن ثمامة بن اشرس انه اخبر ان المامون تفرد يوما في بعض تصيده فانتهى الى بعض بيوت اهل البادية فرأى صبيا يضبط قربة وقد غلبه وكاؤها وهو يقول يا ابت اشدد فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فوقف عليه المامون فقال ممن تكن فقال من قضاعة قال من ايها قال من كلب قال وانك لمن الكلاب قال لسنا هم ولكن قبيل يدعا كلبا قال فمن ايهم انت قال من بني عامر قال من ايها قال من الاجداد ثم من بني كنانة قال فمن انت يا خالي فقد سالتني عن نسبي فقال ممن تبغضه العرب كلها قال فانت اذا من نزار قال انا ممن تبغضه نزار كلها قال فانت اذا من قريش قال انا ممن تبغضه قريش كلها قال فانت اذا من بني هاشم قال انا ممن تحسده بنو هاشم كلها قال فارسل فم القربة فقام اليه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته وضرب بيده الى شكيمة الدابة وهو يقول *

مامون يا ذا المنن الشريفه * وصاحب الكتيبة الكثيفه

هل لك في ارجوزة ظريفه * اظرف من فقه ابي حنيفه

لا والذي انت له خليفه * ما ظلمت بارضنا ضعيفه

عاملنا مؤونته خفيفه * وواجبا فضلا على الوظيفه
فالنشب والنعجة في السقيفه * واللص والتاجر في القطيفه
قد سار فينا سيرة الخليفه * فقال له المأمون احسنت ايما
احب اليك عشرة آلاف درهم معجلة او مائة الف مؤجلة فقال
بل اؤخرك يا امير المؤمنين في خير اخر لانك انت الغني الوفي قال فما
لبث ان اقبلت الفرسان فقال احملوه فمضى به حتى كان احد مسامريه
انظر الى جودة قريحة هذا الغلام ومجاوبته فسبحان الفعال لما
يشاء واحسن من هذا الذكاء والفطنة ما حكي ابن قتيبة ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن
الزبير فهربوا منه الا عبد الله فقال له عمر ما لك لم تهرب مع اصحابك
فقال يا امير المؤمنين لم اكن على ريبة فاخافك ولم يكن بالطريق
ضيق فاوسع لك انظر الى ما تضمنه هذا الجواب من الفطنة وقوة
المنة وحسن البديهة فليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية
ولمثل هذا قالت الحكماء غاية العقل سرعة الفهم وغايته اصابة
الوهم وليس لمن منح جودة القريحة وسرعة الخاطر عجز عن
جواب وان اعضل كما قيل لعلي بن ابي طالب كيف يحاسب
الله العباد على كثرة عددهم فقال كما يرزقهم على كثرة عددهم
وقيل له كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة وقيل
لابن عباس اين تذهب هذه الارواح اذا فارقت الاجساد فقال اين
تذهب نار المصابيح عند فناء الادهان وهذان الجوابان جوابا
اسكات تضمنا دليل اذعان وحجة قهر وقيل لعلي ايضا كم بين
المشرق والمغرب قال يوم طراد الشمس ومن غير هذا الفن وان
كان مستكنا ما حكي ان ابليس لعنه الله حين ظهر لعيسى بن مريم

عليه الصلاة والسلام فقال الست تقول لن يصيبك الا ما كتب
الله لك قال نعم قال فارم نفسك اذا من ذروة هذا الجبل فانه
ان قدرت لك السلامة تسلم فقال له يا ملعون ان الله يختبر عبده
وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا الجواب لا يستغرب من انبياء
الله الذين امدهم بوحيه وايدهم بنصره وانما يستغرب ممن يلجأ
الى خاطره ويعول على بديهته فاذا اجتمع هذان الوجهان في العقل
المكتسب وهو ما ينميه فرط الذكاء بجودة الحدس وصحة القريحة
بحسن البديهة مع ما ينميه الاستعمال بطرق التجارب ومرور
الزمان بكثرة الاختبار فهو العقل الكامل على الاطلاق من الرجل
الفاضل بالاستحقاق وذلك ان تنتهي قوة الغريزة الى ان يعرف
عواقب الامور ويقمع الشهوات الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها
فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه
واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة
العاجلة فهذا ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز من الحيوان
فالاول هو الاصل اعني الغريزة والثاني هو فرع اعني العلوم الضرورية
والثالث هو فرع الاول والثاني اعني علوم التجارب اذ بقوة الغريزة
والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة
الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب
وحكي عن سابور بن ازدشير انه قال العقل عقلان احدهما مطبوع
والآخر مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فنظم ذلك
علي بن ابي طالب فيما حكي عنه فقال *

رايت العقل نوعين * فمسموع ومطبوع
فلا ينفع مطبوع * اذا لم يك مسموع

كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

فالاول هو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام اول ما خلق الله العقل الحديث والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اذا تقرب الناس الى الله عز وجل بابواب البر فتقرب اليه بعقلك وقوله لابي الدردا ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا فقال بابي انت وامي كيف لي بذلك فقال عليه الصلاة والسلام اجتنب محارم الله تعالى وادى فرائض الله سبحانه تكن عاقلا وتنفل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل من ربك بها القرب والعز وقال عليه الصلاة والسلام ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى او يرده عن ردا وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب رضي الله تعالى عنهما وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال عليه السلام العاقل فقالوا من اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه الصلاة والسلام ان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين انما العاقل هو المتقي وان كان خسيسا دنيا [في الدنيا] وعن انس بن مالك قال اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فقال كيف عقله فقالوا يا رسول الله ان من عبادته ان من فضله فقال كيف تثني عليه بالعبادة واصناف البر وتسئلنا عن عقله فقال عليه الصلاة والسلام ان الاحمق يصيب بجهله [العابد] اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقلهم

[في الهامش: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم]

وبالجملة من لم تكن بصيرة عقله ثاقبة لم يعقل به من الدين الا
قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه واختلف الناس في العقل
المكتسب اذا تناها وزاد هل يكون فضيلة ام لا فقال قوم لا يكون
فضيلة لان الفضائل هيآت متوسطة بين فضيلتين ناقصتين
فاذا جاوزا التوسط خرج من حد الاعتدال لقوله عليه الصلاة والسلام
خير الامور اوساطها وقال ان زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدها
والمكر وذلك مذموم وصاحبه مذموم وقد امر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اباموسى الاشعري ان يعزل زياداً عن ولايته فقال
زياد يا امير المؤمنين اعن موجدة ام خيانة فقال لا عن واحدة
منهما ولكن خفت ان احمل على الناس فضل عقلك وقالت الحكماء
للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة
عيب والنقصان عجز وقال بعض الحكماء كفاك من عقلك ما دلك
على سبيل رشدك وقال آخرون وهو اصح القولين زيادة العقل
فضيلة لان زيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة
ما لم يكن الى ما يكون وذلك فضيلة لا نقص وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان الوفا مالوف وقال
القاسم بن محمد كانت العرب تقول من لم يكن عقله اغلب خصال
الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الشر عليه وقد قيل في
منثور الحكم كل شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا
واما الدها والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله
الى الشر ولو صرفه الى الخير لكان محموداً وقد ذكر المغيرة عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال كان والله افضل من ان يخدع
واعقل من ان يخدع وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

لست بالخب ولا يخدعني الخب والله اعلم * (فصل)
واعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لانه نتيجة
منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون
صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل كالانوك الذي لا توجد
منه فضيلة والاحمق الذي قل ما تخلو منه رذيلة وقد روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحمق ابغض خلق الله اليه
اذ حرمه اعز الاشياء اليه وعنه عليه الصلاة والسلام قال الاحمق
كالفخار لا يرقع ولا يشعب وروى عطاء عن جابر قال كان
في بني اسرائيل رجل له حمار فقال يارب لو كان لك حمار لعلفته
مع حماري هذا فهم به نبي من الانبياء فاوحى الله تعالى اليه انما
اثيب كل انسان على قدر عقله قال وكانت ملوك الفرس اذا
غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ويقولون ان الاحمق يحتفظ
من كل شئ الا من نفسه ولذلك قال بعض الحكماء الحاجة الى العقل
اكثر من الحاجة الى المال وقال بعض البلغاء دولة الجاهل عبرة
العاقل وقال انوشروان لبزرجمهر اى شئ للمرء خير قال عقل
يعيش به قال فان لم يكن قال فاخوان يسترون عليه قال فان لم
يكن قال فمال يتحبب به الى الناس قال فان لم يكن قال فعي صامت
قال فان لم يكن قال فموت جارف وفي كتاب العقد قال خطب
وكيع بن ابي سويد وهو والي خراسان فقال ان الله خلق السموات
والارض في ستة اشهر قيل انما هي ستة ايام فقال والله لقد
قلتها وانا استقلها قال وخطب والي اليمامة فقال ان الله لا
يغار عباده على المعاصي وقد اهلك امة عظيمة في ناقة تساوي
مائتي درهم فسمي مقوم الناقة قال ودخل قوم على تردم

الدوسي فقالوا له اين القبلة في دارك هذه فقال انما دخلنا اليها منذ ستة اشهر قال ونسي عامر بن عبد الله بن الزبير عطاه في المسجد وكان قد اوتي به هناك فلما صار الى بيته قال يا غلام ايتني بعطاءي الذي نسيت في المسجد فقال واين يوجد وقد دخل في المسجد بعدك جماعة قال او بقي احد ياخذ ما ليس له قال وسرق نعله فلم يلبس بعد ذلك نعلا حتى مات وقال اكره ان يجئ من يسرقه فياثم قال وفي هذا الضرب من الناس يقول ايوب السختياني من اصحابي من ارجو بركة دعائه ولا اقبل شهادته الاصمعي قال كان الشعبي يحدث انه كان بين بني اسرائيل عابد جاهل قد ترهب في صومعته وكان له حمار يرعى حولها فاطلع من الصومعة فرآه يرعى فرفع يديه الى السماء فقال يا رب لو كان لك حمار كنت ارعاه مع حماري وما كان يشق علي فهم به نبي في ذلك الزمان فاوحى الله تعالى اليه دعه فانما سال وانما اثيب كل انسان على قدر عقله هشام بن حسان قال اقبل رجل الى محمد بن سيرين فقال ما تقول في رؤيا رايتها قال وما رايت قال كنت رايت ان لي غنما فاعطيت بها ثمانية دراهم فابيت من البيع ففتحت عيني ولم ار شيئا فاغلقتها ومددت يدي فقلت هاتوا اربعة فلم اعط شيئا قال ابن سيرين لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها قال يمكن الذي قلت وفي كتاب الماوردي قال وولى الربيع العامري وكان من النوكا منابر اليمامة فاقاد كلبا بكلب فقال فيه الشاعر *

شهدت بان الله حق قضاؤه * وان ربيع العامري رقيع
اقاد لنا كلبا بكلب فلم يدع * دما كلاب المسلمين تضيع

ومثل هذا من رذائل النوكا مالا يحصى كثرة اذ لامعنى
للاكثار منها لانه بحسب ما ينتشر من فضائل العاقل كذلك
يظهر من رذائل الجاهل حتى يصير مثلا فى الغابرين وحديثا فى
الآخرين وقد وصف بعض البلغاء العاقل بما فيه من الفضائل
فقال العاقل اذا والى بذل فى المودة نصره واذا عادا رفع عن الظلم
قدره فيسعد مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله ان احسن
الى احد ترك المطالبة بشكره وان اساء اليه مسيئ سبب له
اسباب العذر او منح له الصفح والعفو والاحمق ضال مضل
ان اونس تكبر وان اوحش تكدر وان استنطق تخلف وان
ترك تكلف مجالسته مهنة ومعاينته محنة ومحاورته
غم ومو الاته ضرر ومقاربته عما ومفارقته شفاو قال
بعض البلغاء ان الدنيا ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق
وادبرت على العاقل بالاستحقاق فان اتتك منها سهمة
مع جهل او فاتتك بغية مع عقل فلا يحملنك ذلك على الرغبة
فى الجهل والزهد فى العقل فدولة الجاهل من الممكنات ودولة
العاقل من الموجبات وليس من امكنه شئ من ذاته كمن
استوجبه بالاته وادانه وبعد فدولة الجاهل كالغريب
الذى يحن الى الغفلة والرجوع ودولة العاقل كالنسيب الذى يحن الى
الوصلة فلا يفرح المرء بحالة نالها بغير عقل ومنزلة رفيعة
حلها بغير فضل فان الجهل يزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته
ويرده الى قيمته بعد ان نظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحه
هاجيا ووليه معاديا واما العاقل فهو ابدا من عقله فى ارشاد
ومن ورأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد فالعقل ينبوع

الاخلاق الفضيلة وراس الفضائل الكاملة وانشد بعض
اهل الادب وذكرانها لعلي بن ابى طالب *
ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والصدق سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم انى لا اصدقها * ولست ارشد الاحين اعصيها
والعين تعلم فى عين محدثها * ان كان من حزبها او من اعاديها

(فصل) وفى كتاب الغزالى قال اختلف الناس فى تفاوت
العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قد قل تحصيله بل
المبادرة الى التصريح بالحق قال والحق الصريح ان التفاوت يتطرق
الى الاقسام الاربعة المتقدمة سوى القسم الثانى وهو العلوم
الضرورية من جواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من
عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم
فى مكانين فى امثالها من النظائر التى تدرك ادراكا محققا من غير
شك واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها والى هذا
اشار عمروس بن فتح رحمه الله تعالى فى كتابه وزعم احمد بن
الحسين مع من وافقه هم الذين ذهبوا الى ان العقول متساوية
وعلتهم فى ذلك تساويهم فى التكليف ولا معنى للاشتغال
باحتجاجهم فى ذلك اذ من انكر التفاوت فى غريزة العقل فكانه
منخلع من ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبى صلى الله عليه وسلم
مثل عقل بعض الجهال فهو اخس فى نفسه من اولئك الجهال
وكيف ينكر تفاوت الغريزة العقلية ولولا ذلك لما اختلف
الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم

الابعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يتنبه باذنى رمز واشارة والى
كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اذ تتضح لهم فى باطنهم امور غامضة من غير تعلم ولا سماع ويعبر عن
ذلك بالالهام وكمثل المحدثين والمروعين كقوله عليه الصلاة والسلام
ان لكل امة محدثا ومروعا فان يكن فيكم فعمر والمحدث والمروع هو
الذى يلقى فى روعه وقلبه كانه يحدث وعن مثله عبر النبى صلى الله
عليه وسلم فى قوله ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت
حتى تستكمل رزقها وقوله ان روح القدس نفث فى روعى
احبب من شئت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت
واعمل ما شئت فانك مجزى به وقوله عليه الصلاة والسلام
احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله يبصر والفراسة معناها
الظن الصادق وفى مثل ذلك يقول الشاعر *
الالمعى الذى يظن بك الظن * كان قد رأى وقد سمعا * آخر
بصير باعقاب الامور كانما * يرى بصواب الراى ما هو واقع
وهذا امر ظاهر لا يخفى عن ذوى عقل وذكر الغزالى فى كتابه ان غريزة
العقل فى اول مباديها مثل نور يشرق على النفس عند سن التمييز
فلا يزال ينمو ويزداد الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله
نور الصبح فان اوائله تخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج فى الزيادة
الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس قال وتفاوت نور البصيرة كتفاوت
نور البصر والفرق فى ذلك مدرك بين الاعمى وبين الحاد البصر
بل سنة الله عز وجل جارية فى جميع ما خلق بالتدريج فى الايجاد
حتى ان غريزة الشهوة لا تركز فى الصبى دفعة بل تظهر شيئا فشيئا

٧ الالمعى الذى يعلم فى عقله الامر قبل ان يعرض ١٢

على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات قال ويدل على
تفاوت العقل من جهة النقل ما روى ان ابن سلام سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل فيه وصف
عظم العرش وان الملائكة قالت يا ربنا هل خلقت شيئا اعظم
من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ قدره قال هيهات لا يحاط
بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال عز وجل فاني خلقت
العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطى حبة ومنهم
من اعطى حبتين ومنهم من اعطى الثلاث والاربع ومنهم من
اعطى فرقا ومنهم من اعطى وسقا ومنهم اكثر من ذلك وبالله
التوفيق وقد ذكرنا العقل واقسامه وحقيقته فلنرجع الى ذكر
العلم وتفاصيل ابوابه ان شاء الله تعالى ذكر قنطرة العلم
وتفصيل ابوابها العشرة *(الباب الاول)* في بيان
فضل العلم فاما بيان فضله فعلى خمسة اقسام من الكتاب
والسنة والآثار والمعاني والحس اما الكتاب فآي كثيرة
منها قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا
العلم قائما بالقسط فبدا بنفسه وثنى بملائكته وثلث باولى
العلم من عباده فساواهم بنفسه وملائكته بواو التشريك
تشريفا وتعظيما فناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا
وقوله تعالى شهد الله الآية والشهادة لا تكون الا بالعلم دون
الجهل والشك والظن قال الله تعالى الا من شهد بالحق وهم
يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات فقال اهل العلم لحن الخطاب يرفع الله الذين امنوا منكم
درجة والذين اوتوا العلم درجات وروى عن ابن عباس رضي الله

تعالى عنه انه قال للعلماء درجات فوق المؤمنين سبعمائة درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى يؤتى الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فقوله تعالى
من يشاء تخصيص ولم يكتف بقوله خيرا حتى قال كثيرا
وهذا نهاية فى الفضل والتعظيم وقال سبحانه هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فمنع من المساواة ما بين العالم والجاهل
لما خص به العالم من فضيلة العلم وقال تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فنفى ان يكون غير
العالم يعقل عنه امرا ويفهم عنه زجرا وقال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء فاخبر سبحانه انما يحصل له الخوف فى قلوب
العلماء خاصة لانهم اعلم به دون الجهال وقال تعالى قل كفى
بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال جل
وعلا قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه
اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله بين تعالى ان عظم قدر الآخرة انما يعلم بالعلم وقوله
تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم رد تعالى حكمه فى الوقائع الى استنباط
اهل العلم والحق رتبتهم برتبة الانبياء فى كشف حكم الله تعالى
وقيل فى قوله تعالى يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى
سواتكم وريشا يعنى العلم ولباس التقوى يعنى الحياء وقال تعالى
فلنقصن عليهم بعلم وقال بل هو آيات بينات فى صدور الذين
اوتوا العلم وقال الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان
وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان وقال سبحانه لنبيه عليه الصلاة

والسلام وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال في الدنيا تحقيرا وتزهيدا فيها قل متاع الدنيا قليل
وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا اراد اصنافا
من المال منهم زهرة الحياة الدنيا اى زينتها نهى نبيه عليه
الصلاة والسلام ان ينظر الى الدنيا بعين الرغبة وقال له
في العلم آمرا بالرغبة فيه والزيادة منه وقال رب زدني علما
فلو كان معنى افضل من العلم لامره بالرغبة فيه والزيادة منه
فلما كان النبي عليه الصلاة والسلام اكرم الخلق عليه وافضلهم
لديه اختار له افضل المعاني واعزها واشرفها وهو العلم
وقال تعالى في فضل العلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام
واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى
حقبا مع ما انطوت عليه القصة من قطع البلاد في طلبه
وركوب المشاق ولقا النصب في سفره الى علم يتعلمه بعد
ان قال انا اعلم اهل الارض فلما بلغ مجمع البحرين وجد الخضر
عليه السلام فقال له موسى مستلطفا مستعطفا هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا فكان من قصتهما ما ذكره الله تعالى
في كتابه وقال ايض في فضله في قصة سليمان عليه السلام مع
الهدهد وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد الى قوله
لاعذبنه عذابا شديدا اولاذبحنه الخ القصة توعده لما تفقده
بالعذاب الشديد او بالذبح فلما اتاه قال احطت بما لم تحط به
الى قوله من الكاذبين فلا معنى اعز واشرف من العلم ولا يختاره الله
الا لاحب الخلق اليه واكرمهم عليه وغير ذلك من الآى كثيرا في
كتاب الله تعالى تركناها مخافة التطويل *(فصل)*

واما من السنة فاحاديث كثيرة منها مارواه جابر بن زيد
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب العلم
عند الله افضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد
في سبيل الله وقال عليه الصلاة والسلام اذا حضرت الجنازة
وحضر مجلس العلم فاذا كان للجنازة من يحضرها ويدفنها
فان حضور مجلس العلم افضل من حضور الف جنازة وعيادة
الف مريض ومن صلاة الف ركعة ومن صيام الف يوم
وصدقة الف درهم ومن الف حجة سوى حجة الفريضة ومن
الف غزوة سوى الغزوة الواجبة تغزوها في سبيل الله تعالى
بمالك ونفسك فانفع من هذه المشاهد من شهد مجلس العلم
اما علمت ان الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم فخير الدنيا والآخرة
مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل فقال رجل وقراءة القرآن
يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ويحك ما قراءة القرآن
بغير علم وما الحج بغير علم وما الجهاد بغير علم اما بلغك ان السنة تقضى
على القرآن والقرآن لا يقضى على السنة وعنه عليه الصلاة والسلام
قال العلم بالتعلم والخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين ويلهمه رشده وعنه صلى الله عليه وسلم قال
العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا
شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وعنه عليه الصلاة
والسلام من طريق جابر بن زيد انه قال ليوم واحد من العالم
الذي يعلم الناس العلم افضل عند الله من عبادة العابد مائة سنة وان
العالم الذي يعلم الناس العلم يستغفر له اربعة اشياء الملائكة
في السماء والطير في الهواء والهوام في البر والحيتان في البحر وان

العالم الواحد اشد على ابليس من الف مؤمن عابد واى شرف يزيد على شرف من تشتغل ملائكة السماء ودواب الارض به فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له ومن طريق ابى هريرة ان النبى عليه الصلاة والسلام قال للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وروى انس عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال التفقه فى الدين حق على كل مسلم الا فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا وروى سلمان عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشئ افضل من فقه فى دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شئ عماد وعماد الدين الفقه وروى ابو امامة قال سئل النبى عليه الصلاة والسلام عن رجلين احدهما عالم والآخر عابد فقال عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم رجلا ابو ايوب الانصارى قال قال النبى عليه الصلاة والسلام باب واحد يتعلمه المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسماعيل عليه السلام وان طالب العلم والمراة المطيعة لزوجها والولد البار لوالديه يدخلون الجنة مع الانبياء بغير حساب وعن الوضاح بن عقبة قال حفظ مسئلة خير من عبادة مائة سنة وقال ابو محمد حفظ مسئلة تعدل عبادة ستين سنة وهى التى على الانسان فرض مثل التوحيد وما لا يسع جهله قال ومن نسخ العلم ليتعلمه ويحفظه فهو افضل من الصوم والصلاة بعد اداء الفرض وتعليم

ومن كتاب الفضائل قال حفظ مسئلة من مسائل العلم خير من عبادة سنين

باب افضل من مائة ركعة ومن كتاب حياة القلوب قال وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال باب من العلم يتعلمه الرجل
خير له من الدنيا لو كانت لقمة فى كفه فوضعها فى الآخرة وعنه
عليه الصلاة والسلام انه قال خير دينكم ايسره وافضل عبادتكم
الفقه وعنه عليه الصلاة والسلام من طريق جابر بن زيد رضى
الله عنه انه قال خصلتان لا تجتمعان فى منافق حسن سمت
وفقه فى الدين ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان
فانه ما اراد به الفقه الذى ظننت وسياتى معنى الفقه ان
شاء الله تعالى ادنى درجات الفقه ان يعلم ان الآخرة خير من
الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه براءته من النفاق
والريا ان شاء الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام قال
افضل الناس المؤمن العالم الذى اذا احتيج اليه نفع وان استغنى
عنه اغنا نفسه وعنه عليه الصلاة والسلام قال الايمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا وثمرته العلم وقيل اوحى الله
عز وجل الى داود عليه السلام اتخذ نعلين من حديد وعصا من
حديد واطلب العلم حتى تنكسر العصا والنعلان وعنه صلى
الله عليه وسلم قال اقرب الناس من درجة النبوة اهل
العلم والجهاد فاما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل
واما اهل الجهاد فجاهدوا ابا سيا فهم على ما جاءت به الرسل وعنه
صلى الله عليه وسلم قال موت قبيلة ايسر من موت عالم وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد
بخسه حظه ووضعه فى غير منزلته التى وضعه الله فيها
حيث قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال عليه الصلاة

والسلام فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان كذلك لان
العلم يبعث على فضل العبادة واما العبادة فقد لا تكون عبادة
مع خلوها من العلم وعنه عليه الصلاة والسلام قال الناس
معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا
وعنه عليه الصلاة والسلام قال يوزن يوم القيامة مداد العلماء
ودم الشهداء وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال من حفظ
على من امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له
شفيعا وشهيدا يوم القيامة ومن حمل على امتى اربعين حديثا
لقى الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما وعنه عليه الصلاة
والسلام قال من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله همه ورزقه
من حيث لا يحتسب وعنه عليه السلام قال يشفع يوم
القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة تتلو
النبوة وتعلو فوق الشهداء مع ما ورد فى فضل الشهادة وعنه
عليه الصلاة والسلام قال يبعث العباد يوم القيامة ثم
يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء انى لم اضع علمى فيكم الا
لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم
رواه الغزالى فى كتابه وعنه عليه الصلاة والسلام انه
قيل له يا رسول الله اى الاعمال افضل فقال العلم بالله سبحانه
قيل اى الاعمال تريد يا رسول الله قال العلم بالله سبحانه فقيل
نسئل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم
ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل
وقال عليه السلام عمل قليل فى علم خير من عمل كثير فى جهل
وعنه عليه الصلاة والسلام قال اوحى الله الى ابراهيم

عليه السلام انى عليم احب كل عليم وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال العالم امين الله فى الارض وقال عليه الصلاة
والسلام صنفان من امتى اذا صلحا صلح الناس الامراء والفقهاء
وعنه عليه السلام قال اذا اتى علىّ يوم لا ازداد فيه علما
يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك
اليوم وعنه عليه السلام قال فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وفضل العالم على العابد
كفضلى على ادنى رجل من اصحابى فانظر كيف جعل العلم مقارنا
لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العقل المجرد عن العلم وان
كان العابد لا يخلوا عن علم بالعبادة التى يواظب عليها
ولولاه لم تكن عبادة وعنه عليه السلام قال فضل المؤمن
العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وفى حديث آخر
بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد
المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام انه قال انكم
اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه
كثير معطوه وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه
قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وروى الغزالى
عنه عليه السلام انه قال نظرة الى العالم احب الىّ من عبادة
سنة وعنه عليه السلام الا ادلكم على اشراف اهل الجنة قالوا
بلى يا رسول الله قال هم علماء امتى وامثال هذا من الاحاديث
كثيرة واما الآثار فروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال
عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه بان تهلك رواته فوالذى
نفسى بيده ليؤذن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء ان يبعثهم

الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وعن الحسن انه قال يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال الحسن فى قوله عز وجل ربنا آتنا فى الدنيا حسنة قال هى العلم والعبادة وفى الآخرة حسنة قال هى الجنة وقال مصعب ابن الزبير لابنه تعلم العلم فان كان لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بنى تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم وقيل لبعض الحكماء اى الاشياء يقتنى قال الشئ الذى اذا غرقت سفينتك سبح معك يعنى العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قديم له والادب مال لا خوف عليه وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال بعض البلغاء تعلم العلم فانه يقومك ويسددك صغيرا ويقدمك ويسودك كبيرا ويصلح زيغك وفسادك ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك ويصحح همتك واملك وقال بعض العلماء من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو فى شئ صغير فرح ومن دفع عنه حزن وقال كميل بن زياد اخذ بيدى على ابن ابى طالب فاخرجنى الى ناحية الجبانة فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال لى يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها للخير يا كميل احفظ منى ما اقول لك الناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق وقال ان ههنا لعلما جما اى كثيرا واشار بيده الى صدره لو اصبت له حملة بلى قد اصبت لقنا غير مامون ويستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله

وبكتابه وبنعمه على معاصيه او منقادا لاهل الحق لا بصيرة له
فى احنائه يقتدح الشك فى قلبه باول عارض من شبهة لا يدرى
اين الحق ان قال اخطأ وان اخطأ لم يدر مشغوف بكلام بدعته
بدله فيها بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن بعبادته وان
من الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف
دينه وان من ابغض خلق الله اليه عبدا وكله الله الى نفسه الا
لا ذا ولا ذاك او من هو منهوم باللذات سلس القياد الى الشهوات
او مغرما بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه وليس من دعاة
الدين اقرب شبها به الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت
حامله ثم قال اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله عز وجل بحجة اما
ظاهرا مشهورا واما خفيا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وميثاقه بكم
واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه
حتى يؤديها فى قلوب اشباههم يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال المال تنقصه النفقة والعلم يزكوا بالانفاق
يا كميل صحبة العالم دين يدان الله به تكسبه الطاعة فى حياته
وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم
حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان الاموال وهم احياء
والعلماء باقون ما بقى الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب
موجودة هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعره منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
صحبوا الدنيا بادبار بل بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلا يا كميل
اولئك خلفاء الله فى ارضه والدعاة الى دينه هاه شوقا الى رؤيتهم
وقال ايضا العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم

ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف مثله وقال ايضا نظماً او غيره

الناس من قبل التمثيل اكفاء * ابوهم آدم والام حواء
نفس كنفس وارواح مشاكلة * واعظم خلقت فيهم واعضاء
وان يكن لهم في اصلهم نسب * يتفاخرون به فالطين والماء
لا فخر الا لاهل العلم انهم * هم الهداة لمن استهدى ادلاء
الناس موتى واهل العلم احياء * الناس مرضى وهم فيهم اطباء
الناس ارض واهل العلم فوقهم * سناً ونوراً فما في النور ظلماء
قل للذي يدعي في العلم معرفة * علمت شيئاً وغابت عنك اشياء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم اعداء
وضد كل امرئ ما كان يجهله * وللرجال على الافعال اسماء

وقال ابو الاسود الدؤلي ليس شئ اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال علي قيمة كل امرئ ما كان يحسنه وقيل لبزرجمهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فما بالنا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى الاغنياء على ابواب العلماء فقال ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال وجهل الاغنياء بفضل العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجتمع العلم والمال قال لعز الكمال وقال ابن المعتز في منثور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولاجله انصرفوا عن العلم واهله انصراف الزاهدين وانحرفوا عنه انحراف المعاندين لان من جهل شيئا عاداه قال الله سبحانه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولذلك قال يحيي بن خالد لابنه يا بني عليك بكل نوع من العلم فان المرء عدو ما جهل وانا اكره

ان تكون عدوا لشيء من العلم وينشد *

تفنن وخذ من كل علم فانما * يفوق امرؤ في كل فن له علم
فانت عدو للذي انت جاهل * به ولعلم انت تتقنه سلم

وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء فقيل من الملوك قال الزهاد قيل من السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير اهل العلم من الناس وقال بعض الحكماء ليت شعري اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبت الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اثقال الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق عن سكر بما اصابه من الجرحات في حالة السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وانشد يقول *

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرأ لم يحى بالعلم ميت * فليس له حتى النشور نشور

وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال يا ايها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من

العلم رداه الله عز وجل برداء فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب وعن الاحنف ابن قيس قال كاد العلماء ان يكونوا اربابا فكل عز لم يؤكده علم فالى ذل يصير وفي وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض العلماء اذا مات العالم بكى عليه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره قال ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا ولا يسقم نفسا فاخرج له طعام ونفقة فقال فاقتي الى كلامكم اشد من حاجتي الى طعامكم انى طالب هدى لا سائل ندا فاذن له العالم وافاده من كل ما سال فخرج جذلان فرحا وهو يقول علما اوضح لبسا خير من مال اغنى نفسا * (فصل) * واما فضل العلم من جهة المعانى والعقل اما من جهة المعانى فوجوه كثيرة ايضا وذلك ان الله سبحانه قال في كتابه قل متاع الدنيا قليل فقللها وصغرها مع ان العقلاء والناس عليها يقتتلون كل القتال وفيها يتنافسون كل التنافس وعظم العلم وجعله خيرا كثيرا فاذا كان هذا القليل الفاني يتنافسون فيه الناس هذا التنافس ويقتتلون عليه هذا القتال ويطلبونه هذا الطلب فهذا المعنى الذى شرفه الله وعظمه وجعله خيرا كثيرا اولى بالتنافس فيه وشدة الحرص عليه والطلب له اذ فيه عز الدنيا والآخرة والحياة الابدية والنجاة في العاجل والآجل وايضا فانه سبب النجاة من المهلكات في الدنيا والآخرة لان المعاصي فيها الهلاك في الدنيا والآخرة والطاعة

فيها النجاة في الدنيا والآخرة ولا يتوصل الى معرفة الطاعة
والمعصية الا بالعلم والدليل على فضل العلم من جهة العقل ايضا
ان العلم سبب سعادة الانسان في الدنيا والآخرة اما في الدنيا
فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع
حتى ان اغنياء جهال العرب والعجم يصادفون طباعهم مجبولة
على التوقير لمشايخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة
بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال
مجاوز لدرجتها واما في الآخرة فمعلوم ان العلم هو وسيلة الى السعادة
الابدية وذريعة الى القرب من رب العالمين واعظم الاشياء في
حق الآدمي ما هو وسيلة الى ذلك ولن يتوصل الى القرب منه عز
وجل الا بالعمل والعلم ولا يتوصل الى كيفية العمل الا بالعلم
فاصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال
وقد سئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء ولم يجعل غيرهم
من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الانسان عن سائر البهائم
هو العلم فقيل للانسان انسان بما هو شريف من اجله وليس
ذلك بقوة شخص فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم
منه ولا بشجاعة فان السبع اشجع منه ولا بكثرة الاكل فان
الجمل اوسع بطنا منه ولا بقوة شهوة الجماع فان اخس الطيور
اقوى سفادا منه بل لم يخلق الا للعلم وبالله التوفيق
واما من جهة المحسوس فان هذه الصنائع كلها التي جعل الله
فيها قوام النفوس والابدان من بناء وحراثة وخياطة
الى غير ذلك من اسباب المنافع لو جهل الناس ذلك كله
لاختل امرهم ومعاشهم وانعدمت المنافع وهلك الجميع

ثم راينا هذا الانسان العالم بالصنعة يكتسب منها الخير ويجلب بها منافع كثيرة والجاهل بالصنعة لايجلب منفعة قد تعطل من جميع المنافع وضاع واحتاج واختل امر عيشه ودينه فلا يستوى من علم شيئا مع من جهله قال الله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وايض فان الكلب المعلم قتله للصيد ذكاة له واباحة لاكله وغير المعلم يجيف الصيد ويفسده فيحرم اكله وكذلك العالم العامل انما تصح عبادته بعلمه والجاهل لاتصح عبادته لانه عمل بالجهل فاجاف العبادة وافسدها كما ان الكلب غير المعلم اجاف الصيد وافسده فحرم اكله وغير ذلك من المعانى المحسوسة فى فضل العلم كثير وبالله التوفيق *

الباب الثانى فى فضل التعلم والتعليم

وفى هذا الباب فصلان الاول فى فضل التعلم اما الآيات فقد قال الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله ولينذروا قومهم الآية وذلك فيما وجدت فى الاثر ان الناس فى عهد النبى عليه السلام يخرجون جميعا فى الجهاد فنزلت هذه الآية حثا منه تعالى فى التعلم ان يقيم بعضهم بعضا ويغزوا بعضهم فتقدم الغزاة فيخبرهم القاعدون بما احدث الله على نبيه عليه السلام وذلك قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين الآية وقال تعالى ايض فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون واما الاحاديث الواردة فى التعلم فكثيرة كقوله عليه السلام من طريق جابر ابن زيد عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا العلم ولو بالصين والصين اقصى بلاد التوحيد فلما

اوجب طلب العلم بالصين دل ان طلبه فيما دون ذلك اكد
واوجب ومن طريقه عنه عليه السلام انه قال ان الملائكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا لما يطلب قال الربيع عن ابي عبيدة
رحمهم الله وضع الاجنحة من الملائكة يدل من رفع الايدي في الدعاء
ومن طريق ابي هريرة عنه عليه السلام قال من سلك طريقا يلتمس
فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وعنه عليه السلام من طريق
جابر بن زيد انه قال من تعلم العلم لله عز وجل وعمل به حشره الله يوم
القيامة آمنا ويرزقه الورود على الحوض وعنه عليه السلام قال لان
تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة وعنه عليه
السلام قال باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها
وعنه عليه السلام قال طلب العلم فريضة على كل مسلم بالغ وعنه عليه
السلام قال العلم خزائن ومفاتحه السؤال فاسئلوا فانه يوجر
فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم
وعنه عليه السلام قال لا ينبغي للعالم ان يسكت عن علمه
وفي حديث ابي ذر حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف
ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول
الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع
القرآن الا بالعلم وعنه عليه السلام قال من جاءه الموت
وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء درجة في الجنة
واحدة واما الآثار فروي عن ابي الدرداء انه قال لان
اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايض العالم والمتعلم
شريكان في الاجر وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايض كن
عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقيل لكسرى

انوشروان مالكم لا تستفيدون من العلم شيئا الا زادكم عليه حرصا فقال لانا لا نستفيد منه شيئا الا ازددنا بعظم منفعته علما قيل ما بالكم لا تانفون من التعلم من كل احد قال لعلمنا ان العلم نافع من حيث اخذ وعن سعيد بن جبير قال كنت عند ابن عباس جالسا اذا تاه اهل التفسير فسالوه واتاه اهل القرآن فقرؤا عليه فاخذ عليهم بالاعراب ثم جاءه اهل الحلال والحرام فسالوه ثم جاءه اهل الشعر والعربية فسالوه فاخبرهم حتى جاءه قوم من اهل فارس فسالوه عن رستم واسفنديار فاخبرهم بحديثهم فقمت اليه فقبلت راسه فقلت يا ابن عم رسول الله عليه السلام ما على الارض اعلم منك فتبسم وعن ابن عباس قال ذللت طالبا فعززت مطلوبا وعن محمد بن كعب القرظي قال سمعت ابن عباس يقول والله لربما مررت بالآية من كتاب الله عز وجل في جوف الليل فلا اعرف فيمن انزلت فآخذ ثوبي ثم آتي المسجد واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واوقظ الرجل منهم واساله فيمن نزلت آية كذا وكذا فان لم اجد عند واحد منهم اتيت آخر كذلك حتى امر عليهم جميعا وربما غدوت عليهم فامر بالمهاجرين فاسالهم فان لم اجد عندهم اتيت الانصار فاتبعهم رجلا رجلا حتى اجد حاجتي وكان فيما بلغنا ينام على ابواب الصحابة في الهواجر حتى تلفح وجهه للتعلم منهم وكان له قلب عقول ولسان سئول حتى فاق اهل زمانه علما وفقها ويسمونه البحر لما فيه من كثرة فنون العلم ويقال انه قعد ذات يوم مع اصحابه فقال لهم اسالوني ما دون السماء السابعة والارضين السفلى فاخبركم به ولذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته

رايت احسن الناس وجها فاذا تكلم فاعرف الناس لسانا واذا
افتى فاكثر الناس علما وللمامات قال جابر بن زيد اليوم دفن
ربانى هذه الامة وقال بعض العلماء تعلموا فاذا تعلمتم فاعملوا
وعلموا وقال اذا تعلمتم علما فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك
ولا بباطل فتمجه القلوب وقال بعض الحكماء لبنيه تعلموا العلم
فان لم تنالوا به فى الدنيا حظا فلان يذم الزمان لكم خير من
ان يذم بكم وعن الاصمعى انه قال رآنى اعرابى فى البادية وانا اطلب
العلم فقال يا اخا الحضر عليك بلزوم ما انت فيه فان العلم زين
فى المجالس وصلة للاخوان وصاحب فى الغربة ودليل على المروءة
ثم انشأ يقول شعرا * * *

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

الابيات المشهورة قال ورآنى اعرابى اكتب كل ما اسمع فقال
ما انت الا الحفظة تكتب لفظ اللفظة قال ورآنى اعرابى
آخر وانا اكتب كل ما اسمع فقال انت حتف الكلمات الشاذة
قال بعضهم رأى اعرابى رجلا من قريش يطلب الادب فقال له
اطلب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة فى العقل وصلة فى
المجلس وانشد شعرا * * *

من كان للدهر خدنا فى تصرفه * اهدت له صفوة الايام تجريبا
من كان خلوا من الآداب سربله * كر الليالى مع الايام تدريبا

ويقال الادب نوعان ادب درس وادب نفس وهو افضلها وانشد

ادب المرء كلحم ودم * ما حواه جسد الا صلح
لو وزنتم تاديب واحد * الف الف من ذوى الجهل رجح

فصـــل ويروى ان النبى عليه السلام جاءه رجل من مراد
يقال له صفوان بن غسان المرادى وهو متكئ على برد له احمر
فى المسجد فقال له يا رسول الله جئت اطلب العلم فقال مرحبا
يا طالب العلم ان طالب العلم لتحف به الملائكة وتكنه باجنحتها
يركب بعضهم بعضا حتى يبلغ قوائم العرش يستغفرون له ويصلون
عليه ويترحمون عليه لفرحهم بما يطلب صلوات الله عليهم ابو
امامة الباهلى عنه عليه السلام قال يا ايها الناس عليكم بالعلم قبل
ان يرفع وقبل ان يقبض فالعالم والمتعلم كهذه وهذه وجمع بين
اصبعيه الوسطى والتى تليها شريكان فى الاجر والخير معا ولا خير
فى سائر الناس معهما بل بعدهما وعنه عليه السلام قال من خرج
من بيته يريد مسجدى هذا لا يريد الا ليتعلم خيرا او يعلمه كان
كمنزلة المجاهد فى سبيل الله قال وسمعنا عنه عليه السلام انه
كان يقول ان الموت اذا جاء طالب العلم على هذه الحالة مات شهيدا
وعنه عليه السلام قال اذا جلس العالم على فراشه فنظر فى علمه ساعة
كان افضل من عبادة المؤمن عاما واحدا وعنه عليه السلام قال
كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء
واسمعوا علما يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى وعن معاذ بن جبل
انه قال فى التعلم والتعليم ويقال انه مرفوع الى النبى عليه السلام
انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته
تسبيح والبحث عليه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة وهو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل
على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء
ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم فى الخير

قادة هداة يقتدى بهم ادلة فى الخير تقتفى آثارهم وترمق اعمالهم
ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رايهم وترغب الملائكة فى خلتهم
وباجنحتها تمسحهم كل رطب ويابس يستغفرون لهم حتى حيتا
البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان
العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلمات وقوة
الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار ومجالس
الملوك والدرجات العلا فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل
بالصيام ومدارسته تعدل بالقيام به يطاع الله عزوجل وبه
يعبد وبه يوحد وبه يعمل له وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل
الارحام ويعرف الحلال والحرام هو امام العمل تابعه يلهمه الله
تعالى السعداء ويحرمه الاشقياء * (الفصل الثانى فى التعلم) *
اما الآيات قال الله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد
بذلك هو التعليم والارشاد وقال سبحانه واذا اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فى هذه الآية
ايجاب التعليم وقوله عزوجل وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ومن
يكتمها فانه آثم قلبه وقال سبحانه ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة الآية
وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة واما الاحاديث فروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما اتى الله سبحانه عالما
علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذه من النبيين ان يبينه
للناس ولا يكتمه وعنه عليه السلام لما بعث معاذا رضى
الله تعالى عنه الى اليمن قال لأن يهدى الله سبحانه بك رجلا

واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام فيما حكى عنه من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقا وعن عيسى عليه السلام انه قال من علم وعمل او علم فذلك الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات والارض وعن النبى عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا فيشفعوا ويشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعالم المتصدى للتعليم لا اللازم الذى لا يتصدى وعنه عليه السلام انه قال ان الله لا ينزع العلم انتزاعا ينتزعه من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وعنه عليه السلام قال من كتم علما علمه الله اياه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وعنه عليه السلام نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وعنه عليه السلام انه قال ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير وعنه عليه السلام قال لما افاد المسلم اخاه فائدة احسن من حديث حسن بلغه فبلغه اياه وعنه عليه السلام قال كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وروى انه عليه السلام خرج ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله عز وجل

ويرغبون اليه والثانى يعلمون الناس فقال اما هؤلاء يسئلون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم فجلس معهم وعنه عليه السلام انه قال مثل ما بلغنى بل بعثنى الله عزوجل به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله سبحانه به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعانا لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى للنافع والثالث للمحروم منه وعنه عليه السلام قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الحديث وعنه عليه السلام قال الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله وعنه عليه السلام انه قال لا تمنعوا العلم اهله فان فى ذلك فساد دينكم والتباس بصائركم ثم قرا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الآية وعنه عليه السلام قال اذا ظهرت البدع فى امتى فعلى العالم ان ينشر علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وينشد *

النطق ينهض بالفتى * مالم يكن عى يشينه
والعلم اجمل بالفتى * من كل منفعة تزينه

واما الآثار فروى عن عمر بن الخطاب انه قال من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وعن ابن عباس رضى الله عنه معلم الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر وقال بعض

العلماء العالم يدخل بين الله تعالى وبين خلقه فينظر كيف يدخل وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت له ما ابكاك قال ليس احد يسئلني عن شئ وقال بعض السلف العلماء سرج الازمنة كل واحد منهم مصباح زمانه يستضيئ به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم يعني يخرجون الناس بالتعليم من حد البهيمة الى حد الانسانية وقال بعض مشايخنا رحمهم الله من مشى الى العالم فانه يوزن له سبعة اميال من ستة جهات فان مات في ذلك مات شهيدا قال والنفقة في طلب العلم افضل من النفقة في الجهاد وقال والنظر في الكتاب عبادة قال وان وقف له حرف فكان في ترديده فانه في ذلك الوقت كالمتشحط بدمه في سبيل الله ونفسه في ذلك الوقت تسبيح وتقليبه الورقات كالمتقلب من نزعة الى نزعة في سبيل الله وحكي عن عكرمة قال ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وعن يحيى بن معاذ قال العلماء ارحم بامة محمد عليه السلام من آبائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وبالله التوفيق * (فصل) *

وينبغي للانسان بل يجب عليه فرضا ان يتعلم دينه والعمل به (لان بمعرفة دينه) يستوجب الرضوان من ربه وبجهله يستوجب النيران من خالقه اذ لا تصح عبادة وفاعلها يجهل صفة ادائها ولم يعلم شروط اجزائها ولذلك قال عليه السلام عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل ويقال ركعتان من عالم افضل من

عبادة الجاهل سنة ومسئلة من عالم خير من عبادة الجاهل سنة
وذكر عن ابي محمد خصيب بن ابراهيم رحمه الله انه اجتاز على
معلم في بلد تنومات وهو يريد التعلم عند ابي الربيع سليمان
اللالوتي رحمه الله فقال له المعلم اين تريد فاخبره فقال له جيد
يا بني جيد الدنيا كلها ظلمة الا العلم والعالم فيها دليل ركعتان من
عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة وعبادة الجاهل كحمار
الطاحونة يدور ولا يبرح وقال بعض مشايخنا رحمهم الله من لم
تكن فيه خصلة من خصال ثلاث فحياته كسائر الناس والبهائم
توطين النفس على الحج كفعل جابر بن زيد رحمه الله واظب عليه
حتى حج اربعين حجة وتوطين النفس على الشراء في سبيل الله
كفعل ابي بلال مرداس بن جدير رحمه الله والثالثة توطين النفس
على طلب العلم وافادته كفعل ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة رحمه الله
مكث في التعلم اربعين سنة ثم مكث بعد ذلك في تعليمه اربعين
سنة اخرى وروى عن ابي يوسف مجدول النزعتي انه مكث في
التعلم بعدما ولد خليل ابنه ثمان عشرة سنة ويقال انه قعد في
طلب العلم اثنين وثلاثين سنة خمسة عشر سنة عند ابي محمد
الكباوي وسبعة عشر سنة عند ابي محمد الدرفي وان ابا زكرياء
الجناوني رحمه الله مكث في التعلم اثنين وثلاثين سنة والله اعلم
وقال بعض الحكماء الناس ثلاثة قدوة ومقتد والثالث لا يفلح
وقال الازدي الناس ثلاثة عالم مرتفع ومتعلم منتفع وماسواهما
منقطع وعن النبي عليه السلام قال ما انتعل عبد قط ولا تخفف
ولا لبس ثوبا ليغدو في طلب علم الا غفر له حيث يخطو عتبة باب
بيته ويقال اطلبوا العلم فان نعمة الجاهل كروضة على مزبلة وقال

بعض العلماء كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحا وقال
اطلبوا العلم من مظانها اى من مواضعها التى يظن بها ويقال
اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره
وقال علم علمك من يجهله وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك
علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال عطاء مجلس الذكر
يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضى الله
تعالى عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون
من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال بعض العلماء
طلب العلم افضل من النافلة وقال ابو الدرداء من رأى ان
الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رايه وعقله وقال
النبى عليه الصلاة والسلام لا حسد الا فى اثنتين رجل
آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها ورجل آتاه الله مالا
فيسلطه على هلكته فى الحق واما الدليل على فضيلة التعلم
والتعليم من شواهد العقل ومن كتاب الغزالى فانه لما كان
العلم افضل الاشياء كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه للغير
افادة الافضل لغيره وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة فى
الدين والدنيا ولا نظام فى الدين الا بنظام الدنيا لان الدنيا
مزرعة للآخرة وهى المطية والآلة الموصلة الى الله تعالى
لمن اتخذها آلة ومطية ومنزلا لمن اتخذها مستقرا ووطنا
وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين وحرفهم وصناعاتهم
تنحصر فى ثلاثة اقسام احدها اصول لا قوام للخلق الا بها
وهى اربعة احدها الزراعة للمطعم والثانى الحياكة وهى
للملبس والثالث البنا وهو للمسكن والرابع السياسة وهى

المتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها
الثانى ماهى مهيات لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة
لها كالحدادة تخدم الزراعة وجملة من الصناعة وكالحلاجة
والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها الثالث ماهى متممة
للاصول ومزينة كالطحانة والخبز للزراعة وكالقصارة وكالخياطة
للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام الحيوان الارضى مثل اجزاء
الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اما اصول كالقلب والكبد
والدماغ واما خادمة له كالمعدة والعروق والشريانات
والاعصاب واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين
واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة
بالتاليف والاستصلاح ولذلك يستخدم لامحالة صاحب
صناعة السياسة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح
الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة
تنقسم على اربعة مراتب الاولى وهى العليا سياسة الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين وحكمهم على الخاصة والعامة فى
ظاهرهم وباطنهم الثانية سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين
على الخاصة والعامة لكن على ظاهرهم لا على باطنهم الثالثة
سياسة العلماء بالله عزوجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء
وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة
منهم ولا تنتهى قوتهم الى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع
الرابع سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف
هذه السياسات الاربع بعد سياسة النبوة افادة العلم وتهذيب
نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى

الاخلاق المحمودة السعيدة المنجية وهو المراد بالمعلم قال وانما قلنا ان هذا اشرف من سائر الصناعات لان شرف الصناعات يدرك بثلاثة امور اما بالالتفات الى غريزة العقل التى بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية٧ وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما تقدم اذ به يقبل العبد امانة الله عز وجل وبه يصل الى جوار الله سبحانه واما عموم النفع فلا يستراب فيه اذ ثمرة منفعته سعادة الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانسان واشرف جزء من شخص الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب من جوار الله سبحانه فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله عز وجل وهو اجل خلايفه لان الله سبحانه قد فتح على قلب العالم خزانة العلم الذى هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزاينه ثم هو ماذون فى الانفاق على كل محتاج اليه فاى رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم الى الله عز وجل وسياقتهم الى جنة المأوى وبالله التوفيق

*

(الباب الثالث فى فرض العين) اعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها محال

٧ قوله وصفاء عطف على ثمرة [illegible]

ولذلك قال النبي عليه السلام من ظن ان للعلم غاية فقد
بخسه حظه ووضعه في غير منزلته التي وصفه الله
تعالى بها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال سبحانه
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى قوله ما نفدت كلمات الله
وقال بعض الحكماء ولو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدانا
العلم بالنقيصة ولكنا نطلبه لننتقص كل يوم من الجهل ونزداد
كل يوم من العلم وقال بعض البلغاء المتعمق في العلم كالسابح في البحر
ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا وينشد *

يا نفس خوضي بحار العلم او غوصي * والناس ما بين معموم ومخصوص
لا شئ في هذه الدنيا يحيط به * الا احاطة منقوص بمنقوص

فاذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام
الى معرفة اهمها والعناية باولاها وافضلها واولى العلوم واوجبها
على الانسان علم دينه لان الناس بمعرفته يرشدون وبجهله
يضلون لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل محتلم وفي
حديث آخر على كل مسلم وقوله اطلبوا العلم ولو بالصين وفي
كتاب الغزالي قال اختلف الناس في العلم الذي هو فريضة على
كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة قال ولا نطول فيه بذكر
التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي
هو بصددها فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد
ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ
به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات
وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقايع النادرة
وقال المفسرون والمحدثون هو علم القرآن والسنة اذ بهما

يتوصل الى العلوم كلها وقال بعض المتصوفة هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمسة فيجب العلم بكيفية العمل فيها وكيفية الوجوب والحق فى هذا ان العلم المفروض على الانسان الذى هو القطب وعليه المدار هو فى الجملة ينقسم ثلاثة اقسام اعتقاد وفعل وترك اما علم الاعتقاد فهو علم التوحيد وجميع ما لا يسع جهله كل عاقل عند حال بلوغه بالاحتلام او بالسنين ومعرفة فرائض القلب من الاخلاص والنية والتوبة والخوف والرجاء والتوكل والتفويض والرضا والصبر وما يسلم به العمل على ما سياتى ان شاء الله ومعرفة الشرك وما ينفى به عن الله تعالى ما لا يليق به من صفات خلقه اذا ورد ذلك على قلبه او سئل عنه وكذلك يجب عليه معرفة دواعى الشر من الرياء والحسد والعجب والكبر وغير ذلك من مذموم احوال القلب فازالتها فرض عين ولا يمكن ذلك الا بمعرفة حدودها واسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه واما الفعل فنعنى به فعل الفرائض البدنية كالطهارة والصلاة والصوم والفرائض المالية من الزكاة والكفارات والنفقات وغيرها وما لا يمكن فعله منها الا بالبدن والمال كالحج والجهاد فهذه الفرائض اذا تعين فعلها

على العبد بدخول اوقاتها والتمكن لادائها وجب عليه معرفة كيفية الاتيان بها مثل ان يعيش من ضحوة النهار الى دخول وقت الظهر فيتجدد عليه معرفة الطهارة والصلاة وهكذا بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بدخول وقته تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن جميع ما ينقض الصوم واستكمال طرفي المفترض عنه وهو ان يصام لرؤية الشهر ويفطر لرؤيته فان كان له مال عند بلوغه او دخل في ملكه مما تجب فيه الزكاة لزمه معرفة ما يجب عليه عند تمام الحول واداءه الى اهله وكذلك الحج اذا وجب عليه بشروطه لكن لا تجب عليه المبادرة عند دخول اشهر الحج لانه على التراخي في قول بعضهم فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي للعلماء ان ينبهوه على ان الحج فرض على من ملك الزاد والراحلة وحصلت له الاستطاعة بالكمال وانه على التراخي في قول بعضهم حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج واركانه وواجباته دون نوافله فان تعلم ذلك وتعلم النفل نفل وكذلك الجهاد اذا تعين عليه وذلك بان يكون اماما او منظورا اليه لا يقوم فرض الجهاد الا به وهكذا التدريج في تعلم سائر الافعال التي هي فرض عين واما الترك فنعني به ترك المعاصي بجميعها ظاهرا وباطنا فيجب عليه تركها ولا تضيق عليه معرفتها ما خلا الشرك فانه مضيق عليه علمه ولا يسعه جهله واما غير الشرك من جميع الحرام فانه يسعه جهله ما لم يرتكبه او يتولى من ركبه او يتبرا ممن تبرا منه او وقف فيه وهذا معنى قول اصحابنا رحمهم الله العلوم ثلاثة علم لا يسع جهله طرفة عين كالتوحيد والشرك وعلم يسع جهله الى الورود مثل صفة من

صفات الله تعالى اذا وردت عليه او نبي او ملك قامت به الحجة عليه ومثل الفرائض الموسومات الاوقات كالصلاة والصوم وما قدمنا ذكره والثالث علم ما يسع جهله ابدا كقسمة المواريث ودقائق الربا وارش الجراحات وما اشبه ذلك يسع جهل ذلك مالم يبتلا بالعمل او يتقول على الله فيه الكذب وبالله التوفيق واما اذا اتى بالتوحيد فمات قبل ان يجب عليه فرض او يرتكب محرما او يعتقد بدعة فقد مات على الاسلام اجماعا فتبين بما قلنا ان قوله عليه السلام اطلبوا العلم ان المراد به العلم بالله والايمان به وملائكته وكتبه ورسله والحشر والجنة والنار في سائر ذلك من وظائف التوحيد والعلم بالعبادات والفرائض حتى تؤدي بالكمال والعلم بالمعاصي حتى لا تمتثل لان الانسان في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عبادته ومعاملاته فيلزمه السؤال عن كل ما يقع من النوازل والمبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله عليه السلام طلب العلم فريضة انه علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المكلف لا غير وقد اتضح وقت التدريج في وقت وجوبه وبالله التوفيق *(فصل)* اعلم ان العلم والعمل جوهران لاجلهما كان جميع ما ترى وما تسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما من الخلق بل لاجلهما خلقت الدنيا والآخرة قال الله سبحانه الذي خلق سبع سموات الى قوله لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما فكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لا سيما علم التوحيد وقال عز من قائل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكفى بهذه الآية

دليلا على شرف العبادة ولزومها فاعظم بامرين هما المقصود من
خلق الدارين فحق على العبد الا يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر
الا فيهما واعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل
له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك
قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وعنه عليه
السلام قال الا ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال
هم علماء امتي وعنه عليه السلام انه قال نظرة الى العالم احب
الي من عبادة سنة صيامها وقيامها روى هذا الحديث الغزالي في
كتابه وقد ذكرنا في فضل العلم ما فيه كفاية فبان لك ان العلم اشرف
جوهرا من العبادة ولكن لابد للعبد من العبادة والا كان علمه هباء
منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة اذ هي الاصل لكن الانتفاع انما يكون
بالثمرة فاذا لابد للعبد من كلا الامرين يكون له منهما حظ ونصيب
كما قيل عن الحسن البصري انه قال اطلبوا هذا العلم طلبا لا تضروا
بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولما استقر
انه لابد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة لانه
الاصل والدليل ولذلك قال عليه السلام العلم امام العمل والعمل
تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا فيلزمك تقديمه على العبادة
لامرين احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانه احق من يجب ان
تعرفه اولا المعبود عز وجل ثم تعبده فكيف تعبد من لا تعرفه
باسمه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل عليه في صفاته
عز وجل لانه ربما تعتقد فيه شيئا ما خالف الحق فتكون عبادتك
هباء منثورا ثم يجب عليك ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات
الشرعية لتفعل ذلك على ما امرت به وتعلم ما يلزمك تركه من المناهي

لئلا نقع في شيء من ذلك وانت جاهل بتحريمه فتكون غير معذور لانه كيف تقوم بطاعات لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل وكيف تجتنب المعاصي وانت لا تعلم انها معاصي حتى لا توقع نفسك فيها ولذلك قال عليه السلام عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل فاعلم ان بناء امر العبادة كلها على العلم ولا سيما علم التوحيد والعبادة الباطنة وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا هو الذي يقربك الي واعلم ان الخطر العظيم فيمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء ويباهي به النظراء ويتصيد به الحطام فمن كان كذلك فتجارته بائرة وصفقته خاسرة وقال بعض السلف عملت بالمجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا اشد من العلم وخطره واياك ان يزين لك الشيطان فتقول اذا كان العلم بهذه الحالة من الشدة والخطر فتركه اولى واياك ان تظن ذلك فقد ذكر الغزالي في كتابه عن النبي عليه السلام قال اطلعت ليلة المعراج عن النار فرايت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا بل من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى بعبادة الملائكة بغير علم كان من الخاسرين هكذا ذكرت العلماء وفيه قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الى قوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال سبحانه ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون الاية فشمر ايها المسترشد ايدك الله في طلب العلم

بالبحث والجد والاجتهاد واجتنب الكسل والملال والاقامة على خطر الضلال وفقنا الله سبحانه واياك للعلم النافع والعمل بره وبالله التوفيق

(الباب الرابع) في العلم الذي هو فرض كفاية

ذكر الغزالي في كتابه فقال اعلم ان الفرض لا يتميز من غيره الا بذكر اقسام العلم ثم قال والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية قال واعني بالشرعية ما يستفاد من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا يرشد العقل اليه وذلك مثل الحساب ولا ترشد التجربة اليه مثل الطب ولا السماع وذلك مثل اللغة قال والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب قال وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة قال اما فرض كفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في امر قوام الدنيا اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها فهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن من يقوم بها خرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين قال ولا تتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفاية كالفلاحة والخياطة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام لسارع الهلاك اليهم وخرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله قال واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب ودقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه

٧ قال فان اصول الصناعات من فروض الكفايات صح

ولكنه يفيد زيادة قيمة في القدر المحتاج اليه قال واما المذمومة فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات قال واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجرى مجراه قال واما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها قال ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة وتنقسم الى المحمودة والمذمومة قال فاما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة نبيه واجماع الامة وآثار الصحابة رضي الله عنهم فالاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة وهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متألما لما يعرض وهذا على ضربين احدهما ان يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وكنحو العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها الضرب الثالث المقدمات

وهو الذى يجرى مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله سبحانه وسنة نبيه عليه السلام وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية ولكن لزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم الكتابة والخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان النبي اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك فى علم القرآن تنقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والباطن والظاهر فى امثال ذلك وهو العلم الذى يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات فى الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واسمائهم ولا سيما فى الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوى والعلم باعمالهم ليتميز المرسل من المسند وكذلك ما يتعلق به قال فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفاية قال فان قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة والنار فهذا مبداهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للميعاد ليتناول منها

ما يصلح للتزود فلو تناولها بالعدل لانقطعت الخصومات
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها
الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج
السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون
السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات
فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق
وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري
هو متعلق ايض بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا
فان الدنيا
مزرعة للآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان
فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا
حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان
وطريق الضبط في فصل الخصومات الفقه فكما ان سياسة
الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو
معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة
فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن
الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا
يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة طريق الحراسة وحيلها وقوانينها
شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل
على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف
فالامير هو الامام وكانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما
وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة فقد كان الصحابة
رضي الله عنهم يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد منهم على
صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة

ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة ولم
ينصب بنفسه للفتوى منهم الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم
وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذى تقلد امور
الناس وضعها فى عنقه اشارة الى ان الفتوى فى القضايا والاحكام من
توابع الولاية والسلطنة وفى بعض الروايات بدل المتكلف المراءى
فان من يتقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب
الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك فى الاحكام والحدود والجراحات
والغرامات فلا يستقيم لك فى العبادات من الصلاة والصوم والزكاة
وغير ذلك من الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم فيه الفقيه من
اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والحلال والحرام واذا تاملت منتهى
نظر الفقيه علمت انه لا يجاوز حد الدنيا الى الآخرة فاذا عرفت هذا
فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح
منه وما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان
اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنها حيث قال هلا شققت عن
قلبه فى الذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف
السيف لا يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل
والحيرة ولكنه ميسر على صاحب السيف فان السيف ممتد الى
رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته
وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال عليه
السلام أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
فقد عصموا منى دماؤهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله جعل
اثر ذلك فى الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال بل انوار

القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك فى فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان خائضا فى غير فنه كما لو خاض فى الكلام او الطب كان خارجا عن فنه واما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة اى ما يفعله المصلى يحصل به امتثال صيغة الامر بالصلاة وينقطع به عنه القتل والتعزير اذا اتى بصورة الاعمال مع الشروط الظاهرة وان كان غافلا فى جميع صلاته الا عند تكبيرة الاحرام وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما ان القول باللسان لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة واما الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر فلا يتعرض له الفقيه ولو تعرض لهم كان خارجا عن فنه واما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذها السلطان قهرا حكم بانه برئت ذمته كما حكى ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته فى آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكاة فحكى ذلك لابى حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة اعظم من كل خيانة ومثل هذا العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهود وهو الذى يخرج بعدمه الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر البين الثانية ورع الصالحين وهو التوقى فى الشبهات التى تتقابل فيها الاحتمالات قال عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه ان يؤدى الى الحرام قال عليه السلام لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما فيه الباس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من ان يجر ذلك الى

الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر وكالتورع عن النظر المؤدى الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله عز وجل خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى وان كان يعلم ويتحقق ان ذلك لا يفضى الى حرام فهذه درجات الورع وهى كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى الآخرة وقال عليه السلام لوابصة استفت قلبك يا وابصة وان افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم فى حزازة القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى الاثم وصفات القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شئ من الطب والحساب والنحو وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر قال وكان سفيان الثورى وهو امام فى علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة وقد اتفقوا على ان الشرف فى العلم ليعمل به فكيف نظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات والشرف هو علم تلك الاعمال ومع هذا فلا ينبغى ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعنى علم الفتاوى وعلم اللغة والنحو المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما تقدم ذكره من انواع العلوم التى هى فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجينا لهذه العلوم

فالمتكلفون بالعلوم كالمتكلفين بالثغور والمرابطين بها والغزاة مجاهدون في سبيل الله عز وجل فمنهم الردء المعاونة ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعاهدهم ولا ينفك واحد منهم عن الاجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال هم درجات عند الله ولا تظنن ان من نزل عن الرتبة القصوى فساقط بل الرتبة العليا الانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخون في العلم ثم الصالحون على تفاوت درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اذا كان قصده بعلمه الله تبارك وتعالى واما من تجرد لعلم الخصومات والجدال وتفريعات الفتاوى والنحو واللغة وتواريخ الاخبار من غير ان يمزج ذلك بشيء من العلوم الدينية فلا يزيد المتجرد لها مع الاعراض عن سواها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله سبحانه ولا برهان على ذلك كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر تشاهد ذلك في البلاد والعباد وبالله التوفيق *

مسئلة وبالجملة ان كل فرض يتعلق فعله على الكفاية فتعلم ذلك الفرض متعلق على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين وان تركه الجميع من الناس هلكوا وذلك كعلم القضايا والاحكام وقسمة المواريث وقصاص الجراحات وعلم اداء حقوق الموتى من الغسل والكفن والصلاة عليهم ومواراتهم وعلم الجهاد وتعلم القرآن ما خلا ما لا يجوز الصلاة الا به وتعلم الرد على اهل البدع ونقل الشريعة وبالله التوفيق *

* (الباب الخامس) * في بيان حد الفقه والكلام في علم الدين وطريق الآخرة وحد الكلام والفلسفة وهذا الباب يتوزع منه ثلاث فصول الاول في حد الفقه وقد تقدم الكلام في انه مرتبط بمصالح

الدنيا

الدنيا لسياسة الخلق كما ان علم الطب موضوع لاعتدال صحة الجسد في الدنيا فان قيل قد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايض يتعلق بالدنيا وذلك يتعلق به صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق والفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه احدها انه علم شرعي اى هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فليس هو من علم الشرع هكذا ذكر الغزالي في كتابه والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فليس يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في عمل الجوارح ومصدر الاعمال ومنشاها صفات القلب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفاء المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايض شرف علم الآخرة وبالله التوفيق

(الفصل الثاني) في علم الدين والطريق الآخرة فاعلم انه قد ذكر الغزالي في كتابه ان علم طريق الآخرة قسمان احدهما علم معاملة وهو علم باحوال القلب وهو نوعان محمود ومذموم فالمحمود منها كالصبر والشكر والخوف والرجا والتوبة والرضا والتوكل والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال والخشوع والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص وما اشبه ذلك من محمود احوال القلب وصفاته ومعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود فذلك كله من علم الآخرة

واما المذموم منها فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطوا والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقساوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا والطيش والعجلة وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة المعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا وبحكم فتوى فقهاء الدنيا وبالله التوفيق * (القسم الثاني) * علم مكاشفة وهو علم الصديقين والمقربين وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عن تطهيره وتزكيته عن صفاته المذمومة فتنكشف

فى ذلك النور امور كان يسمع بها من قبل اسمائها ويتوهم لها معانى مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى او بصفاته التامات وبافعاله وبحكمته فى خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبى والنبوة وبمعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله سبحانه ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملاء الاعلا ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدرى فى جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ الناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذى اعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهوم من الفاظها ولهذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله تعالى الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى امورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة

الله ما انتهى اليه اعتقاد العوام وهو انه موجود قادر عالم سميع بصير متكلم فالمراد بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لاشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداؤه وخبثه بقذورات الدنيا وانما معنى طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله تعالى وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالنبيين فى جميع احوالهم فبقدر صفاء مرآة القلب من الخبائث وتحليته بانوار الطاعات تظهر فيه صور الحقائق وتتلألأ فيه لوايح الصدق ولا سبيل الى ذلك الا بالمجاهدة ورياضة النفس وبالعلم والتعلم تحقيقا لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهذا العلم هو الغاية القصوى اعنى علم الباطن وهو المراد بعلم المكاشفة وقد روى عن بعض العارفين انه قال من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كانت فيه خصلتان لم يفتح له شئ من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا ومصرا على هواه لم يتحقق به وقد تحقق سائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه وهو علم الصديقين والمقربين كما قدمنا وهذه هى العلوم التى يقولون انها لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله سبحانه عليه بشئ منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وعلى طريق الاسرار وهذا العلم الخفى الذى اراده النبى عليه السلام

بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله عز وجل فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فان الله تعالى لم يحقره اذ آتاه اياه وبالله التوفيق * (فصل) * فعليك ايدك الله وارشدك وايانا بالبحث والطلب عن هذه العلوم التي هي احوال القلب واخلاقه المحمودة والمذمومة حتى تعرفها اولا ثم تطهير القلب من المذموم منها وتحليته بالمحمود منها ثانيا حتى يتضح لك الحق بحقائقه وتنظر بنور الله بين اصناف خلقه افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كمن هو اعمى عنه وقد تراكم رين الذنوب على بصيرة قلبه فهو يمشي مكبا على وجهه فلا تظنن اصلحك الله ان من تجرد لعلم الجدال والمهارات وافنى عمره بتعلم فقه المعاش والخصومات يتصف بشيء من هذه العلوم المتقدمة ولو سئل اكثر من يدعي الفقه وتجرد لاحياء الدين بزعمه عن معنى من معاني هذه العلوم حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سئل عن مسائل الفتوى واللعان والظهار والسلم والشفعة والاجارات وما اشبه ذلك من مسائل الفروع التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم يخل البلد عن من يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها ولو سئل عن شيء من هذا لاجاب سريعا وما توقف فتراه يتعب في حفظه ودرسه ليلا ونهارا ويغفل عن ما هو فرض عليه في نفسه واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وهو فرض كفاية ويلبس على نفسه

وعلى غيره في تعليله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر واحياء علم الدين لقدم على ذلك فرض نفسه فليت شعري كيف يجوز في الدين ان يهمل الانسان فرض نفسه ويشتغل بفرض كفاية قد قام به جماعة هل لهذا سبب الا ان علم الآخرة ليس يتوصل به الى جمع الحطام واستدراج العوام بكثرة الاتباع والطغام هيهات هيهات قد اندرس علم الآخرة بتلبيس العلماء السوء والله المستعان واياه نسال ان يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وبالله التوفيق وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل *(الفصل الثالث)* في حد الكلام وعلوم الفلسفة اما الكلام فهو علم المتكلمين الذين يتكلمون في تحرير الادلة لاثبات التوحيد والصفات وتفصيل السكون والحركات والجواهر والاعراض والحدوث والقدم واشباه ذلك ويضعون الادلة في الرد على اهل البدع ونقضها عليهم وليس كتابنا هذا موضوعا لذلك واما الفلسفة فهي من علوم حكماء الاوائل المنكرين لشريعة الاسلام وهم الفلاسفة وذكر الغزالي في كتابه انهم يصدقون بالصانع والنبوة ويصدقون النبي عليه السلام ولكنهم يعتقدون امورا تخالف نصوص الشرع ويقولون النبي محق فيما قصد بما ذكره لاصلاح الخلق ولكن لم يقدر على التصريح بالحق لكلال افهام الخلق عن دركه قال ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاث مسائل الاول انكارهم لحشر الاجساد والتعذيب بالنار والتنعيم في الجنة بالحور العين والماكول والملبوس قال والثانية قولهم ان الله سبحانه لا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث وانما يعلم الكليات وانما الجزئيات تعلمها الملائكة

السماوية والثالثة قولهم ان العالم قديم وان الله سبحانه متقدم على العالم بالرتبة مثل تقدم العلة على المعلول وانه لم يزل الا في الوجود متساويين قال فهؤلاء اذا وردت عليهم آيات القرآن زعموا ان اللذات العقلية تقصر الافهام عن دركها فمثل لهم ذلك باللذات الحسية وهذا الذى قالوه شرك صريح فلا معنى للاشتغال بهم قال واما الفلسفة فليست علما بذاتها بل هي على اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوزهما الى البدع فالهندسة فعل المهندس وهي فيما وجدت في كتاب العلوم نوعان احدها هندسة عملية وهو ان ينظر المهندس في خطوط وسطوح اما في جسم خشب ان كان نجارا او جسم حديد ان كان حدادا او في جسم حائط ان كان بناء او في سطوح ارضين او مزرعات ان كان ماسحا وكذلك كل صاحب هندسة عملية فانه انما يتصور في نفسه خطوطا او سطوحا وتدويرا وتثليثا في جسم المادة التى هي الموضوعة لتلك الصناعات العملية والنوع الثانى هندسة نظرية وهو ان ينظر المهندس في خطوط وسطوح في الاجسام على الاطلاق والعموم ويتصور في نفسه الخطوط والسطوح والتربيع والتثليث والتدوير في الوجه الذى لا يبالى في اى جسم كانت وفى اى محسوس كان بل على الاطلاق ومن غير ان يقيم في نفسه مجسما هو من خشب او من حديد او من حائط قال وهذا العلم هو الذى يدخل في جملة العلوم وهو

يفحص في الخطوط والسطوح والمجسمات على الاطلاق عن اشكالها ومقاديرها وتساويها وتفاصيلها وعن اصناف اوضاعها وعن جميع ما يلحقها مثل النقط والزوايا وغير ذلك قال وكتاب اقليدس الفيثاغورى المعروف بكتاب الاستقصات وهو الذى يحتوى على اصول الهندسة وعددها وهى داخلة فى علم الكلام والله اعلم الجزء الثانى من الفلسفة المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجوه الحد وشروطه فصناعة المنطق تعطى بالجملة القوانين التى من شانها ان تقوم العقل وتسدد الانسان نحو الصواب والحق فى كل ما يمكن الغلط فيه من جميع المعقولات وذلك ان فى المعقولات اشياء لا يغلط العقل فيها اصلا وهى التى يجد الانسان نفسه كانها فطرت على معرفتها مثل ان الكل اعظم من الجزء وان كل ثلاث فهو عدد فرد واشباه ذلك واشياء يمكن الغلط فيها وهى التى يحتاج الانسان فى ادراكها الى تفكر وقياس واستدلال وفى هذه دون تلك يضطر الانسان الذى يلتمس الوقوف على الحق اليقين فى مطلوباته كلها الى قوانين المنطق وهذه الصناعة تناسب صناعة النحو وذلك ان نسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو الى الالفاظ وهو يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطى من قوانين الالفاظ ويفارقه فى ان النحو انما يعطى قوانين تخص الفاظ امة ما وعلم المنطق انما يعطى قوانين مشتركة تعم الفاظ الامم كلها مثل ان الالفاظ منها مفردة ومركبة والمفردة اسم وكلمة واداة وان منها ما هى موزونة وغير موزونة واشباه ذلك

وها هنا احوال تخص لسانا دون لسان مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمضاف لا يدخل فيه الف ولام التعريف فان هذا يخص بلسان العرب وما وقع في علم النحو من اشياء مشتركة لالفاظ الامم كلها فانما ياخذ اهل النحو من حيث هو موجود في ذلك اللسان الذي عمل النحو له كقول النحويين من العرب اقسام الكلام ثلاثة اسم وفعل واداة وكقول نحويي اليونانيين اجزاء القول في اليونانية اسم وكلمة واداة وهذه القسمة ليست انها توجد في العربية فقط او في اليونانية فقط بل في جميع الالسنة واجزاء المنطق ثمانية تركتها لئلا يطول الكتاب بلا فائدة وبالله التوفيق وانما ذكرت هذا ارشدكم الله لتعرفوا معنى الهندسة والمنطق وهما داخلان في علم الكلام فقط والله اعلم الجزء الثالث الالهيات وهي بحث عن ذات الله تعالى وصفاته وهو داخل في علم الكلام والفلسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها شرك وبعضها بدعة كما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة وكذلك الفلسفة الجزء الرابع الطبيعيات فبعضها تخالف الشرع ودين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك

ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم
في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة
الصناعات الواجبة على الكفاية بحراسة لقلوب العوام عن
تخييلات المبتدعة وبالله التوفيق فان قيل ان المشهورين
من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله
فكيف تنزل درجتهم عن درجة علماء الدين فاعلم انه من
عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق
تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد
والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل فلا تغفل عن الصحابة
وفضلهم ولم يكن تقدمهم بالفقه والكلام بل بعلم الآخرة وسلوك
طريقها واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون
فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله تعالى شئ وما تنال به الشهرة
شئ آخر ولقد كانت شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة
وكان فضله بالشئ الذي وقر في صدره لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن
بشئ وقر في صدره ولقد كان من المكاشفين فيما قيل فليكن
حرصك في طلب ذلك الشئ فهو الجوهر النفيس والدر المكنون
وكانت شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة والعدل وكان
فضله بالعلم بالله تعالى كما روى انه لما مات عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله مات تسعة اعشار
العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا اجلة الصحابة قال لست اريد
العلم بالفتوى والاحكام وانما اريد العلم بالله تعالى فكان
فضله بهذا العلم وبقصده التقرب الى الله تعالى في ولايته

وشفقته على خلقه وهو امر باطن فى سره واما افعاله الظاهرة
فقد يتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة
والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل
فيما هو سر لا يطلع عليه احد من الناس فالفقهاء والمتكلمون
مثل الخلفاء والقضاة انقسموا فمنهم من اراد الله تعالى
بعلمه وفتواه وذبه عن دينه ولم يرد به رياء ولا سمعة اولئك
اهل رضوان الله لعلمهم بعلمهم ولارادتهم بفتواهم وجه الله
تعالى فان كل علم عمل لانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما
فالطبيب يقدر ان يتقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا
عليه من حيث انه عامل لله تعالى به والسلطان يتوسط
بالعدل بين الخلق فيكون مرضيا عند الله سبحانه لا من حيث
انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد عملا يقصد به التقرب الى
الله تعالى واقسام ما يتقرب به الى مجرد كعدل السلطان
مثلا وضبطه الناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق
الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر فى نفسك
لتكون فى حزب علماء الله عز وجل وعمال الله او فى حزبهما وتضرب
بسهمك مع كل فريق منهما وهذا اهم لك من التقليد بمجرد
الاشتهار وينشد بيت شعر *

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وبالله التوفيق * (الباب السادس فى طرق العلم) *
وتقاسيمه قسمة اخرى اعلم انا قد ذكرنا اقسام العلوم قبل
هذا مجملة وسنشيرها هنا ان شاء الله تعالى الى قسمتها
موجزة وفى طرقها مختصرة فنقول ان طرق العلم محصورة

فى ثلاثة طرق وقيل فى اربعة احدها الحس والثانى العقل والثالث السمع والرابع قيل انه طريق البديهة فهذه قسمة منحصرة تدور على ابن آدم فى الدنيا والآخرة فلا يسئل العبد فى الآخرة الا عنها لانها منحصرة فيما يسئل عنه فما شاهده ببصره اوسمعه بسمعه اوادركه بعقله فكل علم داخل فيها وعنها يكون فالبصر هو ما يدرك به جميع المبصرات والسمع هو ما يسمع به جميع المسموعات من الشرع وغيره والفؤاد راجع الى القلب كما قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد اى حاضر القلب والفؤاد والقلب واحد والمراد به العقل كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وقال سبحانه ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فجمع فى هاتين الآيتين ما قدمناه من طرق العلم اما الحس فينقسم ثلاثة اقسام حس متصل وحس منفصل وحس بنية فالمتصل كالملموسات والمذوقات والمشمومات فان حاسة اللمس وحاسة الذوق لا تدركان الا متصلتين بمحسوسيهما والمنفصل كالمسموعات والمبصرات لان حاسة السمع تدرك الكلام من غير اتصال بالمسموع وحاسة البصر تدرك الاشخاص والالوان بغير اتصال وحس بنية هو ما يجده الانسان فى نفسه من غير طريق الحواس كالجوع والعطش والفرح والحزن واشباه ذلك واما العقل فعلى ثلاثة اقسام واجب وجائز ومستحيل فالواجب على ثلاثة اقسام وجوب انحصار الحقائق ووجوب اطرادها ووجوب اختصاصها باحكامها والمستحيل على ثلاثة اقسام قلب الحقائق

ونقض الحقائق وبطلان الحصر والجائز متردد بين الواجب والمستحيل وهو جائز في حقنا وعند الله تعالى واجب او مستحيل واما السمع فعلى ثلاثة اقسام الكتاب والسنة والاجماع واما البديهة فكعلمنا ان الاكل مشبع والشراب مروي في امثال ذلك فهذه طرق العلم ثم نرجع الى تقاسيمه فنقول ايضا ان العلم على ثلاثة اقسام العلم بالدين والعلم بالدنيا والعلم بما يتوصل به اليهما ما جاءت به الرسل عليهم السلام فالعلم بالدين على ثلاثة اقسام العلم بالله تعالى والعلم بالرسل عليهم السلام والعلم بما جاءت به الرسل فالعلم بالله تعالى على ثلاثة اقسام العلم بما يجب له والعلم بما يجوز عليه والعلم بما يستحيل عليه فاما العلم بما يجب له فهو على ثلاثة الوجود والوحدانية والكمال والذى يجوز عليه ثلاثة ايجاد العالم واعدامه بعد وجوده واعادته بعد اعدامه والذى يستحيل عليه ثلاثة التشبيه والتشريك والنقائص فاما العلم بوجوده فينبني على نفي التشبيه والتشبيه على ثلاثة التقييد بالزمان والتقييد بالمكان والتقييد بالجنس وفي لفظ آخر على ثلاثة التغير والتحيز والتاليف والعلم بالوحدانية ينبني على نفي التشريك والتشريك على ثلاثة الاتصال والانفصال والحلول والكمال ينبني على نفي النقائص والنقائص على ثلاثة منها ما يمنع الافعال ومنها ما يمنع الادراك ومنها ما يمنع الكلام فالموانع من الافعال كالعجز والجهل وغير ذلك والموانع من الادراك كالعمى والصمم وغير ذلك والموانع من الكلام كالخرس والبكم وغير ذلك

من الآفات وفي لفظ آخر في النقائص والنقائص على ثلاثة
منها ما يدل على الحدوث ومنها ما يمنع الافعال ومنها ما
يمنع الادراك واما العلم بالرسول عليه السلام فعلى ثلاثة
ايضا العلم بما يجب اثباته للرسول والعلم بما يجب نفيه عنه
والعلم بما يجوز عليه فالذي يجب اثباته للرسول عليه
السلام الصدق والامانة واتباع الحق في افعاله
واقواله والذي يجب نفيه عنه الكذب والخيانة
واتباع الباطل في اقواله وافعاله والذي يجوز عليه
هو ما يجوز على البشر من الانتفاع والاستضرار وفي
لفظ آخر والذي يجوز عليه السراء والضراء والسهو والذي
لا ينافي التكليف واما العلم بما جاءت به الرسل عليهم
السلام فعلى ثلاثة الوحي والتكليف والجزاء على التكليف
والوحي على ثلاثة الامر والنهي والخبر والتكليف على ثلاثة
الايمان والتقوى والورع وهو الاحتياط في الدين والفرق
بين الوحي والتكليف ان الوحي هو الامر والنهي والتكليف هو
مقتضى الامر والنهي وهو امتثال الامر واجتناب النهي فحقيقة
التكليف هي افعالنا وتناولنا والامر والنهي راجعان الى الخطاب
الذي هو بالوحي والخبر هو ما اخبر به من الغيوب وهو جل
الكتاب واكثر ما فيه والجزاء على التكليف على ثلاثة ايضا الحساب
والثواب والعقاب * (فصل) * والعلم بالدنيا على
ثلاثة اقسام العلم بمنافعها والعلم بمضارها والعلم باسباب
المعيشة فيها وفي لفظ آخر في العلم بالدنيا اخبرنا ان عاقبة
نعيمها الى الزوال واخبرنا ان عاقبة عمرانها الى الخراب واخبرنا

ان

ان عاقبة عمارها الى الهلاك واما ما يتوصل به الى العلم بها فثلاثة
اللغة والاعراب والحساب فاللغة بها جاءت شريعتنا فاذا بطلت
اللغة بطلت الشريعة والاحكام والاعراب ايض به تتصلح
المعانى وتفهم فاذا بطل الاعراب بطلت المعانى واذا بطلت
المعانى بطل الشرع ايض وبطل جميع ما يدور عليه امر المعاملات
كلها من المخاطبات فى الاقوال واما الحساب ايض فهو مما يتوصل
به الى معرفة الدين والدنيا جميعا اما الدين فان هذه العبادات
الموقتة بالازمان لا تعرف الا بالحساب به عرفت الايام والجمع
والشهور والسنين فالعبادات مرتبة فيها كصلاة الجمعة فاذا
جهل يوم الجمعة بطلت الصلاة وكذلك الصيام اذا جهل الحساب
الذى به يعرف شهره بطل ايض وكذلك السنون ايض فى عبادة
الزكاة والحج فالحساب اصل كبير فى الدين واما الدنيا فيه تصح جميع
المعاملات الدائرة بين الناس من المعاوضات والاخذ والعطا
وجميع منافع المعيشة به تصح وبالله التوفيق *

(الباب السابع فى آداب المتعلم والمعلم) وهذا
الباب ينحصر فى فصلين الفصل الاول فى آداب المتعلم وتنحصر
آدابه فى عشرة اقسام الاول المبادرة الى التعلم فى اول وقت
الامكان ويرغب فيه رغبة متحقق لفضائله واثق بمنافعه
ولا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجدة ولا نفوذ امر وعلو منزلة
فان من ينفذ امره فهو الى العلم احوج ومن علت منزلته فهو بالعلم
احق وفى حديث انس عن النبى عليه السلام انه قال الحكمة تزيد الشريف
شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقال بعض
الادباء كل عز لا يؤكده علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة

وقال بعض العلماء اذا اراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحكم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حقهم ان يعرفوا حقه ويستنبطوا اهله القسم الثاني ان يكون قصده في التعلم ارادة وجه الله تعالى وانفاء الجهل عن نفسه وارشاد من قدر على ارشاده بنية خالصة وعزيمة صادقة فاذا كان قصده ونيته ما ذكرنا فانه يرجى ان يستوجب الفضل الذي جاء في الاحاديث المتقدمة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اكرم عالما فكانما اكرم سبعين نبيا ومن اكرم متعلما فكانما اكرم سبعين شهيدا ومن احب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة ايام حياته هكذا وجدت في بعض آثار اصحابنا من المشرق وليحذر طالب العلم ان يطلبه لمراء او رياء فان المماري به مهجور لا ينتفع والمرائي به محقور لا ينتفع وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتعلموا العلم لتماروا به السفهاء ولا تتعلموا العلم لتجادلوا به العلماء فمن فعل ذلك منكم فالنار النار والمماري هو القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسد وصحيح وفي حديث آخر من تعلم العلم ليماري به السفهاء او ليباهي به العلماء لقي الله وهو عليه غضبان فمن طلب العلم لمباهات العلماء او لمماراة السفهاء او لينتشر ذكره في الناس بحسن الثناء او ليعظم قدره عندهم او لاكتساب مال او جاه فهو من الخاسرين وينشد *

اني رايت الناس في دهرنا * لا يطلبون العلم للعلم

الا مباهات لاخوانهم * وحجة للخصم والظلم

وليس المماري به هو المناظر فيه طلبا للصواب وقد بين ذلك

بعض العلماء فقال لصاحبه لا يمنعنك حذر المراء من حسن المناظرة فان المماري هو الذي لا يريد ان يتعلم منه احد ولا يرجو ان يتعلم من احد القسم الثالث ينبغي لطالب العلم ان يقدم اولا طهارة النفس من دناءة الاخلاق ومذموم الاوصاف لان العلم عمارة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى فكما لا تصح صلاة الجوارح الظاهرة الا بطهارة الجوارح من جميع الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق من الغل والكبر والرياء وغير ذلك وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال بنى الدين على النظافة وهو لعمري كذلك باطنا وظاهرا وقد قال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة ليست مقصورة على الظواهر فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول الجسد ولكنه نجس الباطن بالشرك وقد قال تعالى وثيابك فطهر اى قلبك فنق في بعض الاقوال فان قيل كم من طالب ردى الاخلاق قد حصل العلوم قيل له فهيهات ما ابعدك عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة فان من اوائله ان تظهر للعالم به ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول شيئا مع علمه بانه سم مهلك انما الذي نسمعه من المتشبهين بالعلماء في التشدق روايات ومسائل تلقفوها من غير معرفة بحقايقها وليس ذلك من العلم في شيء وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال ليس العلم بكثرة الروايات انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فكانه اشار الى اخص ثمرات العلم وبالله التوفيق القسم الرابع ان يقلل طالب العلم علايقه

من اشغال الدنيا ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبة ويمنيها بانقطاع الاشغال المتصلة فان لكل وقت شغلا وفي كل زمان عذرا وينشد قول الشاعر *

نروح ونغدو بحاجتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي
اذا الليلة هرمت يومها * اتى بعد ذلك يوم فتي

وقد روي عن عيسى عليه السلام انه قال يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي شهوته من الدنيا فمن اراد العلم بصحة الاجتهاد والجد فليبعد عن الوطن والاهل فان العلائق شاغلة عن المطلوب وصارفة عن درك المامول وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فمهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم والوطوطة لا يجتمعان وقال بعض العلماء العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من عطائه اياك بعضه على خطر ومثال الفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول نهر تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزرع وبالله التوفيق

القسم الخامس ان لا يتكبر عن العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق فبذلك ينال مطلوبه بمأموله وقال بعض العلماء من لم يحتمل ذل التعلم ساعة احتمل ذل الجهل ابدا وينشد

بني اذا ما مسك الذل قاهر * عزيز فان الذل للعز احرز
فلا تحملن يوما عليه تعززا * فقد يورث الذل الطويل تعزز

ولهذا قال ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا وروي انه كان ينام على ابواب الصحابة في الهواجر للتعلم منهم حتى تلفح وجهه

المهواجر و ينبغي له ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته وعن الشعبي انه قال صلى زيد بن ثابت على جنازة فقدمت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده فقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وروت عائشة عنه عليه السلام انه قال من وقر عالما فقد وقر ربه عز وجل وقال علي بن ابي طالب لا يعرف فضل اهل الفضل الا اهل الفضل قال الشاعر

ان المعلم والطبيب كليهما * لا ينصحان اذ هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

ثم ليعرف له فضل علمه وليشكر لجميل فعله ولا يمنعه من ذلك علو منزلته ان كانت له وان كان العالم خاملا فان العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم لا بالقدرة والمال وينبغي له ان يتلطف به ويتذلل ويتملق اليه بفعاله ولا يتجهل لان التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لادامة صبره وقد روى عن معاذ رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال ليس الملق من اخلاق المؤمن الا في طلب العلم والملق معناه التودد واللطف الشديد وقال بعض حكماء الفرس اذا قعدت وانت صغير بحيث تحب قعدت وانت كبير بحيث لا تحب وبالله التوفيق القسم السادس ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة الا وينظر فيه نظرا يطلع منه على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرق من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض واستفيد منه في الحال الانفكاك

عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا
ولذلك قيل عن يحيى بن خالد انه قال لابنه عليك بكل نوع من
العلم فان المرء عدو ما جهل وانا اكره ان تكون عدوا لشئ من العلوم
وانشد الماوردي لابن دريد *

جهلت فعاديت العلوم واهلها * كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى ان يرى متصدرا * ويكره لا ادري اصيبت مقاتله

ولا ينبغي له ان يتكبر على فن من العلوم المحمودة فان العلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود ومن تكبر الطالب للعلم ان يستنكف عن الاستفادة والتعلم الا من المشهورين الكبرا وذلك عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة فمن طلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور وخامل وضراوة سباع النار بالجهل بالله تعالى اشد ضراوة من كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقه اليها كائنا من كان نبيها كان او خاملا ولا يطلب الصيت وعلو الذكر باتباع اهل المنازل من العلماء اذا كان النفع بغيرهم اعم الا ان يستوي النفعان فيكون الاخذ عن من اشتهر ذكره وارتفع قدره اولى لان الانتساب اليه اجمل والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر

اذا انت لم يشهرك علمك لم تجد * لعلمك انسانا من الناس يقبله
وان صانك العلم الذي قد حملته * اتاك له من يجتنيه ويحمله

فمهما تكبر المتعلم عن العلم انحرف العلم عنه وصعب عليه بعد ذلك طلبه ولذلك قال بعضهم *

العلم حرب للفتى المتعالي * كالسيل حرب للمكان العالي

ولذلك قيل ان المتواضع من طلاب العلوم اكثرهم علما كما ان المكان المنخفض اكثر البقاع ماء القسم السابع ينبغى للمتعلم ان يحترز فى مبدء الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ذلك من علوم الدنيا او من علوم الآخرة لان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويويسه عن الادراك بل ينبغى له ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه اذا كان استاذه نقادا بصيرا بفنون العلم مستقلا باختيار راى واحد ومذهب واحد وان كان استاذه انما عادته نقل المذاهب وما فيها ولم يعتقد رايا واحدا فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم فمن حاله هذا فهو بعد فى عمى الحيرة ورتبة الجهل وان كان استاذه بصيرا بالعلم متخير النفسه قولا واحدا يعتمد عليه ورعا فى دينه فليلق اليه المتعلم زمام امره بحسن الاصغاء والقبول وليكن فى ذلك لمعلمه كارض ميتة نالت مطرا غزيرا فشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق فى التعليم فليقلده وليدع رايه فان خطأ مرشده انفع له من صواب راى نفسه اذ التجربة تطلع الانسان على دقائق يستغرب سماعها مع انه قد يعظم نفعها وقد نبه الله تعالى على ذلك فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت فقال فان اتبعتنى فلا تسئلنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا ولم يزل فى مراودته الى ان كان ذلك سبب فراق ما بينهما وبالجملة فكل متعلم استغنا بنفسه

رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالخيبة والخسران وبالله التوفيق القسم الثامن ان يحذر المتعلم الاذلال على من يعلمه وان انسه وطالت صحبته معه لان الاذلال على العلماء من فعل الجهال وفيه فساد الاحوال وقيل لبعض الحكماء من اذل الناس قال عالم يجرى عليه حكم جاهل قال وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من السبى فقال لها من انت فقالت بنت الرجل الجواد حاتم فقال صلى الله عليه وسلم ارحموا عن ثلاثة غنيا افتقر وعزيزا ذل وعالما ضاع بين الجهال وليحذر المتعلم استهانة معلمه ولو وجد فى نفسه استغناء لان ذلك كفر لنعمته واستخفافا بحقه فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لابن البطحاء اعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رمانى * وهذه الحالة من مصايب العلماء ان يصير عند من علموه مستجهلين وعند من قدموه مسترذلين وقد قال صالح بن عبد القدوس

* * *

وان عناء ان تعلم جاهلا * ويزعم جهلا انه منك اعلم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
متى ينتهى عن شئ من اتى به * اذا لم يكن منه عليه تندم

وقد رجح كثير من العلماء حق العالم على حق الوالد لان الوالد يحفظه من نار الدنيا والعالم يحفظه من نار الآخرة ومع هذا فلا ينبغى له ان يحمله معرفة الحق له حتى يقبل كل شبهة اتت من جهة معلمه ولا يدعوه ترك الاعنات له على التقليد فيما اخذ عنه فانه ربما غلا بعض الاتباع فى عالمهم حتى يروا ان قوله دليل وان لم يستدل وليكن المتعلم معتدل الراى فيمن يأخذ عنه متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه حتى لا يحمله الاعنات على اعتراض المبكتين

ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين فاذا فعل ذلك برئ من المذمتين
وسلم العالم من المحنتين فليس كثرة السؤال فيما التبس اعناتا
ولا قبول ما صح في النفس تقليدا وقد قيل لابن عباس بم نلت
هذا العلم فقال بلسان سؤل وقلب عقول وعن النبي عليه السلام
انه قال حسن السؤال نصف العلم وانشد المبرد للغنوي

سل الفقيه تكن فقيها مثله * لا خير في علم بغير تدبر
واذا تعسرت الامور فارجها * وعليك بالامر الذي لم يعسر

وربما تنبعث نفس المتعلم من بعد عنه من العلماء استهانة بمن
قرب منه وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه فلا يدرك
محبوبا ولا يظفر بطائل وقد قالت العرب في امثالها ان العالم
كالكعبة يأتيها البعداء ويزهد فيها القرباء وانشد الماوردي عن
بعض شيوخه للمسيح بن حاتم *

لا ترى عالما يحل بقوم * فيحلوه دار الهوان
قلما توجد السلامة * والصحة مجموعتين في انسان
فاذا حلتا مكانا سحيقا * فهما في النفوس معشوقتان
هذه مكة العزيزة بيت الله * يسعى لحجها الثقلان
وترى ازهد البرية في الحج لها * اهلها القرب المكان

وينبغي للمتعلم ان يكون في طلب العلم راغبا في ثواب الله راهبا من
عقابه وقد قالت الحكماء اصل العلم الرغبة وثمرته السعادة فاذا
اجتمعت فيه الرغبة في ثواب الله والرهبة من عقاب الله ادياه
الى كنه حقيقة العلم وحقيقة الزهد فاذا اقترن العلم والزهد فقد
تمت السعادة وعمت الفضيلة وان افترقا فياويح مفترقين ما اضر
افتراقهما واقبح انفرادهما وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام

انه قال من ازداد في العلم رشدا ولم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما اوتي من العلم لا ينفعه القسم التاسع ينبغي لطالب العلم الا يقصر في طلبه وينتهز الفرصة ولا يشتغل بالفراغ فانه من الفراغ تكون الصبوة قال الشاعر *

لقد هاج الفراغ عليك شغلا * واسباب البلاء من الفراغ

وقال بعض العلماء من امضى يومه في غير حق قضاه او فرض اداه او مجد اثله او حمد حصله او خير اسسه او علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه وقال بزرجمهر ان يكن الشغل مجهدة فان الفراغ مفسدة وينبغي له ان يبتدئ العلم من اوله ويأتيه من مدخله ولا يتشاغل بطلب ما لا يضر جهله فيمنعه ذلك من ادراك ما لا يسع جهله فان لكل علم فضولا مشغلة ان صرف اليها نفسه قطعته عما هواهم منها فخذوا من كل شئ احسنه

وقد قال ابن عباس العلم اكثر من ان يحصى

وينبغي ان لا يغفل في الصغر عن التعلم لانه احمد من التعلم في الكبر وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الصخرة والذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء وقال علي قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شئ قبلته وانما كان كذلك لان الصغير افرغ قلبا واقل شغلا وايسر تبذلا واكثر تواضعا واما ان يكون الصغير اضبط من الكبير اذا عري من هذه الموانع واوعى منه اذا خلا من هذه القواطع فلا وحكي ان الاحنف بن قيس سمع رجلا يقول التعلم في الصغر كالنقش في الحجر وقال الاحنف الكبير اكثر عقلا ولكنه اشغل قلبا ولكن تعلم الكبير اوجب لان الاولى به ان يكون شيخا متعلما لا شيخا جاهلا

لان

لان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل عذر ولذلك قيل في منثور الحكم جهل الشباب معذور وعلمه محقور واما الكبير فالجهل به اقبح ونقصه عليه افضح وينبغي لمن زهد في العلم ان يكون فيه راغبا ولمن رغب فيه ان يكون له طالبا ولمن طلبه ان يكون منه مستكثرا ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا ولا يطلب لتركه احتجاجا ولا للتقصير فيه عذرا قال الشاعر *

فلا تعذروني في الاساءة انه * شرار الرجال من يسيء فيعذر

اخر

فهياك والامر الذي ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره

فما حسن ان يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذره

وينبغي للمتعلم ان يشعر قلبه الصبر على معانات الحفظ ولا يشتغل الدرس والحفظ ويتكل بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة اليها والعرب تقول في امثالها حرف في قلبك خير من الف في كتبك قال الشاعر *

عليك بالحفظ بعد الكتب تجمعها * فان للكتب آفات تفرقها

فالفار يخرقها والنار تحرقها * والماء يغرقها والكف يسرقها

وفي المثل حرف في تامورك خير من الف في دستورك وقالت العرب لاخير في علم لايعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي قال الشاعر

اذا ما غدت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تحصل في الكتب

غدوت بتشمير وجد عليهم * فمحبرتي اذني ودفترها قلبي

وانشد الشافعي

علمي معي حيثما يممت ينفعني * قلبي وعاء له لا بطن صندوق

ان كنت في البيت كان العلم فيه معي * او كنت في السوق كان العلم في السوق

وينبغي للمتعلم ان يتفكر بعد الحفظ في معاني الالفاظ وقد روى عن

النبي عليه السلام انه قال همت السفهاء الرواية وهمت العلماء الرعاية ومثل الذي يحفظ الالفاظ ولا يفهم معانيها كالكاتب الذي لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة وكالحمار يحمل اسفارا ولا يدري ما عليه قال الشاعر يهجو قوما *

زوامل للاشعار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا * باوساقه او راح ما في الغرائر

وقال ابن مسعود رحمه الله كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة فقد يرعوي من لا يروي او يروي من لا يرعوي وحكي ان الحسن البصري حدث بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن فقال ما تصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته ومع هذا فلا ينبغي للمتعلم ان يعتمد على حفظه وتصوره ويغفل عن تقييد العلم في الكتب فان هذا منه خطأ وغلط لان التشكيك معترض والنسيان طاري وقد روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتابة وشكا اليه رجل النسيان فقال له عليه السلام استعمل يدك اي اكتبه حتى ترجع اذا نسيت الى ما كتبت وقال الخليل بن احمد اجعل ما في الكتب راس المال وما في القلب النفقة وقال بعض السلف لولا ما عقدته الكتب من تجارب الاولين لانحل مع النسيان عقود الآخرين وقال بعض البلغاء ان هذه الآداب نوافر تند عن عقول الاذهان فاجعلوا الكتب عنها حماة والاقلام لها رعاة وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى او اثارة من علم قال يعني الخط وعن مجاهد في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الخط وقال حكيم الروم الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسدانية وقال حكيم العرب

الخط اصل فى الروح وان ظهر بحواس الجسد واختلف فى اول من كتب الخط بذكر عن الماوردى انه ذكر عن كعب الاحبار ان اول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب قبل موته بثلاثمائة سنة فى طين ثم طبخه فلما غرقت الارض فى زمان نوح عليه السلام بقيت الكتابة فاصاب كل قوم كتابهم وبقى الكتاب العربي الى ان خص الله به اسماعيل عليه السلام فاصابها وتعلمها وحكى عن قتيبة ان اول من كتب الخط ادريس عليه السلام واختلف فى اول من كتب بالعربية فذكر عن كعب الاحبار انه آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان اسماعيل عليه السلام وحكى ابن عباس ان اول من كتبها ووضعها اسماعيل على لفظه ومنطقه وحكى عروة بن الزبير ان اول من كتب قوم من الاولين واسماؤهم ابجد وهوز وحطى وكلمن وصعفص وقرست وكانوا ملوك مدين وحكى ابن قتيبة فى المعارف ان اول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من اهل الانبار ومن الانبار انتشرت وحكى المدنى ان اول من كتب بها مرامر بن مروة واسلم بن سدرة وعامر ابن خذرة فمرامر وضع الصور واسلم وصل وفصل وعامر وضع الاعجام والله اعلم القسم العاشر فى الشروط التى يتوفر بها علم الطالب بعد عون الله تعالى وحسن توفيقه وهى بالجملة عشرة احدها العقل الذى يدرك حقائق الامور لان معانى الاشياء التى يتوصل اليها مستودعة فى كلام مترجم عنها وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى مفهوما فاللفظ كلام يعقل بالسمع والمعنى تحت اللفظ يفهم بالعقل الثانى الفطنة التى يتصور بها غوامض العلوم ولذلك قال بعض الحكماء العلوم مطالعها من ثلاثة وجه عقل مفكر ولسان معبر وبيان مصور فاذا عقل الكلام بسمعه فهم

معانيه بقلبه واذا فهم المعانى سقطت عنه كلفة استخراجها
وبقى عليه معانات حفظها واستقرارها لان المعانى شوارد
تضل بالاغفال والعلوم وحشية تفر بالارسال الثالث
الذكاء الذى به يستقر حفظ ما تصوره وفهم ما علمه فاذا
حفظ علمه بعد الفهم استقر وانس واذا ذكر به بعد القرار
رسا وثبت وقد قال بعض الحكماء من اكثر المذاكرة بالعلم لم
ينس ما علم واستفاد مالم يعلم قال الشاعر *
اذا لم يذاكر ذوى العلوم بعلمه * ولم يستفد علما نسى ما تعلما
فكم جامع للكتب فى كل مذهب * يزيد مع الايام فى جمعه عمىً
الرابع الشهوة التى يدوم بها الطلب ولا يسرع اليه الملل
لان من صدقت شهوته فى العلم وبعدت همته فى الطلب لابد
ان يشعر قلبه الصبر بقوة شهوته ويشعر جسده احتمال
التعب لبعد همته فيعقبه ذلك الحاح الملحين الاملين
ونشاط المدركين فقل عنده كل كثير وسهل عليه كل عسير
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انكم لاتنالون
ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون الا
بترك ما تشتهون وقيل فى منثور الحكم التعب قدمك فكم
تعب قدمك وقال بعض البلغاء اذا اشتد الكلف هانت الكلف
الخامس الاكتفاء بمادة تغنيه عن كلفة الطلب ولذلك قيل
لا يصح العلم لطالبه الا بوجود اربعة الكتب الصحاح وسعة
المؤنة وذهن حاضر وعالم نقاد بصير بفنون العلم وقال بعض
البلغاء من بلغ اشده لاقى من العيش اشده ويقال من اهتم
بمصلحة لم ينتفع بمسئلة وقال بعض مشايخنا رحمهم الله

بعكس هذا فقال انما يتعلم العلم مثل ابى عبيدة البغطورى
الذى يبل الشعير ويصره فى طرفه ثم يفطر عليه وعلى الخبز
وهو صائم ولا ياكل العيش المطبوخ الا من ليلة الجمعة الى
ليلة الجمعة الاخرى والله اعلم السادس الفراغ من العلايق
ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وقد تقدم
هذا السابع عدم القواطع المذهلة من هموم واشغال وامراض
ولذلك قال بعض البلغاء القلب اذا علق كالرهن اذا غلق وقيل
فى منثور الحكم الهم قيد الحواس فان كان ذا معيشة قطعته
وان كان ناريا سة الهته ولذلك قيل تفقهوا قبل ان تسودوا
الثامن طول العمر واتساع المدة لينتهى بالاستكثار الى مراتب
الكمال وقال الاسكندرى يحتاج طالب العلم الى اربع مدة وجدة
وقريحة وشهوة وتمامها فى الخامس معلم ناصح ولذلك قيل شعر

لابد للعلم من ست لطالبه * من فيلسوف ودود غير منان
ومن زمان ومن امن يشايعه * ومن مكان وامكان واخوان

وقال الآخر

خصال العلم اربعة * فاولها التجرد له * وحفظك ثم فهمكه * وحملكه
عن الحمله * خصال من تكون فيه * والا لم ينل امله

التاسع الظفر بعالم سمح بعلمه متأن فى تعليمه صادق فى كل
كلامه بصير بفنون العلم ناصح للمتعلم ولذلك قيل عن ابى عبيدة
مسلم رحمه الله انه قال لا يؤخذ العلم من اربعة رجل كذاب
وان كان يصدق فى فتواه ورجل مبتدع فى الدين ورجل سفيه
مشهور السفه ورجل لا يفرز مذهبه من مذهب غيره فاذا
ظفر بمعلم ناصح ذى دين فعليه ان يوقره ويتذلل لديه ويحسن
التادب فبذلك ينال بغيته منه ان شاء الله وقد قال انوشروان

قوله لانه به يكون التوغل فى الطلب ويحصل به الاستكثار من العلم

لبزرجمهر من ادبك قال قريحتي نظرت الى ما استحسنت من غيرى فاستعملته وما استقبحته اجتنبته ولقد استفدت من كل شئ محاسنه واخذت من الخنزير قناعته ومن الكلب محافظته ومن القرد مساعدته ومن الحمار صبره ومن الغراب بكوره ومن السنور لطف المسئلة عند الخوان فقيل له بما ذا نلت ما نلت من العلم فقال ببكور كبكور الغراب وحرص كحرص الخنزير وصبر كصبر الحمار وتملق كتملق القط وقيل لبعض السلف بم ادركت ما ادركت من العلم فقال بقلب ذكى واب غنى فاذا امتثل المتعلم ما ذكرنا كان جديرا بان ينال من العلم مقصوده وبالله التوفيق

العاشر تقوى الله عز وجل الذى هو راس كل بر وبه ينال المتعلم مقصوده من الخير فى الدنيا والآخرة قال الله سبحانه وتعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال النبى عليه السلام من عمل بما علم اورثه الله عز وجل علم ما لم يعلم وحديث على بن ابى طالب فيه جميع وظائف الادب التى يحتاج اليها المتعلم لمعلمه وذلك انه قال ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال ولا تعنته فى الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تشير عليه بيدك ولا تفش له سرا ولا تغتاب عنده احدا ولا تطلبن عثرته فان زل انتظرت اوبته وقبلت معذرته وان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تمش امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ولا تتبرم من طول صحبته فانما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى تسقط عليك منها منفعة واذا جئت فسلم على القوم وخصه بالتحية واحفظه شاهدا او غائبا وليكن ذلك كله لله فان العالم اعظم اجرا من الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله واذا مات

العالم انثلمت من الاسلام ثلمة الى يوم القيامة لا يسدها الا
خلف مثله وطالب العلم تشيعه ملائكة السماء وبالله التوفيق
فهذه وظايف ما على المتعلم من الآداب ومابه يتوفر علمه
واذا استكملها فهو اسعد طالب وانجح متعلما والله اعلم واحكم
* (الفصل الثانى فى وظائف ما على العالم المعلم المرشد من الاداب) *
اعلم ان للانسان فى علمه اربعة احوال كما له ذلك فى اقتناء الاموال
اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحال
ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق
على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا
متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال
فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال
وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال
تبصير وتعليم لغيره وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم
فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فانه كالشمس تضيئ
لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب وهو
طيب واما الذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره
وهو خال عن العلم والمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع وكالابرة
التى تكسوا غيرها وهى عارية وكفتيلة المصباح تضيئ لغيرها
وهى تحترق وفى مثله يقال *
صرت كانى ذبالة نصبت * تضيئ للناس وهى تحترق
ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما
فليحفظ وظائف ادابه وتنحصر بالجملة فى عشرة وظائف
احدها ان يكون المعلم عاملا بعلمه اولا لئلا يكون كما قال

الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى
مثل الذين حملوا التورية الى قوله يحمل اسفارا وقال تعالى كبر
مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وعن قتادة فى قوله
تعالى وانه لذو علم لما علمناه يعنى انه عامل بما علم فاذا خالف
فعل العالم قوله سقطت حكمته وامتنع الناس من قبولها
لان الحكمة والعلم انما يدركان بالبصائر والعمل والقول يدركان
بالابصار وارباب الابصار اكثر فكل من تناول شيئا وقال للناس
لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم
عليه فيقولون لولا انه اعز الاشياء والذها لما كان ينفرد به
ولذلك قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو منع
الناس من فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ
ولذلك قال الشاعر *
منعت شيئا فاكثرت الولوع به * احب شئ الى الانسان ما منعا
ومثال المعلم المرشد من المتعلم المسترشد مثل العود من الظل
ومثل القلب من الجوارح فكيف يستوى الظل والعود اعوج
وكيف تستقيم الجوارح والقلب معوج ولذلك كان وزر
العالم فى معاصيه اكثر اذ يزل بزلته خلق كثير يقتدون به ومن
سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة
ولذلك قيل عن على بن ابى طالب انه قال قصم ظهرى رجلان
عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغتر الناس بتنسكه
والعالم ينفرهم بتهتكه فالواجب على العالم ان يعمل بما يعلم
ولا يقول بما لا يفعل ولا يامر بما لا يأتمر ولا يسر غير ما يظهر
وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال ويل لاتباع القول وويل

للمصرين يريد باتباع القول الذين يستمعون القول ولا يعملون به وقد يروى ان الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام يا ابن عمران تعلم العلم لتعمل به ولا تتعلمه لتحدث به فيكون عليك بوره ولغيرك نوره وقيل فى منثور الحكم لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به وقال بعض الحكماء خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع وعن على انه قال انما زهد الناس فى طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم وكان يقال خير من القول فاعله وخير من الصواب قائله وخير من العلم حاصله وقال بعض البلغاء من تمام العلم استعماله ومن تمام العمل استقلاله فمن استعمل علمه لم يخل من رشاد ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد قال ابو تمام الطاءى

ولم يحمدوا من عالم غير عامل * خلافا ولا من عامل غير عالم
راوا طرقات المجد عوجا قطيعة * وافظع عجز عندهم عجز حازم

واعلم ان امر العالم غيره بما لا يعمل به مطرح وانكاره بما لا ينكره من نفسه مستقبح بل ربما كان ذلك سبب لاغراء المامور بترك ما امر به عنادا وارتكاب ما نهى عنه كيادا وقد حكى ان اعرابيا سال ابن ابى ذئب عن كلام وقع منه فى زوجته فافتاه بطلاقها فقال الاعرابى انظر حسنا قال قد نظرت وقد بانت منك فولى الاعرابى وهو يقول

*

اتيت ابن ذئب ابتغى الفقه عنده * فطلق حتى البت بتت انامله
اطلق من فتوى ابن ذئب حليلتى * وعند ابن ذئب اهله وحلائله

فظن بجهله انه لا يلزمه الطلاق بقول من لم يلتزم الطلاق فما ظنك بقول يوجب اشتراك الامر والمامور فيه كيف يكون مقبولا منه وهو غير عامل به ولا قائل له كلا حتى يأتمر به ويعمل

به لان علمه لما كان فيه حجة على من اخذه عنه واقتبسه
منه كان عليه احج وله الزم لان مرتبة العمل قبل مرتبة القول
كما ان مرتبة العلم قبل مرتبة العمل وبالله التوفيق

* (الوظيفة الثانية) * الشفقة على المتعلمين منه ان يجريهم
مجرى بنيه فى التعهد لاحوالهم وقد روى عن النبى عليه السلام
من طريق ابن عمر انه قال وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه
العلم وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال تعلموا العلم وتعلموا
للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من
تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم فلما كان
الامر كما وصفنا كان جديرا على المعلم ان يشفق على المتعلمين منه
شفقة الوالد على اولاده وقد روى عن النبى عليه السلام انه
قال انا لكم مثل الوالد اعلمكم امر دينكم وذلك ان يقصد بتعلمهم
انقاذهم من نار الآخرة فهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من
نار الدنيا ولذلك صار حق العالم المعلم اعظم من حق الابوين
لانهما سبب لوجود الولد فى الدنيا الفانية والمعلم سبب للخلود
فى نعيم الحياة الآخرة الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة او علوم
الدنيا على قصد الآخرة واما المعلم على قصد الدنيا فهو هلاك
واهلاك نعوذ بالله من سوابق الشقاء فكما ان حق اولاده
الرجال ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلاميذ المعلم
الواحد التحاب والتعاون ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم
الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم
الدنيا فان العلماء وابناء الدنيا مسافرون الى الله عز وجل وسالكون
اليه الطريق فالدنيا وسنوها وشهورها منازل اليه فكما ان

المسافرين فى الطريق الى بعض الامصار لابد لهم من التعاون
والتواد حتى يقطعوا الطريق الى المصر واذا اختلفت كلمتهم
وتباغضوا كان ذلك سبب هلاكهم فى الطريق فلما كان سفر
الدنيا بهذه الحالة فالسفر الى الله تعالى والى الفردوس الاعلا
احق بالترافق والتواد فى طريقه ولا ضيق فى طريق سعادة
الآخرة ولذلك لايكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا تباغض
ولا تحاسد واما السالكون بطريق تعلمهم وتعليمهم طلب الرياسة
فهم خارجون عن موجب قول الله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون
فى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
(الوظيفة الثالثة) ان يقصد العالم بتعليمه وجه الله تعالى
ويقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه فى ان يطلب ثواب
الله فى تعليم من علم وارشاد من ارشد ولا يطلب بذلك فى الدنيا
عوضا ولا اجرا قال الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لا اسئلكم
عليه من اجر ان اجرى الا على الله وقال تعالى ولا تشتروا بآيات الله
ثمنا قليلا وعن ابى العالية قال لا تاخذوا عليه اجرا وهو مكتوب
عندهم فى الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وقد
روى عن النبى عليه السلام انه قال اجر العالم كاجر الصائم
القائم فحسب من هذا اجره ان يلتمس عليه اجرا ويرى لنفسه
منة على المتعلمين منه ولو كانت المنة لازمة لهم بل ينبغى ان يرى
لهم المنة عليه اذا طهروا قلوبهم بان يتقرب الى الله تعالى بزراعة
العلوم فيها كالذى يعيرك ارضه لتزرع فيها زراعة لنفسك
فالمنة لصاحب الارض عليك وثواب المعلم فى التعليم اكثر من
ثواب المتعلم ولولاه ما نال المعلم ذلك الثواب الجزيل فلا ينبغى

له ان يطلب الاجر الا من الله تعالى والا فقد ابطل ثوابه وخسر سعيه وانما الاليق بالعلماء نزاهة النفوس عن شبه المكاسب والقناعة بالميسور من كد المطالب فبذلك تزكوا نفوسهم ويسلم لهم دينهم واعراضهم ويتوفر علمهم وتوجد له الحلاوة والقبول في انفس المتعلمين والمنتفعين منهم لان شبهة المكسب عار في الدنيا ونار في العقبى وكد المطالب اذلال للنفس واهانة للعلم وانشد الماوردى لعلى بن عبد العزيز القاضى الجرجانى *

يقولون لى فيك انقباض وانما * راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من دناهم هان عندهم * ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ومازلت منحازا بعرضى جانبا * من الذم اعتد الصيانة مغنما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
وما كل برق لاح لى يستفزنى * ولا كل من فى الارض ارضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما قد يشينها * مخافة اقوال العدا فيم اولما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لقيت لكن لاخدما
ااشقى به غرسا واجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
فلو ان اهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

انظر كيف انتهى امر الذين يزعمون انهم للعلم موضع وللدين مفزع وان مقصدهم به حشد الجهال وكثرة الاتباع ومخالطة ذى الاموال من الغوغا والرعاع وان غرضهم بهذا كله زعموا احياء الدين واقامة الحق المبين فاضطرهم حب الدنيا وطلب الرياسة وجمع الحطام الى استدراج العوام بالخدع الدينية واستعمال

المداهنة فى الدين حتى اندرس الكليه فصاروا ضحكة عند
الجهال وخداما لارباب الاموال يتذلل احدهم للجاهل من
تلامذته وينتهض له حمارا مسخرا لقضاء حاجاته فان قصر
فى ذلك ثار عليه وصار من اعداء اعدائه اخسس بعالم يرضى لنفسه
بهذه المنزلة ثم يفرح مع ذلك برضاء الجاهل عنه ولجتماع
السفلة عليه فصار من يدعى العلم والمعرفة يتضرع للجهال
ويتبصبص لذوى الاموال كيف والمال وجميع ما فى الدنيا
خادم للبدن الذى هو مركب للنفس ومطيتها والمخدوم هو
العلم اذ به شرف النفس ونجاتها فمن طلب المال بالعلم كان
كمن مسح نعله برجله ليطهر النعل من الانجاس فجعل المخدوم
خادما والخادم مخدوما هذا العمرى هو التعس والانتكاس
على ام الراس فكيف يفرح العاقل بهذه المنزلة ويرضى بها
ثم لا يستحى ويقول ان غرضى احياء الدين وتقرب الى الله تعالى
باقامة الحق المبين فانظروا واعتبروا وبالله التوفيق الوظيفة
الرابعة النصيحة للمتعلمين والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم
وبذل المجهود فى رفدهم ومعونتهم فان ذلك اعظم لاجرهم
واسناد لذكرهم وانشر لعلومهم وارسخ لمعلومهم ومن النصيحة
للمتعلم ان يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل
بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على ان مطلب العلوم
القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهات والمنافسة
ويقبح فى نفسه ذلك باقصى ما يمكن من التقبيح فليس ما
يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده واعلم ان المتعلمين ضربان
مستدع وطالب فاما المستدعا الى العلم فهو من استدعاه

العالم الى التعلم لما ظهر له من جودة ذكائه وقوة خاطره فاذا وافق
استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك السعداء وظفر
النجباء لان العالم باستدعائه متوفر والمتعلم بشهوته مستكثر واما
الطالب للعلم لداع يدعوه وباعث يحدوه فان كان الداعي دينيا
وكان على التعلم يقظانا ذكيا وجب على العالم ان يكون عليه مقبلا
وعلى تعليمه متوفرا لا يخفي عنه مكنونا ولا يطوى عليه مخزونا
وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال لعلي بن ابي طالب لأن
يهدى الله بك رجلا خير ممن طلعت عليه الشمس وان كان بليدا
بعيد الفطنة فينبغي الا يمنع من اليسير فيحرم ولا يحمل عليه الكثير
فيظلم ولا يجعل بلادته ذريعة الى حرمانه فان الشهوة باعثة والصبر
مؤثر وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال لا تمنعوا العلم اهله
فتظلموا ولا تضعوه في غير اهله فتأثموا وقال بعض الحكماء لا تمنعوا
العلم احدا فان العلم امنع لجانبه فان لم يكن الداعي دينيا نظر فيه فان
كان مباحا كرجل دعاه الى طلب العلم حب النباهة وطلب الرياسة
فالقول فيه يقارب التعليم له اذا كان مطلوبه من العلم ما يرجاه
ان يعطفه في الحال الثاني وذلك مثل علم التفسير والحديث وعلم
الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها وما اشبه ذلك
مما كان الاولون يشتغلون به ولذلك حكى عن سفيان الثوري
انه قال تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وقال ابن المبارك
تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا وذلك العلم مثل ما قدمناه
من علم التفسير والمواعظ فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا
فلا بأس ان يتركه فانه ربما يتشمر له الطالب طمعا في الوعظ به
للجاه والاستتباع ولكن ربما يتنبه في آخر الامر اذ فيه العلوم

المخوفة

المخوفة من الله عز وجل المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك
يوشك ان يرده الى قصد الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره
ويجرى تحبيب القبول والجاه بذلك اول مرة مجرى الحب الذى
ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك لعباده اذ
خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه
ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم واما
علوم المجادلات والفتاوى والخصومات والاشعار التى فيها السخف
واشباه ذلك فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة
فى القلب وغفلة عن الله سبحانه وتماديا فى الضلال وجمعا للحطام
الا من تداركه الله سبحانه برحمته واما ان كان الداعى الى التعلم
شرا كامنا ومكرا باطنا يريد ان يستعملها المتعلم فى شبهة دينية
وحيل فقهية لا يجد اهل السلامة عنها مخلصا ولا فيها مدفعا
كما قال النبى عليه السلام لا اخاف عليكم مؤمنا ولا مشركا لان
المؤمن قد شغله ايمانه والمشرك قد اذله الله بشركه ولكن اخاف
عليكم منافقا عالم اللسان جاهل القلب الحديث وقال عليه السلام
اهلك امتى رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد وقيل يا رسول الله اى
الناس اشر فقال العلماء اذا فسدوا فينبغى للعالم اذا رأى من هذا حاله
ان يمنعه من طلبته ولا يعينه على امضاء مكره وخديعته فان
اعانة من هذه حالته بسلاح العلم يجرى مجرى اعانة قاطع الطريق
بالسلاح وقد روى عن ابى المنيب حامد بن يابنس رحمه الله انه
كان اذا اتاه ابو خليل الدركلى رحمه الله للتعلم فان وجده مضطجعا
قعد على نفسه او مغطيا وجهه كشف عنه وان اتاه اخوه عمرو
ابن يابنس فان وجده قاعدا اضطجع او مكشوفا وجهه غطاه فقيل

له فى ذلك فقال ابوخليل انما يتعلم لله واما عمرو فانما يتعلم
ليؤذى المسلمين ويعنتهم فكان الامر كما قال الشيخ فكان ابوخليل
قائما بالدين قادة فى الاسلام فصار عمرو وبالا على المسلمين وصاحبا
لخلف بن السمح فاحدث احداثا فى الاسلام فكان يتبع زلات
المسلمين ويكتب بها الى الامام عبد الوهاب رضى الله عنه فكتب
اليه الامام فقال اعاذنا الله يا عمرو من النزول بعد الطلوع ومن
الترك بعد الاجتهاد ومن بغض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تخفيه
الابدان ومن اشياء ليس لها تجارب فقال بلغوه الكتاب وما
اظن ان تدركوه الا ميتا فلعل ان تدركوا جنازته فوجدوه كما حمل
الى القبر والله اعلم وفى روايات ابى سفيان محبوب رحمه الله قال
كان رجل ممن يقر بهذه الدعوة يقال له سلمة ثم ظهرت منه اشياء
كان يكتب بطائق يشتم فيها المسلمين ويعيبهم ويلقيها فى
المجالس حتى وجدوا نيفا على اربعين بطاقة من عيب المسلمين
وشتمهم فاجتمعوا لذلك ليظهروا امره للمسلمين ويتبرءوا منه
قال فتكلم ابو روح مغلس فقال انا وجدنا كتبا فيها عيب المسلمين
وشتمهم فوالله ما كتبها الا شيطان فعلى من كتبها لعنة الله ثم تتابع
المتكلمون على مقالة ابى روح ولم يسموا احدا قال فخرج سلمة الى
البحر فغرق فيه فعافاهم الله تعالى من شره فاذا راى العالم فى المتعلمين
امثال هؤلاء الفساق الذين يكون علمهم وبالا على المسلمين ومميتا
للدين فليقصهم ولا يفدهم العلم لئلا يكون شريكهم فى الشر والاثم
وقد روى عن النبى عليه السلام من طريق انس انه قال واضع
العلم فى غير اهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ وعن عيسى عليه السلام
لا تلقوا اللؤلؤ للخنزير وفى حديث آخر لا تلقوا الدر فى افواه الكلاب

فالعلم افضل من اللؤلؤ ومن لا يستحقه شر من الخنزير وحكي ان تلميذا سال عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل له لم منعته فقال لكل تربة غرس ولكل بناء اس وقال بعض البلغاء لكل ثوب لابس ولكل علم قابس وقال بعض الادباء ارث لروضة توسطها خنزير وارث لعلم حواه شرير قال الشاعر *

انى وتأبيني بمدحي معشرا * كمعلق درا على الخنزير

وعن عيسى عليه السلام انه قال لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها من اهلها فتظلموهم ويقال من اعطى الحكمة غير اهلها حاكمته الحكمة الى ربها وانشد بعض السلف من العلماء

لعمري لئن ضيعت في شر بلدة * فلست مضيعا عندهم غرر الكلم
فان فرج الله اللطيف بفضله * وصادفت اهلا للعلوم وللحكم
صبرت مفيدا واستفدت ودادة * والا فمخزون لدى ومكتتم
ومن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم
ومانع علم الدين ممن يريده * يبوء باوزار واثم اذا احرم

ويروى ان سفيان الثوري رءى حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجر الابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا والله اعلم وينشد المتنبي *

قالوا نراك تطيل الصمت قلت لهم * ماطول صمتي من عي ولا خرس
لكنه افضل الامرين عاقبة * عندي واجمله من منطق شكس
انثر البز فيمن ليس يعرفه * ام انثر الدر بين العمى في الغلس

واما اذا كانت زلة المتعلم بينه وبين الله تعالى فلا ينبغي ان يقصي ويحرم العلم بل يلطف به لعله يتوب اذا كان الخير فيه مرجوا والشر من قلبه مامونا وفي روايات ابي سفيان محبوب

رحمه الله انه قال كان حاجب رحمه الله يقول لعبد الملك
الطويل فيما يؤدبه فيه يا عبد الملك اذا كان احد يعيب عليه
المسلمون فى اشياء تكون بينه وبين الله تعالى فاستروا عليه
وعظوه واحضروه مجالسكم وارفقوا جهدكم عسى الله ان يتوب
عليه واذا كان احد يعيب عليه المسلمون فى خلافهم فى الدين
يريد ان يشغب عليهم ويفتق عليهم فتقا فابدوا عورته واهجروه
ولا تحضروه مجالسكم واعلموا الناس به حتى يكونوا منه على حذر
او يتوب والله اعلم * (الوظيفة الخامسة) * ينبغى للعالم ان
تكون له فراسة يتوسم بها احوال تلامذته وغيرهم من جميع
المتعلمين منه من الناس فيعطى كل واحد منهم مبلغ طاقته وقدر
استحقاقه فيعطيه ما لا يجهله بذكائه ولا يضعف عن بلادته
فانه اروح للعالم وانجح للمتعلم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
من طريق انس بن مالك انه قال ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم
وعن عمر رضى الله عنه انه قال اذا انا لم اعلم ما لم ار فلا علمت ما رايت
وقال عبد الله بن الزبير لا عاش بخير من لم ير برايه ما لم ير بعينه وعن
ابى عمرو بن العلا كان ابن العباس المعيا قال ابو عبيدة الالمعى
الذى يهجم بظنه على اليقين وقال ابو العينا سالت الاصمعى عن
الالمعى قال هو الذى يلمع الحق بظنه فيهجم عليه بيقين وقال
غيره سالت ابا زيد عن الالمعى فقال الذكى المتوقد الذى يكون
بظنه اوثق منك بيقين قال ابن الرومى *

الالمعى يرى باول ظنه * آخر الامر من وراء المغيب
لوذعى له فؤاد ذكى * ما له فى فؤاده من ضريب
لا يروى ولا يقلب طرفا * واكف الرجال فى تقليب

ويروى ان ابا عبيدة مسلم رحمه الله قال لاحد حملة العلم عنه
افت بما سمعت منى وما لم تسمع وهو الامام عبد الرحمن بن
رستم رحمه الله وقال لآخر افت بما سمعت منى وهو ابو الخطاب
عبد الاعلا المعافري الامام رحمه الله وقال للثالث لا تفت
انت بما سمعت منى ولا بما لم تسمع وهو ابو داود القبلي ثم كان
الامام عبد الوهاب رحمه الله فى زمانه عند ابي داود كالصبي
قدام المعلم مع ما اوتى الامام من العلم والعقل انظر الى فراسة
ابي عبيدة فى تلامذته حتى عرف مبلغ علم كل واحد منهم ومبلغ
عقله فامره بما يليق بعلمه وعقله ثم انظر الى ابي داود الذي حظر عنه
الفتوى على كل حال وهو قد بلغ من العلم والفضل الدرجة التي
يجلس من اجلها الامام عبد الوهاب بين يديه من اجلها كالصبي بين يدي
المعلم ثم انظر الى الذين عرضوا انفسهم لاحياء الدين واقامة الفتوى
بزعمهم من اهل زمانك فاذا كان العالم فى توسم المتعلمين بهذه
الصفة وكان بقدر استحقاقهم خبيرا لم يضع له عناء ولم يخب على
يده متعلم وان لم يتوسمهم وخفيت عليه احوالهم ومبلغ استحقاقهم
كانوا واياه فى عناء مكد وتعب غير مجد لانه لا يعدم ان يكون
فيهم ذكي يحتاج الى الزيادة وبليد يحتاج الى التقليل فيضجر الذكي
ويعجز البليد ومتى تردد اصحابه بين ضجر وعجز ملوه وملهم ولذلك
قيل كل لكل عبد بمكيال عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع
بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار فلذلك ينبغي ان يقتصر العالم
بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله فينفر منه ولكن
يقتدى بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر
الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم

اي يعرف احوال المتعلمين اي اهل زمانه

فان كان المتعلم ممن يستقل بفهم الحقايق فليلقها اليه والا اقتصر
على ما يفهمه وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال ما من
رجل يحدث قوما بما لم تبلغ عقولهم الا كان فتنة على بعضهم
وفي حديث علي انه اشار الى صدره فقال ان هاهنا علوما جمة لو وجدت لها
حملة وصدق فقلوب الابرار قبور الاسرار وقال النبي عليه السلام
كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرونه اتريدان يكذب الله ورسوله
وعنه عليه السلام انه قال من وضع الحكمة في غير اهلها جهل
ومن منعها من اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط لكل ذى
حق حقه وفي لفظ آخر كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء موضع
الداء فلا ينبغي للعالم ان يفشي كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان
من يفهمه من الناس وكان اهلا لذلك العلم والذي ينبغي للعالم ان لا
ينشر للمتعلم رخص الفتاوى والمسائل الا اذا كان اهلا لذلك مامونا على الدين لان
الرخص انما هي للمضطرين والمتعلم اذا لم يكن امينا فانه يستعمل الرخص
مختارا لا مضطرا وقد قال بعض العلماء لبنيه اياكم والمرخصين
لئلا تفار فواديكم وانتم لا تشعرون وسئل بعض العلماء عن شئ
فلم يجب فقال السائل اما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك
اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقال بعض العلماء
في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم قال فيه تنبيه على ان حفظ
العلم ممن يفسده ويضره اولى وقال بعض العلماء الحكماء تظهر من لا يعقل ولا يعمل
وقال بعض العلماء كل علم كثر على السمع فلم يطاوعه الفهم ازداد عمايه
القلب وانما ينفع السمع في الاذان اذا قوى فهم القلوب في الابدان
وبالله التوفيق * (الوصيفة السادسة) * ينبغي للعالم ان لا يعنف

متعلما ولا يحقر ناشئا ولا يستصغر مبتديا فان ذلك ادعا اليه
واعطف المسترشدين اليه واحث على رغبتهم فيما لديه وقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال علموا ولا تعنفوا فان المعلم
خير من المعنف ولكن اذا ظهر من المتعلم اخلاق السوء ينبغي له ان
يزجره عن ذلك بطريق التعريض دون التصريح ما امكن له ذلك
وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ لان التصريح بذلك والتوبيخ له يورث
الجرأة على المخالفة ويهيج الحرص على الاصرار ويهتك حجاب الهيبة
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منع الناس من فت البعر
لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ وينبغي للعالم اذا لم يكن متكفلا
بجملة العلوم الا يقبح في نفس المتعلم ما لم يحط به من العلوم كالعالم
باللغة مثلا لا يقبح علم الفقه والعالم بالفقه لا يقبح علم الحديث والتفسير
ويقول ان ذلك نقل محض وسماع وهو من شان العجائز ولا نظر للعقل
فيه وكذا العالم بالكلام لا يقبح علم الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام
في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق
مذمومة للعلماء الذين تعرضوا للتعليم فينبغي ان يجتنبوها بل العالم
المتكفل بعلم واحد ينبغي له ان يوسع على المتعلم طريق التعليم في غير فنه
هو وان كان متكفلا بعلوم مختلفة فينبغي ان يراعي التدريج في ترقي
المتعلم من رتبة الى رتبة وبالله التوفيق * (الوضيعة السابعة) * ان
لا يبخل العالم بتعليم ما يحسن ولا يمنع من افادة ما يعلم فان البخل به لوم
وظلم والمنع منه حسد واثم فكيف يساغ له البخل بما منحه جودا من
غير بخل واوتيه عفوا من غير بذل ام كيف يجوز له الشح بما ان بذله
زاد وان كتمه تناقص ووهى وينشد *

ابا بكر دعوتك ان اطعت * الى ما فيه حظك ان غفلت

الى علم تكون به اماما … مطاعا ان امرت وان نهيت
ويجلو ما بعينك من غشاها … ويهديك السبيل اذا ضللت
ينالك نفعه مادمت حيا … ويبقى ذخره لك ان ذهبت
وتحمل منه في دنياك تاجا … ويكسوك الجمال اذا اعتريت
هو العضب المهند ليس ينبو … تصيب به مقاتل من ضربت
وكنز لا تخاف عليه لصا … خفيف الحمل يوجد حيث كنت
يزيد بكثرة الانفاق منه … وينقص ان به كفا شددت

فكيف يبخل بما هذه صفته ولو سن ذلك من تقدمه لما وصل منه عنده بغيته ولا نقرض بانقراض الاولين ولصار على مرور الايام من الجاهلين وقال بعض الحكماء اذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فاحري ان يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل وقال بعض الحكماء كما ان الاستفادة ليست نافلة للمتعلم كذلك الافادة فريضة على المعلم وله بالتعليم نفعان احدهما ما يرجوه من ثواب الله تعالى فقد جعل النبي عليه السلام التعليم صدقة فقال تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده وراى يسدده وعنه عليه السلام من طريق ابن مسعود رضى الله عنه انه قال تعلموا وعلموا فان اجر العالم والمتعلم سواء قيل وما اجرهما قال مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة والنفع الثاني زيادة العلم واتقان الحفظ فقد قال الخليل بن احمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها على ما ليس عندك وقال بعض العلماء ينبغي للعالم ان لا يعجل ببذل العلم لطالبه في اول مرة بل يردده ثلاث مرات ويبعده ولا يوئيسه فان وجده معاودا طالبا ومترددا راغبا اجاب مسئلته واعطاه بغيته وان وجده تاركا للمعاودة فليس هو من اهل الفائدة وقد

رفع

رفع عن ابي عبد الله محمد بن بركة رحمه الله انه كان يتردد الى ابي الحسن
علي ... طالبا للتعلم منه وهو يدافعه دفعات فلما تصور عنده
رغبته وتحقق ارادته اقبل اليه فعلمه واكرمه فينبغي للعالم
اذا رضي من جاءه للتعلم ان يعلمه ولا يحرمه وقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال استودعوا العلم الاحداث اذا
رضيتموهم وعنه عليه السلام انه قال يحمل هذا العلم من
كل خلف عدوله ينفون عنه تاويل الجاهلين وتحريف الغالين
وانتحال المبطلين وان راه للجهل راكبا وعن التعلم ناكبا
اعرض عنه اهمالا ولم يجعل له بالاقبال يبعده عنه ويؤيسه
منه وبالله التوفيق * (الوظيفة الثامنة) * ينبغي
للعالم اذا ساله السائل متعلما ان يجيبه وان عاوده مستفهما
ان يفيده ولا يضجر لانه ربما لم يفهم عنه الجواب في اول
اجابته وان بان له انه يسئله متعنتا او عابثا او طالب رخصة
متاولا صمت عنه ولم يجبه وقد روى عن ابن عباس رضي الله
عنه امسك عن اجابة المتعنت وهو حبر الامة وربانيها القائل
من يسئلني عما دون العرش اخبره وقد روى ان علي بن ابي
طالب ساله ابن الكوا وهو على المنبر فقال اجلس يا ابن
الكوا فانك متعنت ولست بمتفقه فقال والله ما انا
بمتعنت واني لمتفقه وانك لامام وانا الرعية وان لله الحجة
عليك فقال ويلك يا ابن الكوا اسئل تفهما فبين اضلاعي علم جم
فهذا علي قد توقف عن الجواب لما ظن انه متعنت ثم اجابه
اذا قسم له انه متفقه والتعنت ماخوذ من العنت وهو
ادخال المشقة على الانسان لان المتعنت يريد بسؤاله

الاذى والامتحان وانشد الماوردى *

يحاول اعناتى بما قال اورجا * ليضحك مني اوليضحك صاحبه

وكان بعض العلماء اذا سئل عن امر يكره فيه الجواب تمثل بهذا البيت

ار الصمت خير من امور كثيرة * اذا لم يكن للناطقين كلام

وقيل كان الشيخ ابو محمد من اصحابنا اذا سئل عن غير مذهبه تمثل بهذا البيت *

تحاول مني شيمة غير شيمتي * وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وقيل جاء اعرابي الى المامون ليستميحه فاراد المامون امتحانه فقال يا اعرابي كم عليك من صلاة فقال ان الصلاة اربع فاربع ثم ثلاث بعدهن اربع ثم صلاة الفجر لا تضيع ثم قال للمامون يا امير المؤمنين كم فيك من كاف قال (ولم يدر المامون) فاخبرني يا اعرابي فقال فيك الكاهل والكتد والكتف والكشح والكبد والكلية والكرسوع والكف والكعب فوصله واحسن جائزته فالكاهل مقدم الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الاعلى فيه ست فقرات والكتد ما بين الكشح الى منصف الكاهل والكشح ما بين الخاصرة الى الضلع وهو موضع السيف من المقلد والكرسوع طرف الزند الذى يلي الخنصرة والكادة من الفخذ موضع الكي من جاعرتي الحمار والله اعلم

(الوضيفة التاسعة) ينبغي للعالم ان يكون اوسع الناس صدرا واكثرهم صبرا واجملهم لقاء واحسنهم اخلاقا لان المتعلمين منه يحذون خلائقه ويتخذون طريقه فيجب ان يكون لهم الى اسنا الافعال منهاجا ومن غي الضلال سراجا فلا يمنع طالبا ولا يؤيس راغبا ولا ينفر متعلما لما في ذلك من قطع الرغبة منه والزهد فيما لديه واستمرار ذلك مفض الى انقراض العلم

بانقراضه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الا انبئكم بالفقيه من الفقيه قالوا بلى يا رسول الله قال من لم يقنط
الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن
رغبة عنه الى ما سواه الا لا خير فى عبادة ليس فيها تفقه ولا علم
ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر وينبغى له ان يختبر المتعلم
ليعرف موضعه من المعرفة وعن محمد بن القاسم قال اتيت عبد الله
ابن داود الحرانى لاسمع منه فخرج الى فقلت ارايت ان تحدثنى قال
اقرات القرآن قلت نعم قال اقرا على واتل عليهم نبأ نوح فقراته فقال
اصبت ثم قال نظرت فى الفرائض فقلت نظرت فى شئ من الكبر
وبعض الصلب قال ايما اقرب اليك ابن اخيك ام ابن عمك قلت ابن
اخى قال ولم قلت لان ذلك من ولد جدى وذا من ولد ابى قال
اصبت ثم قال لى نظرت فى شئ من العربية قلت نعم قال ما معنى قول
عمر رضى الله عنه حين ضربه ابو لؤلؤة يا العباد الله يا للمسلمين ولم
يقل يا للعباد ويا للمسلمين فقلت استغاث مما نزل به قال اصبت لو
كنت اليوم محدثا لحدثتك فقد اختبره ليعلم موضعه ويقف على
ما معه فيعطيه من التعليم حقه ولا يبخسه منه حظه وينبغى
للعالم اذا جاءه كتاب فيه سؤال عن نازلة ان يشاور فى جوابها
من بحضرته ممن يصلح لذلك ويقرا ما فيها عليهم فان ذلك اقتدا
بالسلف قال الله تعالى وشاورهم فى الامر الا ان كان فى الكتاب
ما ينبغى ان يكتم عن غيره او فى الجواب ما ينبغى ان ينفرد به دون من
بحضرته فليكتم عنهم قراءته وليجب عن السؤال الذى فيه دون
مشاورة جلسائه كما قيل عن بعض اصحاب الشافعى انه قال كان
الشافعى اذا جاءته الفتوى عرضها على اصحابه وسال كل واحد منهم

عما عنده قال الربيع فجاء تر رقعة فى بعض الايام فقراها وتبسم وكتب الجواب من غير اعلامنا بذلك كالعادة قال وكان فيها اسل المفتى المكى هل فى تزاور وضمة مشتاق الفؤاد جناح فاجاب عن ذلك فقال اقول معاذ الله ان يذهب التقا تلاصق اكباد بهن جراح وقيل ان امراة جاءت الى الحسن البصرى فقالت شعرا *

يا حسن البصرة ياذا النهى | انى الى وجهك مشتاق
قل لى وانت المرء ذو حكمة | فى كل ما تحكيه صداق
هل جائز تقبيل رعبوبة | وردية الخدين براق

فاجابها الحسن

اقول والرحمن لى شاهد | ما انا بالفحشاء نطاق
ان كنت للتقبيل ذا ارببة | مشتهى للهو شواق
حرمت فى الجنة حورية | وردية الخدين رقواق
فاستشعر التقوى وكن خاشعا | فان تقوى الله ترياق

وسالته امراة اخرى فقالت يا ابا سعيد ايحل للرجل ان يتزوج على امراته وهى حسنا جميلة فقال نعم فقالت بعيشك يا ابا سعيد لا تفتى الرجال بهذا والله اعلم فهذه وامثالها مما ينبغى ان ينفرد المفتى بقراءة كتاب سؤالها وينفرد بالجواب عنها وينبغى للمفتى ان يتامل المسئلة تاملا شافيا كلمة بعد كلمة ويكون توقفه فى المسئلة السهلة كتوقفه فى الصعبة ليكون ذلك عادة له وينبغى ان يختصر الجواب ولا يطيل وقد حكى ان بعض امراء البصرة سال الحسن وابن سيرين عن مسئلة فاختصر الحسن واطال ابن سيرين فلما خرجا قال الامير اما الحسن ففقيه واما ابن سيرين فقاصر والله اعلم

(الوضيفة العاشرة) ينبغى للعالم اذا سئل ان لا يعجل بالجواب وان كان له حافظا حتى يتفكر فيه ويعرفه معرفة صحيحة فيجيب

بعلم ويقين فان ذلك من آداب العلماء و قد روى في الحديث المؤمن
وقاف والمنافق وثاب و ينبغي اذا سئل عما يعلم ان يجيب ولا يقول
لا ادرى فانه مكروه وكذب و قد قيل ان الريا سبعة وسبعون بابا
ادناه حين يقول فيما يدرى لا ادرى و عن ابن عباس ان عمر رضي الله
عنهما سال اصحابه عن قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل
واعناب الآية فقالوا الله اعلم فغضب فقال قولوا نعلم او لا نعلم و عن
عمر ايضا انه سال رجلا عن شئ فقال الله اعلم فقال عمر قد خزينا ان
كنا لا نعلم ان الله يعلم اذا سئل احدكم عن شئ فان كان يعلمه فليقله
وان كان لا يعلمه قال لا علم لي بذلك لانه لما لم يكن الى الاحاطة بالعلم
سبيل فلا عار ان يجهل بعضه وان لم يكن في جهل بعضه عار لم
يقبح به ان يقول لا اعلم فيما ليس يعلم و قد روى عن النبي عليه
السلام انه قال من سئل وافتى بغير علم فقد ضل واضل و قال
بعض الحكماء من العلم ان لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم فحسبك
خجلا من عقلك ان تنطق بما لا تفهم ولقد احسن الشاعر حيث يقول

اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده * اطال فاملى ام تناهى فاقصر
ويخبرني عن غائب المرء فعله * كذا الفعل عما غيب المرء مخبر

قال الله سبحانه قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
الى قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون و قال تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم و قد روى ان رجلا سأل النبي عليه السلام
اى البقاع خير واى البقاع شر فقال لا ادرى حتى اسال جبريل
و عن علي بن ابي طالب انه قال خمس خذوهن عني فلو ركبتم فيهن
الفلك ما وجدتموهن الا عندى الا لا يرجون احد الا ربه ولا
يخافن الا ذنبه ولا يستنكف ان يتعلم ما ليس عنده واذا سئل

عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ومنزلة الصبر من الايمان كمنزلة الراس من الجسد وعن على ايض قال ما ابردها على الكبد قالها ثلاث مرات قالوا وما ذلك يا امير المؤمنين قال اذا سئل الرجل عما لا يعلم فيقول الله اعلم اى ارض تسعنى واى سماء تظلنى اذا قلت على الله ورسوله ما لا اعلم وفى لفظ آخر قال فان العالم من عرف ان ما يعلم فيما لا يعلم قليل وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال على منبر النبى صلى الله عليه وسلم ايانف احدكم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول الله اعلم وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنه اذا ترك العالم قول لا ادرى اصيبت مقالته وقال بعض العلماء هلك من ترك لا ادرى وقال بعض البلغاء من قال لا ادرى علم فدرى ومن انتحل ما لا يدرى اهمل فهوى وقال ابن دريد

ومن كان يهوى ان يرى متصدرا * ويكره لا ادرى اصيبت مقالته

وحرام على الانسان ان يتكلم بما لا يعلم ولا سيما فى الدين فانه لا يخلو ان يحل حراما او يحرم حلالا وقد قالت العلماء تحريم الحلال كتحليل الحرام وحسب المرء اذا سئل عما لا يعلم ان يجيب بما اجابت به ملائكة الله حين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وينشد لعبد الله بن مصعب ولقد احسن *

ترى المرء يعجبه ان يقولا * واسلم للمرء ان لا يقولا
فامسك عليك فضول الكلام * فان لكل كلام فضولا
ولا تصحبن اخا بدعة * ولا تسمعن له الدهر قيلا
فان مقالتهم كالظلال * يوشك افياؤها ان تزولا
وقد احكم الله آياته * وكان الرسول عليها دليلا
فاوضح للمسلمين السبيل * فلا تتبعن سواها سبيلا

فلا يجوز للمسئول ان يجيب الا بما يعلم صحته اما حفظا او رايا
ان كان ممن يجوز له اجتهاد الراي ولا ينبغي للعالم وان صار
في طبقة العلماء الا فاضل ان يستنكف من تعلم ما ليس عنده
ليسلم من التكلف له وعن عيسى عليه السلام قال يا صاحب
العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلم الجهال ما علمت وعن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنه انه قال لو كان احد مكتفيا من العلم
لاكتفا منه موسى عليه السلام حيث قال هل اتبعك على ان
تعلمني مما علمت رشدا وقيل للخليل بن احمد بم ادركت هذا العلم
قال كنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال اثنان منهومان لا يشبعان ابدا طالب علم وطالب
دنيا اما طالب العلم فانه يزداد قربا من الرحمن ثم قرا انما يخشى الله
من عباده العلماء واما طالب الدنيا فانه يزداد طغيانا ثم قرا كلا ان
الانسان ليطغى ان راه استغنى ولا ينبغي للعالم ان يجهل من نفسه
مبلغ علمها ولا ان يتجاوزها قدر حقها لان من جهل حال نفسه
كان لغيره اجهل وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول
الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وقد قسم
الخليل بن احمد احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعة اقسام
متوالية لا يخلو الانسان منها فقال الرجال اربعة اقسام رجل
يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاسئلوه ورجل يدري ولا
يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه وذكروه ورجل لا يدري ويدري
انه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري ولا يدري
انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وانشد الماوردي لابي
القاسم الامدي واظن ان هذا البيت اول الابيات

تمام العلم طول السكوت وانما | شفاء العما يوما سؤالك من يدرى
اذاكنت لاتدرى ولم تك بالذى | يسائل من يدرى فكيف اذا تدرى
جهلت ولم تعلم بانك جاهل | فمن لى بان تدرى بانك لاتدرى
اذاجئت فى كل الامور بغمة | فكن هكذا ارضا يطاك الذى يدرى
ومن اعجب الاشياء انك لاتدرى | وانك لاتدرى بانك لاتدرى

فصل ومما يجب على العالم ان يلتزم التواضع ويجتنب العجب والتكبر لان التواضع عطوف والعجب والتكبر منفر صروف وهو بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح ولان العجب نقص ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقد ورد الخبر عن النبى عليه السلام وعنه عليه السلام انه قال قليل الفقه خير من كثير من العبادة وكفى بالمرء علما اذا عبد الله وكفى به جهلا اذا اعجب برايه وعلة اعجاب العلماء بانفسهم انصراف نظرهم الى من دونهم من الجهال وانحراف نظرهم عن من فوقهم من العلماء وقد قيل فى منثور الحكم اذا علمت فلا تذكر كثرة من دونك من الجهال ولكن انظر الى من فوقك من العلماء وينشد لابن العميد

من شاء عيشا جيدا يستفيد به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ادبا * ولينظرن الى من تحته مالا

وقل من تجد بالعلم معجبا الا من كان فيه مقلا مقصرا لانه يجهل قدره ويحسب انه قد نال بالدخول فيه اكثره واما من كان فيه متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن ادراك غايته ما يصده عن العجب به وقد قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فالعلم اكثر من ان يحيط به البشر وليس من عالم الا وكان اعلم منه قال الله سبحانه نرفع درجات من نشاء

وفوق كل ذى علم عليم وينشـــد *
وراء كل ذى علم عليم وينتهى * الى الله كل العلم ناهيك من اعطا
وقال ابن محبوب رحمه الله لا يزال العالم عالما مادام يتعلم فاذا
رأى انه قد استغنى فهو جاهل وعن الشعبى انه قال العلم ثلاثة
اشبار ومن نال منه شبرا شمخ بانفه وظن انه عالم ومن نال الشبر
الثانى صغرت اليه نفسه وعلم انه جاهل واما الشبر الثالث
فهيهات لا يناله احد ابدا فصـــل اعلم انه قد يتعلق بالدين
علوم كل علم منها له فضيلة ينبغى للمتعلم التطرف من كل علم منها
مثل علم التفسير والحديث والقراءات وتواريخ الاخبار وعلم
الغريب واشباه ذلك وقد يقال علوم الشريعة عشرة انواع
مزدوجات لا تصح معرفة احدها الا بالآخر والا كان واهيا
ضعيفا وهى الكلام واللغة والنحو والقرآن والفقه والسنة
والفرائض والضرب وطبائع الانسان وطبائع الاغذية من علم
الطب فمن لم يعلم ذلك ويجمع المقصود منه والمطلوب كل علمه
وقل فهمه واختل حكمه وقد بين الشافعى فضيلة بعضها فقال
من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن كتب
الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الغريب
رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ولعمرى ان اس الفضائل
كلها صيانة النفس عن الرذائل التى تصدر منها لان من اهمل صيانة
نفسه ثقة بما منحه من العلم سلبه الجهال فضيلة علمه ووسموه
بقبيح تبذله لما فى طباعهم من نقمة الحسد ونزاع المنافسة فتنصرف
عيونهم عن المحاسن الى المساوى ولا سيما من كان بالعلم موسوما
واليه منسوبا فان زلته لا تقال وهفوته لا تعذر اما لقبح اثرها

واغترار كثير من الناس بها لانه قيل زلة العالم كالسفينة تغرق
فهذا وجه واما الان الجهال بذمه اغرا وعلى تنقصه احرى ليسلبو
فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصص عنادا لما جهلوه ومقتا
لما باينوه لان الجاهل يرى العلم تكلفا ولوما كما ان العالم يرى الجهل
تخلفا وذما وينشد عن الشافعي *

فمنزلة الفقيه من السفيه | كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد فى قرب هذا | وهذا ازهد منه فيه
اذا غلب الشقاء على سفيه | تنطع فى مخالفة الفقيه

فعلى العالم ان يلتزم الادب والوقار والحلم والسكينة والعلم ولا يجالس
الجهال ولا يخض معهم فيما يخوضون فيه من الاقوال والافعال
وقال بعض الحكماء من صاحب العلماء وقر ومن صاحب الجهال حقر
على ان العلم عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ومن كان صادق
النية فيه لم تكن له همة فيما يجد بدا منه وقد قال بعض الحكماء
من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلا بالكتب لم تفته سلوة
وينشد * * *

خير ما ورث الرجال بنيهم | ادب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والاوراق | فى يوم شدة او رخاء
هى تفنى والدين والادب الصالح | لا يفنيان حتى اللقاء
اذا تادبت يا بنى صغيرا | كنت يوما تعد فى الكبراء

غيره

قل لمن فاخر جهلا بالنسب | انما الناس لأم واب
هل تراهم خلقوا من فضة | او حديدا او نحاس او ذهب
او ترى فضلهم فى خلقة | غير لحم فوق عظم وعصب

انما الفخر بعقل راجح * وباخلاق حسان وادب

فهذه جملة كافية في اداب المتعلم والعالم وما يليق بهما من الاخلاق الرضية والافعال المرضية وبالله التوفيق

(الباب الثامن في آفات العلم والعلماء السوء)

اعلم ان هذا الباب ينحصر في جملتين احدهما في آفات العلم والثانية في الاخبار والآثار الواردة في العلماء السوء الجملة الاولى في آفات العلم وهي كثيرة ونحن نذكر هاهنا منها ما لا بد منه فاول آفات العلم انصراف القلب عن التعلم حتى لا تكون للانسان همة في الطلب وذلك يكون باسباب احدها علو منزلة واستصلاح رياسة دخل فيهما فهذا الى العلم احوج كما قدمنا الثاني ان يمنعه عن التعلم اصلاح ماله ومرمة حاله فهذا اضعف عذرا لان المال ظل زايل وعارية مسترجعة تبعد عن الرحمن والعلم افضل من المال اذ به تنال النجاة عند الله تعالى وقد تقدم فضل العلم على المال الثالث يمنعه عن التعلم كبر السن فيتركه استحياء من تقصيره في الصغر وتعلمه في الكبر فرضي بالجهل عن العلم وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل لان العلم لما كان فضيلة فرغبة ذوي الانسان فيه اولى ولان يكون شيخا متعلما اولى من ان يكون شيخا جاهلا الرابع ان يمتنع عن التعلم لتعذر المادة وهذا اقل ما يكون الا عند ذوي شره وشهوة مستعبدة فينبغي ان يصرف الى التعلم حظا من زمانه لانه لا بد للمكتسب من اوقات عطلة او استراحة ومن صرف كل عمره الى الكسب فهو من عبيد الدنيا واسراء الحرص وعن النبي عليه السلام انه قال لكل شئ فترة فمن كانت فترته الى العلم فقد نجا الخامس ربما منعه من التعلم ما يخشى من صعوبته وبعد غايته

ويخاف من قلة ذهنه وهذا الظن من اعتذار ذوي النقص وخيبة اولى العجز لان الخشية قبل الابتلاء عجز وقد قال القائل *

لا تكونن لامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة فليس وان تفاضلت الاذهان وتفاوتت الفطن ينبغي لمن قبل من العلم حظه ان ييأس من نيل القليل وادراك اليسير الذي يخرجه من حد الجهالة الى ارتقاء مراتب التخصيص فالماء مع لينه يؤثر في صم الصخور فكيف لا يؤثر العلم الزكي في نفس راغب شهي وطالب خلي لاسيما وطالب العلم معان السادس ربما منع ذوي السفاهة من طلب العلم ان يصور في نفسه الحرمان من اجله فان راى محبرة تطير منها او وجد كتابا اعرض عنه وان راى متحليا بالعلم هرب منه كانه لم ير عالما مقبلا وجاهلا مدبرا وهذا لا يرجى له صلاح ولا يؤمل منه فلاح لان من اعتقد ان العلم شين وان تركه زين وان للجهل اقبالا وان للعلم ادبارا كان ضلاله مستحكما ورشاده مستبعدا وكان هذا هو الخامس الذي قال فيه علي بن ابي طالب اغد عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك وقد روى هذا عن النبي عليه السلام مسندا فنعوذ بالله من خدع الجهل المضلة وبوار الحمق المظلة ونسأل الله السعادة بعقل رادع وعلم نافع فاذا سلم العبد من آفات هذه الموانع وطلب العلم بالشهوة الصادقة والجد القاطع استقبلته افة اخرى وذلك بان تكون في النفس اسباب فاسدة فيطلب نوعا من العلوم لغرض يدعوه اليه ذلك كرجل يؤثر القضا والحكم بين الناس فيقصد من علم الفقه ادب القاضي وما يتعلق عليه من الدعاوي والبينات

او يجب الارتسام بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات لئلا يصير موسوما بجهل ذلك فاذا ادرك ذلك ظن انه قد حاز من العلم جوهره ونال منه مشهوره ولم ير غير ذلك الاصعب طلبه وعويصا استخراجه فينبوا عنه لقصور همته على ما ادركه وانفرا عما تركه ولو نصح نفسه لعلم ان ما تركه اهم عما ادركه فاذا ليس يعرى من لوم وان كان تارك الكل الوم ومنها ان يحب الاشتهار بالعلم اما التكسب به او للتجمل به فيقصد من العلم ما يشتهر به من مسائل الجدال وطريق النظر ويتعاطى علم ما اختلف فيه دون ما اتفق عليه ليناظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق وبالجملة يقصد بعض العلوم التي لا ينتفع في الآخرة من علوم اللسان او علوم العقل مع ترك العلوم الدينية او علوم الدين مع اعتقاد البدع فيه ومنها التقليد للآباء ومنها قطاع طريقة الدين على المسلمين من اهل الالحاد وفرق الموحدين ومنها تلبيس ابليس عند لوائح الحق المبين فاذا سلم من هذه الآفات كلها وحاز من العلوم افضلها ومن الاعمال اصوبها واكملها فيحترز من الجدال والمراء كما يحترز من السم القاتل فانه الداء العضال وهو من آفات العلماء السوء الذين بالغوا في التعصب للحق بزعمهم ونظروا الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار حتى توفرت دواعيهم على طلب نصرة آبائهم ووقع الباس منهم قال الله تعالى وكان الانسان اكثر شئ جدلا وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدال ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وعنه عليه السلام انه قال لا يجادل الا منافق او مرتاب وعن الاوزاعي انه قال اذا اراد الله بقوم شرا اعطاهم الجدل ومنعهم العمل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم

والجدال هو الذى يقصد لدفع ما يرد عليه من فاسد وصحيح
واما اذا قصد بالجدال مناظرة مبتدع لينقض بدعته ويطهر
قلوب العوام من تشويش ضلالته فذلك عادة السلف الصالح من
المسلمين وذلك فرض كفاية على علماء الدين ينفون عنه تاويل الجاهلين
وتحريف الغالين وانتحال المبطلين لقوله عليه السلام اذا ظهرت البدع
فى امتى فعلى العالم ان ينشر علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين واعتقاد العالم فى ذلك الذبّ عن الدين بالبلاغة فى
المقال والمناصحة فى الفعال والاعراض عن الفضال ويقصد بذلك
الدعاء الى الحق المبين بالحكمة والموعظة الحسنة فالمجادلة لغير ما ذكرنا
ديدان السفهاء الجاهلين واما المناظرة فهى داب الفقهاء المحققين
ولكن لها شروط من حصلها بالكمال فلا حرج عليه فى المناظرة والا فهى
مجادلة احدها ان يكون المناظر مجتهدا يفتى برايه لا بمذهب احد ممن
تقدمه حتى اذا ظهر له الحق ترك رايه وافتى بما ظهر له كما كان تفعله
الصحابة والائمة واما من ليست له رتبة الاجتهاد وهو حكم اهل عصرنا
هذا وهو انما يفتى فيه ناقلا عن مذهب صاحبه ولو ظهر له ضعف
مذهبه لم يجز له ان يتركه فاى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم
ولو كانت مناظرته فى المسائل التى فيها قولان لصاحبه لكان اشبه
فربما يستفيد بالمناظرة الترجيح لاحد القولين الثانى ان تكون
مناظرته فى المسائل الواقعة او ما يقرب وقوعها غالبا كالفرائض واشباههما
حتى لا يضيع اوقاته فى المنازعات ويتعرض للمخاصمات والآفات
الثالث ان تكون المناظرة فى الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين
اظهر الاكابر فان الخلوة اجمع للفهم وادراك للحق وحضور الجمع يحرك
دواعى الريا ويهيج الحرص على نصرة كل واحد منهما لنفسه محقا كان

او مبطلا الرابع ان يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يديه او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطا واظهر له الحق فهكذا كانت مشاورة الصحابة رضى الله عنهم حتى ردت امراة على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امراة واخطأ رجل وفى لفظ كل يخاصم عمر حتى المراة وذلك حين تكلم فى تنقص صدقات النساء وسال رجل عليا فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبتَ واخطاتُ وفوق كل ذى علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابى موسى الاشعرى فقال ابو موسى لا تسئلونى عن شئ وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعاد واعاد الجواب فقال ابن مسعود رضى الله عنه انا اقول ان قتل واصاب الحق فهو فى الجنة فقال ابو موسى ما قال فهكذا ان يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه استبعد ذلك وقال لا يحتاج ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد الخامس ان لا يمنع معينه على استخراج الحق بالنظر من الانتقال من دليل الى دليل فهكذا كانت مناظرة السلف والصحابة رضى الله عنهم السادس ان يناظر من يرجو الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم فبهذه الشروط يتبين من يناظر لله سبحانه ممن يناظر لغرض يدعوه الى ذلك فى نفسه السابع ان يسلم من آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه

والحقد على المناظرة والغيبة والطعن عليه والكذب والبهتان والتجسس وتتبع عورات الناس والفرح بمسائتهم والاستكبار عن الحق اذا ظهر والريا وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم والمكر والخديعة لدفع قول مناظرة واشباه ذلك من رذائل الاخلاق لان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام للخصوم واظهار الشرف والفضل عند الناس واستمالة وجوههم هى منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله تعالى ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الحسد والكبر وسائر ما قدمنا ذكره كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتل والقذف والسرقة وسائرها وكما ان الذى خير بين شرب الخمر وسائر الفواحش فاستصغر الخمر واقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى الجدال والمناظرة لاجل طلب الجاه والمباهات به دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة فلهذا قلنا ان الفقهاء الاولين وعلماء السوء المتمردين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ومزقوا الامة قطعا قطعا دعاهم طلب الرياسة وحب الجاه والمنافسة الى المجادلات والمناظرات والنظر الى مخالفيهم بعين الازدراء والاستحقارات فانبعثت دواعى المخالفين بالمقابلة والمكافات وسمى كل فريق منهم ما صنعوا من المجادلات ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين فكان ذلك على التحقيق سببا لهلاك الخلق ورسوخ البدع فى نفوس الامة الا المحسنين فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ونحن نعوذ بالله من فتنة الجهل

وانتم

ونعوذ بالله من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ به من العجب بما نحسن ونعوذ به من شر السلاطة والهذر كما نعوذ به من شر العي والحصر وبالله التوفيق *(الجملة الثانية)* فى الاخبار والآثار الواردة فى العلماء السوء اعلم انه قد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة قال الله سبحانه يايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وقال تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فلما لم يفعلوا عيرهم الله فقال فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا الآية وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الى قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الآية فى امثالها كثير واما الاحاديث فكثيرة كقوله عليه السلام من طريق جابر بن زيد عن انس بن مالك عنه عليه السلام انه قال ويل لمن لا يعلم ولم يعمل مرة وويل لمن يعلم ولم يعمل مرتين ومن طريقه ايض عنه عليه السلام انه قال من تعلم العلم ليباهى به العلماء او ليمارى به السفهاء لقى الله وهو خائب من الحسنات وعنه عليه السلام انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه ويروى عنه عليه السلام انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وعنه عليه السلام انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعنه عليه السلام انه قال من تعلم العلم للرفعة والعظمة أوقفه الله تعالى موقف الذل والصغار يوم القيامة ويجعله الله تعالى عليه حسرة

حين يكون العلم لاهله زينا وعنه عليه السلام انه قال يكون في
آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وفي حديث آخر عنه عليه
السلام انه قال لا تقوم الساعة حتى تكون امناء خونة وقراء
فسقة ليست لهم رعة تغشاهم فتنة مظلمة يتهوكون فيها
كما تتهوك اليهود في الظلمة وعنه عليه السلام انه قال الفقهاء
امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا فعلوا ذلك فاتهموهم
على دينكم وعنه عليه السلام انه قال لن تزال هذه الامة تحت
يد الله تعالى وفي كنفه ما لم يمال قراؤها امراءها وما لم يزك صلحاؤها
فجارها وما لم يهن شرارها خيارها فاذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم
يده وسلط عليهم جبابرة فساموهم سوء العذاب وضربهم
بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعبا وعنه عليه السلام انه
قال اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وبلغنا انه قيل يا رسول
الله اى الشر شر قال اللهم عفوا شر شرار العلماء وعنه
عليه السلام انه قال من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد
من الله الا بعدا وعنه عليه السلام انه قال لانا من غير الدجال
اخوف عليكم من الدجال قيل وما ذاك يا رسول الله قال ائمة
ضالون
مضلون وعن حذيفة بن اليمان قال يا رسول الله هذا الخير الذى
اتانا الله بك هل بعده من شر قال نعم الفتنة قال وهل بعدها من
خير قال نعم اغضاء على اقذاء وهدنة على دخن قال وهل بعد هذا
الخير من شر قال نعم ائمة مضلون يقعدون على ابواب جهنم ينادون
اليها كل من اجابهم قذفوه فيها قال صفهم لنا يا رسول الله فاني اخاف
ان ادركهم قال هم من جلدتنا ويتكلمون بكلامنا وعنه عليه
السلام انه قال اخوف ما اخاف عليكم زلة عالم او منافق يجادل

بالقرآن وعن عيسى عليه السلام انه قيل له اى الناس اشد فتنة
قال زلة العالم اذا زل بزلته عالم كثير وعنه عليه السلام ايضا انه
قال يا علماء السوء تصلون وتصومون وتتصدقون ولا تفعلون
ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول
والاماني وتعملون بالهواء وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم
دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب
وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل
في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من
الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم
تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم
بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم وصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح
الآخرة واى الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم الى متى تصفون الطريق
للمدلجين وانتم مقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها
لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج
فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون
نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا فلا
كعلماء يعلمون ولا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان
تقلعكم من اصولكم فتقلبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم
تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى
الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم بسوء
اعمالكم هذا ما روى عن عيسى عليه السلام في كتاب المحاسبي قال
وبلغنا ان الله سبحانه اوحى الى داود عليه السلام لا تستشر في
امرك عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك بسكره عن طريق محبتي

اولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين هذه وامثالها من الاخبار تدل على عظم خطر العلم فان العالم متعرض اما لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة واعظم من هذه الاخبار ما روى عن معاذ بن جبل رحمه الله موقوفا ومرفوعا ان النبى عليه السلام قال ان من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطاء وفى الصمت سلامة وعلم فمن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه او تهون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطاء والله يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك فى الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك بغير عجب او تمشى فى غير ارب وفى خبر آخر ان العبد لينتشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة والله اعلم واما الآثار المروية فى ذلك عن السلف فكثيرة منها

ما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اخوف ما اخاف على هذه
الامة المنافق العالم قالوا وكيف يكون منافقا عالما قال عالم اللسان
جاهل القلب وفي اخبار داود عليه السلام ان ادنى ما اصنع بالعالم
اذا اثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى يا داود لا تسئل
عنى عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى اولئك قطاع
طريق عبادى يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد
الى هاربا كتبته حميدا ومن كتبته حميدا لم اعذبه ابدا ولذلك قيل
عن الحسن انه قال عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب
الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال بعض العلماء انما يذهب بهاء العلم
والحكمة اذا طلبت الدنيا بهما وعن عمر رضى الله عنه انه قال اذا رايتم العالم
محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وعن مالك
ابن دينار انه قال قرات فى بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان ادنى
ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتى من قلبه
قال وكتب رجل الى اخ له انك اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة
الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم فى نور علمهم وقال الحسن
لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء وتجرى فى العلم مجرى السفهاء
وقيل لابراهيم بن عيينة اى الناس اطول ندامة فقال اما فى عاجل
الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط
وينشد * * *

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشترى دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه وهو من ذين اعجب

وقال بعض العلماء يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل
وعن النبى عليه السلام انه قال ان العالم يعذب عذابا

يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم
الفاجر وعن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق
اقتابه فيدور كما يدور الحمار فى الرحا فيطوف به اهل النار فيقولون
مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقال
بعض مشايخنا من اهل المشرق رحمهم الله فى قوله تعالى ثم
لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ما اظن
هؤلاء الا علماء قومنا وعنه عليه السلام انه قال اهلك امتى
رجلان عالم فاجر وعابد جاهل وقال بعض السلف انما جاء
فساد الدين والدنيا من قبل اربعة عالم فاجر وعابد جاهل وطالب
الدنيا بالدين وسلطان جائر وينشد *
وهل افسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها
وعن ابى الدرداء انه قال ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة واحدة
وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وعن الشعبى انه قال يطلع
قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ماذا ادخلكم
النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم فيقولون انا كنا
نامر بالخير ولا نفعله وينشد *
وعامل بالفجور يامر بالبر * كهاد يخوض فى الظلم
اوكطبيب قد شفه سقم * وهو يداوى من ذلك السقم
يا واعظ الناس غير متعظ * ثوبك طهر اولا فلا تلم
وعن الاوزاعى انه قال شكت النواويس ما تجد من نتن جيف
الكفار فاوحى الله تعالى اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه
وينشد * * *

يا معشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد
و يروى ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خرسان
كيسا فيها خمسة الآف درهم وعشرة اثواب من دقيق السبر
فقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك
نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي
هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق
له و روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس
ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك الذي يصلي عليه طير الهواء
وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبين يقدم على الله
تعالى يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل
اتاه الله عز وجل علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ به طمعا
واشترى به ثمنا يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي
عليه مناد على رءوس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما
في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا
فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روى
ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى
نجي الله حدثني موسى نجي الله حتى اثرا وكثر ماله ففقده موسى
صلوات الله عليه وعلى نبينا فجعل يسئل عنه ولا يحس له اثرا
حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود
وفي بعض الروايات جاءه بارنب في عنقها سلسلة فقال له موسى
عليه السلام اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى
يا رب اسئلك ان ترده الى حاله حتى اسئله فيما اصابه هذا فاوحى

الله عز وجل اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكني اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب علما مما يبتغي به وجه الله سبحانه ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد ريح عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله واشتروا به ثمنا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله لهم اجرهم عند ربهم الآية وقال بعض السلف العلماء يحشرون يوم القيامة في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس جلود الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤون لاتيحن عليهم فتنة تذر الحليم حيرانا وكان يحيى بن معاذ الرازي فيما بلغنا يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وابوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وينشد *

وراعي الشاة يحمي الذيب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقيل لبعض العارفين اترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف

الله

الله قال ما اشك ان من تكون الدنيا اثر عنده من الآخرة انه
لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال لو ان اهل العلم اخذوا العلم بحقه لاحبهم
الله تعالى من فوق عرشه ولاحبتهم ملائكته واهل صفوته من
اهل الارض ولكنهم اخذوه بغير حقه وطلبوا به الدنيا فمقتهم
الله تعالى من فوق عرشه ومقتهم اهل السماء واهل الارض وهانوا
عليهم وعن عمر بن عبد العزيز انه قال ان الذى بطأنا عن علم ما
جهلنا تركنا العمل بما علمنا ولو عملنا بما علمنا لورث الله تعالى
قلوبنا علما لا يقوم به امثالنا وعن عيسى عليه السلام انه
قال كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على
دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل
به وانشدوا * * *

يا جاعل العلم له بازيا * يصطاد اموال المساكين
فصرت مجنونا به بعد ما * كنت دواء للمجانين

وعن صالح بن حسان البصرى قال ادركت الشيوخ وهم يتعوذون
بالله من الفاجر العالم بالسنة وعن عيسى عليه السلام انه قال
من علم وعمل وعلم فذلك الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات ومن
علم ولم يعمل فذلك الذى يضاعف له العذاب ضعفين ومن لم
يعلم ولم يعمل فذلك الذى يموت موتة جاهلية قال بعض علماء
السلف وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن
علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين فى الدرك الاسفل من
النار لانهم تركوا بعد العلم وعصوا بعد المعرفة وجعل الله تعالى
اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا لان

قولهم عزير ابن الله على جهة الرحمة فى قول بعض العلماء وكذلك قولهم نحن ابناء الله كذلك ولم يقولوا ايضا ان الله ثالث ثلاثة فجعلهم اشر من النصارى لانهم انكروا بعد المعرفة قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى فى بلعم بن باعور واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى سواء اوتى الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات لانه اوتى كتاب الله فاخلد الى الشهوات وانشدوا لابن المبارك

ذر التزين فى دنياك بالدين ... واعمل ليوم تجازى بالموازين

ليس اللباس لباس الصوف من عمل ... ولا لاخذك شعرا كالمجانين

هذا اللباس مع الرهبان فى شعث ... فهل تراه نجاة للرهابين

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره ... فقد فتحت لك الحانوت بالدين

بين الاساطين حانوتا بلا غلق ... تبتاع بالدين اموال المساكين

فى سورة الكهف لو فكرت موعظة ... تنهاك عن خدع بين الاساطين

وفى الطواسين اخرى ان عملت بها ... نلت الرشاد بايات الطواسين

اما التى ذكرت فى الكهف ناهية ... عن الريا ثم اموال المساكين

وآية القصص الاخرى فزاجرة ... عن التكبر امثال الفراعين

وعن عيسى عليه السلام انه قال مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى شربت الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكمثل القبور ظاهرها عامرة وباطنها عظام الموتى ولا تظنن ان ترك المال فقط به تلحق علماء الآخرة بل طلب الجاه اشر من المال ولذلك قال بعض العلماء حدثنا باب من ابواب الدنيا ولذلك قيل

عن ابى سليمان الدارانى قال اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طريق الآخرة وعن الثورى انه قال فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد ولذلك قال بعضهم اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشتهه فحدث قال وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل نعيم فى الدنيا فمن اجاب شهوته فى ذلك فهو من ابناء الدنيا وهذا عندى اذا كان قصده بالتحدث جر الجاه ومنفعته والله اعلم فهذه الاخبار والآثار التى اوردناها تبين العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا عند الله واشد عذابا من الجاهل يوم القيامة ولهذا قال بعض السلف العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكرى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ما يختم له به والله نسئله التوفيق وحسن الخاتمة *

(الباب التاسع) فى العلامات المميزة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة * ونعنى بعلماء الدنيا العلماء السوء وهم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها وهم الذين وردت فيهم الاخبار والآثار المتقدمة ونعنى بعلماء الآخرة العلماء بالله سبحانه العاملين له فهم الفائزون المقربون يوم القيامة ولهم علامات منها ان لا يطلب بعلمه الدنيا فان اقل درجات العلم النافع ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها ويدرك عظم الآخرة ودوامها وبقاء نعيمها وجلالة ملكها وبعظم

ان الدنيا والآخرة متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت
احداهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت
من احدهما بعدت عن الاخرى وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت
احداهما خفت الاخرى وانهما كقدحين احدهما مملوء والآخر
فارغ فبقدر ما تصب فى احدهما كذلك تفرغ من الآخر فان من
لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم
انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل لان المشاهدة والتجربة
ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له وان من لا يعلم
عظم الآخرة ودوامها فهو مشرك مسلوب الايمان فكيف يكون
من العلماء من لا ايمان له وان من يعلم مضادة الدنيا والآخرة وان
الجمع بينهما محال وطمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم
بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن
علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان بعيد
من الرحمن قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد
من احزاب العلماء من هذه درجته وقد روى عن جابر موقوفا ومرفوعا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند عالم الا
عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى
الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن
العداوة الى النصيحة قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام فاعرض
عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
وقال تعالى اخبارا عن قارون فخرج على قومه فى زينته قال الذين
يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون الآية ثم قال
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا

الآية فعرف اهل العلم مقدار الآخرة وثواب الله فيها وخساسة الدنيا
وحقارتها فعرفوا بذلك الجهال والله اعلم ومنها الا يخالف فعله قوله
بل لا يامر بالشئ الا وهو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى فى قصة شعيب عليه السلام
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وعن ابى بكر الصديق رضى الله
عنه انه قال لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ولعن الله الناهين
عن المنكر الفاعلين له وفيما يروى عنه ان الله عز وجل اوحى الى عيسى
عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ غيرك والا
فاستحى منى وانشد *

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما * قد عبت منه امورا انت تاتيها
يا كاسى الناس اثوابا وعورته * للناس بادية ما ان يواريها

وعن الفضيل انه قال بلغنى ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم
القيامة قبل عبدة الاوثان وعن حاتم الاصم انه قال ليس فى
القيامة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل
هو به ففازوا بسببه وهلك وعن مالك بن دينار انه قال ان العالم اذا
لم يعمل بعلمه زالت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة على الصفا
وينشد

عود لسانك قلة اللفظ * واحفظ كلامك ايما حفظ
اياك ان تعظ الرجال وقد * اصبحت محتاجا الى الوعظ

وعن الشيخ ابى نصر من مشايخ الجبل رحمهم الله انه قال لن ينجوا
من علماء آخر الزمان الا مثل ما يسلم من ضوء المصابيح اذا رفعوا
من بيت الى بيت فى ليلة ذات ريح ثم قال هذا فى العلماء فكيف
الجهال فالجهال دود لا يفلت منهم احد وعن النبى عليه السلام

انه قال مررت ليلة اسرى بى بقوم كانت تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا
نفعله وينشد *
لا تنه عن خلق وتاتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدا بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهيت عنه فانت حكيم
فاذا جريت مع السفيه فلمته * وفى مثل ما تاتى فانت مليم
ويروى ان فى الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم
ويحكى عن ابراهيم بن ادهم انه قال مررت بحجر مكتوب عليه
اقلبنى تعتبر قال فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل
فكيف تطلب علم ما لا تعلم وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال
سياتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب ولا ينتفع بالعلم
يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ ذوات
الملح ينزل عليها قطر السماء فلا تجد لها عذوبة وذلك اذا مالت
قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها عن الآخرة فعند ذلك
يسلبهم الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفى مصابيح الهدى من قلوبهم
فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله سبحانه بلسانه والفجور
بين فى عمله فما اخصب الالسن يومئذ وما اجدب القلوب فوالله
الذى لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله تعالى
والمتعلمين تعلموا لغير الله وقال ابن السماك كم مذكر بالله ناس لله
وكم من مخوف بالله جرئ على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من
الله سبحانه وكم من داع الى الله عز وجل فار من الله تعالى وكم
من تال لكتاب الله عز وجل منفسخ من آيات الله جل جلاله وعن
عيسى عليه السلام انه قال مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به

كمثل امراة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك
من لايعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد
وعن معاذ رحمه الله انه قال احذروا زلة العالم لان قدره عند
الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال ثلاث بهن يهدم الزمان
احداهن زلة العالم وروى عن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه
قال حدثنى عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا كنا ندرس العلم فى مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تتعلموا فلن ياجركم الله حتى
تعملوا وعن الاوزاعى اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وعن
ابراهيم بن ادهم انه قال لقد اعربنا فى كلامنا فلا نلحن ولحنا
فى اعمالنا فلم نعرب اعلم ان مثل العالم مثل القاضى وقد قال صلى
الله عليه وسلم القضاة ثلاث قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك
فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او قضى وهو لا يعلم فهما
فى النار وعن كعب انه قال يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون
الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن
غشيان الولاة ويأتون يؤثرون الدنيا على الآخرة ياكلون بالسنتهم
يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء
على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك
الجبارون اعداء الرحمن وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم قيل يا رسول الله
فكيف ذلك قال يقول اطلبوا العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال
فى العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وعن ابن مسعود
رحمه الله انه قال ليس العلم بكثرة الروايات وانما العلم الخشية

وقال الحسن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وعن مالك بن دينار انه قال ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى ولا توثرون عليه شيئا وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال انزل القران ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتى قوم يتغنون مثل الغنا ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء والجائع الذى يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها وفى مثله يقول ولكم الويل مما تصفون والفصيل فى انقطاع الانسان من العلم الى العمل او انقطاعه عن العمل الى العلم اذا عمل بموجب العلم هو ما حكى عن الزهرى فيه وهو انه قال العلم افضل من العمل به لمن جهل والعمل افضل من العلم لمن علم فاما فضل ما بين العلم والعبادة اذا لم يخل بواجب ولم يقصر فى فرض فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم اثبت حتى تشفع للناس والله اعلم ومن علامات علماء الاخرة ان يكون العالم غير مائل الى الترفه فى المطعم والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن بل يلزم طريقة الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فى ذلك بالسلف الصالح ويميل الى الاكتفاء بالاقل فى جميع ذلك كما ذكر ابو الحر على بن الحصين رحمه الله فى رسالته الى الامام عبد الله ابن يحيى الكندى رحمه الله قال فيها فالله الله يا اخى ان تعمى بعد البصر وتضل بعد الهدى وبعد معرفة الاسلام وبعد اخلاص طاعة الله بالتقوى فان اولى الالباب والنهى لم يكونوا اهل لهو ولا لعب ولم يكونوا اهل نسيان ولا غفلة ولا اهل راحة ولا فترة ولا اهل تلذذ بالدنيا ومطايب عيشها ولم يكونوا اصحاب نعيم ولا فخر

ولا اهل ابل ولا بقر ولا اصحاب خيلاء ولا كبر ولا اهل رغبة
في مال ولا اهل ولا ولد الا ما اعطاهم الله تعالى فان كان كثيرا
انقصوه عن انفسهم واثروا به اهل الفاقة من خلقه تخوفا ان
يفسدهم ذلك عن الله فيشروا ويبطروا ويمرحوا ويشغلهم ذلك
عن الذي وكلوا به والذي هم به معنيون فكان الاقل من الدنيا
احب اليهم من الاكثر وكان الجوع احب اليهم من الشبع ما لم يجهدوا
وهم في الشبع على انفسهم اخوف وفي الجوع ارجا واذكر وكان الفقر
احب اليهم من الغنا وهم في الفقر اعبد لله واتقى وفي الغنا انسى
لله واعصى لضعفهم عن الشكر وحبسهم ما ليس لهم واستئثارهم
به عن اهله وكان البلاء احب اليهم من الرخا للذي يرجون
من الاجر في البلاء ويخافون من الاثم في الرخاء ولم يكونوا بطالين
العشيات والضحى ولكنهم كانوا يصبرون انفسهم مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وهي رسالة طويلة
ذكر فيها حال النبي عليه السلام واحوال الصحابة رضي الله عنهم
في التقلل في الدنيا ورغبتهم في الآخرة وهي مكتوبة في كتاب
رسائل الائمة وكذلك احوال مشايخ المسلمين من اهل المشرق
واهل المغرب ومشايخ الجبل رحمهم الله في اقتصادهم في المعيشة
وزهدهم في الدنيا تركت ذلك هاهنا لئلا يطول الكتاب اذ
ليس هذا موضعه ويكفي في ذلك قول الله تعالى اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية وقوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وقوله عز من قائل اخبارا عن الكفار ابناء الدنيا والذين
كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام الآية ويروى عن النبي
عليه السلام انه قال من اخذ من الدنيا اكثر ما يكفيه اخذ

حتفه وما يشعر وفي كتاب المحاسبي عنه عليه السلام انه
قال سياتي بعدي قوم ياكلون اطايب الاطعمة والوانها
وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها
ويركبون فرة الدواب والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع
وانفس من الكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون
اليها اتخذوها آلهة دون الههم وربا دون ربهم الى امرها
ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك
ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم
ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ومن
فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال الله تعالى مخاطبا
للمسلمين وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقال بعض السلف
المؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع والتحقيق في
هذا ان التزين بالمباح والتنعم بالحلال ليس بحرام ولا محظور
ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق عليه تركه واستدامة
التنعم لا تمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها
ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعات الخلق ومراياتهم وامور
اخرى يكثر تعدادها من تضييع المفروضات وارتكاب المحظورات
لاجل كسب الدنيا والتمتع بها والحزم اجتناب ذلك لان من
خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة
مع الخوض في الدنيا لاحد لما كان النبي عليه السلام يبالغ في ترك
الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم وقال انها شغلتني عن
صلاتي ونزع ايضا خاتم الذهب في اثناء الخطبة ورمى به ثم
قال اما هذا فلا البسه ابدا الى غير ذلك مما سياتي ان شاء الله

في موضعه وقال تعالى لنبيه عليه السلام يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الآية فامره بفراقهن اذا اردن
زينة الدنيا فكيف اذا خضن فيها فالوقوف على حدود المباح
مع السلامة من المداهنة والريا وسائر المحظورات عسير لا يقوى
على ذلك الا اهل اليقين من العلماء الاقويا الموفقين والتنعم
بالمباح خطره عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية الذين هما
من علامات علماء الآخرة هذا في الحلال المحض فما ظنك في امثالنا
المغرقين في شبه المكاسب المحظورات والمطامع المذمومات بل
السلامة من المباح في التقلل والنجاة من الدنيا في الزهد والتوكل
والله تعالى نسئله العصمة والتوفيق مع حسن الخاتمة
ومن علامات علماء الآخرة ان تكون عنايته العالم بتحصيل العلم
النافع في الآخرة المرغب في الطاعة والقرب من الله تعالى ويكون
متقللا او مجتنبا للعلوم التي يقل نفعها في طريق الآخرة ويكثر فيها
الجدال والقال والقيل وتصد عن ذكر الله تعالى وقد روى ان رجلا
جاء الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله علمني من غرايب العلم
فقال له وما صنعت في راس العلم حتى تسئل عن غرايبه قال له وما
راس العلم قال له هل عرفت الله سبحانه قال نعم قال له فما
صنعت في حقه قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم هل
عرفت الموت قال نعم قال صلى الله عليه وسلم فما عددت له قال
ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب ما حكم ما هنالك ثم
تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون تعلم العالم من جنس
ما روى عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق
منذ كم صحبتني فقال الحاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما

تعلمت مني في هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قل يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبه وهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل معي محبوبي قال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت الى قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقر على طاعة الله تعالى قال فما الثالثة قال اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل من معه شئ له عنده قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم اني نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكل ما وقع معي شئ له قيمة ومقدار وجهته اليه ليبقى لي عنده قال فما الرابعة قال اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شئ ثم نظرت الى قول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما قال فما الخامسة قال اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله سبحانه فتركت عداوة الخلق قال فما السادسة قال اني نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا

فعاديته وحده واجتهدت فى اخذ حذرى منه لان الله شهد
عليه انه عدوى وتركت عداوة الخلق قال فما السابعة قال انى
نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل
نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قول الله تعالى وما من
دابة فى الارض الا على الله رزقها فعلمت انى واحد من هذه الدواب
التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علىّ وتركت ما لى عنده
قال فما الثامنة قال انى نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا
على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة
بدنه فكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قول الله عز وجل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله وهو حسبى قال
شقيق يا حاتم وفقك الله فانى نظرت فى علم التوراة والانجيل والزبور
والفرقان العظيم وهو يدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها
فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم انما يهتم بادراكه
والتفطن له علماء الآخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر
به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التى بعث
بتعلم مسائل الفتاوى والجدال والخصومات واعرض عن تعلم
طريق الآخرة وافات الاعمال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد
صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل
بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك
مهمه الذى هو مؤاخذ به وذلك لعمر الله محض السفه والله سبحانه
نسئله العون والتوفيق والعصمة والتاييد انه قريب مجيب
ومن علامات علماء الآخرة ايضا ان يكون اكثر اهتمام العالم بتعلم
علم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه

بقوة المراقبة وشدة المجاهدة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله تعالى فى الخلوة مع حضور القلب بما فى الفكر والانقطاع الى الله تعالى عن ما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم متوفر فى العمل مع مراقبة القلب فتح الله عز وجل له من لطائف الحكم ما تحار فيه عقول ذوى الالباب ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم اورثه الله تعالى علم ما لم يعلم وفى بعض الكتب السالفة يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحر من يعبر ياتى به العلم مجعول فى قلوبكم تادبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم فيغمركم ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك يا وابصة وان افتوك وافتوك وافتوك وفيما يروى عن الله سبحانه انه قال لا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث وفى الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وفى حديث آخر من اخلص لله عز وجل اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه وهذا العلم انما يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة تصديقا لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية ومن علامات علماء الآخرة ايضا ان يكون العالم شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس المال فى الدين ولا بد

للعبد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اليقين الايمان كله وقال تعلموا اليقين روى عن الغزالي في كتابه قال معناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما تقوى يقينهم وقليل منه خير من الكثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له الفضل يدخل الجنة به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل او صيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عمل العبد حتى ينقص يقينه **فصل** وفي كتاب الغزالي قال اعلم ان جميع ما ورد به الانبياء عليهم السلام من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين قال فان اليقين عبارة عن معرفة مجموعة قال ومتعلقات المعلومات التي وردت بها الشرائع لا مطمع في احصائها قال ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان ترى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا تلتفت الى الوسائط بل ترى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق لهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازالت هيئة الغضب على الوسائط والرضا منهم والشكر لهم ويرى الوسائط

فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما التين واسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بامره حسب تسخير القلم بيد الكاتب وان القدرة الازلية هى المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق قال فهذا احد ابواب اليقين وسياتى له بيان مزيد فى غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى ومن علامات علماء الآخرة ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركاته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله عز وجل وكان صورته دليلا على عمله ولذلك روى ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام الى من تكلنا بعدك يا روح الله قال الى من تذكركم الله رؤيته ويزيد فى علمكم منطقه ويرغبكم فى الآخرة عمله فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع ولذلك قيل ما البس الله عز وجل عبدا لبسة احسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الانبياء وسيما الصديقين والصالحين والعلماء بالله فاما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والاشر والغفلة عن عظيم عقاب الله عز وجل وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله عز وجل دون العلماء لما روى عن بعض علماء السلف انه قال العلماء ثلاثة عالم بامر الله سبحانه لا بايام الله تعالى وهم

المفتون بالحلال والحرام قال فهذا العلم لا يورث الخشية وعالم
بالله تعالى لا بامر الله تعالى ولا بايام الله تعالى وهم عوام المؤمنين
وعالم بالله جل جلاله وبايام الله سبحانه وهم الصديقون
والخشية والخشوع انما تغلب عليهم واراد بايام الله تعالى انواع
عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة والظاهرة التي افاضها على
القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه
وظهر خشوعه ان شاء الله تعالى ويقال ما اتى الله عز وجل عبداً
علماً الا اتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً فذلك العلم النافع
وفي الخبر ان من اخيار امتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة
الله تعالى ويبكون سراً من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم
في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة
ويتقربون بالوسيلة وعن الحسن قال الحلم وزير العلم والرفق ابوه
والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم
وتقرب الى الله ببغضه فانه مقيت في السماء والارض وروى انه
قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال عليه السلام اجتناب المحارم
ولا يزال فمك رطباً من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال
صلى الله عليه وسلم صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك
قيل فاي الاصحاب اشر قال عليه السلام صاحب ان سكت لم
يذكرك وان ذكرت لم يعنك قال فاي الناس اعلم قال صلى الله عليه
وسلم اشدهم لله تعالى خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم
قال صلى الله عليه وسلم الذين اذا راوا ذكر الله عز وجل قالوا فاي
الناس اشر قال صلى الله عليه وسلم اللهم غفراً قالوا اخبرنا يا رسول
الله قال عليه السلام العلماء اذا فسدوا وفي ذكر جابر بن زيد رضي

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة بن زيد
عليك بطريق الجنة واياك ان تختلج دونه فقال اسامة يا رسول
الله ما اسرع ما يقطع به هذا الطريق فقال عليه السلام الظمأ
فى الهواجر وكسر النفس عن لذات الدنيا يا اسامة عليك بالصوم
وكثرة السجود فانهما يدركك ويباهى به الله الملائكة يا اسامة
اياك وكل ذى كبد جائعة ان يخاصمك يوم القيامة واياك ودعاء
عباد الله الذين اذابوا اللحوم واحرقوا الجلود وعشيت ابصارهم
فان بهم يصرف الله البلاء والزلازل والفتن ثم بكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واشتد نحيبه حتى ظنوا انه امر حدث من
السماء ثم قال يا ويح هذه الامة ما دايلقى منهم من اطاع الله عز
وجل بعدى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اكثر الناس امانا
يوم القيامة اكثرهم فكرا فى الدنيا واكثرهم ضحكا فى الاخرة اكثرهم
بكاء فى الدنيا واشد الناس فرحا فى الآخرة اطولهم حزنا فى الدنيا
وعن على بن ابى طالب انه قال فى بعض خطبه ذمتى رهينة وانا زعيم
لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان
اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله تعالى رجل
قمش اى جمع علما اغار فى اغباش الفتنة سماه اشباه الناس
واراذلهم عالما ولم يغن فى العلم يوما سالما ابكر فاستكثر ما قل
منه خير مما كثر حتى اذا ارتوا من اجن واكثر من غير طائل جلس
للناس مفتيا ليخلص مما التبس على غيره وان نزلت به احدى
المبهمات هيا حشوا الراى من رايه فهو من قطع الشبهات فى
مثل غزل العنكبوت لا يدرى اخطأ ام اصاب ركاب جهالات
خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم

بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا مليّ والله يا صدار ملعوردو لاهو اهل لما فرط به اولئك حلت عليهم النحسات والبكا ايام حياة الدنيا وروى فى الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفا من الحكمة حتى وصف بالحكمة فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردنى بشئ من ذلك لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط اهل العامة ومشى فى الاسواق واكل مع بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله عزوجل الى ذلك النبى قل له الآن وافقت رضاءى وعن على ابن ابى طالب انه قال اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج العلم مجة ويقال اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة الاخلاق التى ورد القرآن بها لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للدراسة ولذلك قيل خمس من الاخلاق وهى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات وهى الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية واما الزهد فمن قوله تعالى وقال

الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا الآية وعن ابن عمر قال لقد عشنا برهة من الدهر فان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزجرها وما ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى خاتمته لايدرى ما امره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفى خبر آخر بمثل معناه قال كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسياتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفى لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة والله اعلم ومن علامات علماء الآخرة ان يكون العالم منقبضا على السلاطين واهل المنكر من الاغنياء المترفين قال الله سبحانه ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فلا ينبغى للعالم ان يركن اليهم ولا يدخل عليهم ما دام يجد سبيلا الى الفرار منهم بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان اقتربوا منه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدى السلاطين والمخالط لهم لا يخلوا عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة يجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدرى نعمة الله تعالى عليه او يسكت على الانكار عليهم فيكون مداهنا شريكا لهم فى ظلمهم او يتكلف فى كلامه ما لا ينبغى طلبا لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع فى ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت المحظور وعلى الجملة

فمخا

فهذا طائم مفتاح الشر وعلماء الآخرة طريقتهم الاحتياط في جميع الامور وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله عز وجل ومن طريق آخر فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم قال الغزالي في كتابه وذلك ان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وعنه عليه السلام انه قال سيكون بعدي امراء يظلمون ويكذبون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض وقال بعض علماء السلف في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وعن حذيفة رحمه الله انه قال اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق انس انه قال العلماء امناء الرسل على عباد الله عز وجل ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم ويروى انه قيل للاعمش لقد احييت العلم بكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يصلح منهم الا القليل وعن سعيد بن المسيب انه قال اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وفي رسالة ابي سفيان محبوب رحمه الله قال وقد بما اتخذت الجبابرة عباد الله خولا ودينه دغلا وماله دولا واستحل الخمر بالنبيذ والبخس بالزكاة والسحت

بالهدية يأخذونها من غضب الله وينفقونها في معاصي الله
ووجد واعلى ذلك من خونة العلم اعوانا فبهؤلا الاعوان خطب
اهل الجور على المنابر وبهؤلاء الاعوان قامت راية الفسق في
العساكر وبهؤلاء الاعوان اختفى العالم فلا ينطق ولا يفطن
لذلك الجاهل فيسئل وبهؤلاء الاعوان مشى المؤمن في طرقات
الارض بالتقية والكتمان فهو كاليتيم المنفرد يستند به من
لا يتقي الله وعن عبادة بن الصامت انه قال حب القارئ
الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وعن ابي ذر رحمه
الله انه قال من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة
وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال ان الرجل ليدخل على السلطان
ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم قيل لانه يرضيه
بسخط الله تعالى وعن الاوزاعي انه قال ما من شئ ابغض الى
الله عز وجل من عالم يزور عاملا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين
يأتون العلماء وعن مكحول الدمشقي انه قال من تعلم القرآن وتفقه
في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض
في جهنم بعدد خطاه وقال بعض علماء السلف ما اسمج بالعالم
ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد ويسئل عنه فيقال انه عند الامير
قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه
على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت
نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به
من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني انجوا
من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة

ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وعن الحسن انه قال كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله عليه السلام قال عبد الله بن المبارك يعني سعد بن ابي وقاص قال وكان يغشى السلاطين ثم بعد عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لشاركتهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الدخول على السلطان لا يسلم صاحبه من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وعن ابي ذر رحمه الله انه قال لسلمة يا سلمة لا تغشى ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعار الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والمدح والدعاء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا ويروى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن اما بعد

فاشر على بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل
الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف
فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز
وكان ازهد اهل زمانه ولم ينقم عليه اصحابنا الا في توقفه في عثمان
ومن كان مثله من اهل بيته ودخوله الامارة بغير مشورة من
المسلمين فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف ترجي السلامة
في مخالطة غيره ولم يزل علماء السلف مثل الحسن وجابر بن زيد
وغيرهم من علماء الفرق والمذاهب يتكلمون في العلماء من اهل
الدنيا لميلهم الى الدنيا ومخالطتهم السلطان وبالله التوفيق
ومن علامات علماء الآخرة ان لا يكون العالم مسارعا الى الفتوى
بل يكون متوقفا محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل
عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله تعالى او بنص حديث رسوله عليه
السلام او باجماع الامة او بقياس جلي افتى وان سئل عما يشك
فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد او تخمين راى احتاط
ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم
لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم ولذلك قال جابر بن زيد رحمه الله
لقد ادركت جماعة من اصحاب رسول الله عليه السلام اذا سئل احدهم عن حادثة
او نازلة ود لو ان اخاه كفاه فتياها فاصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخافون من ان يسئلوا فيجيبوا بما عندهم وانتم تنتصبون
للناس وتسئلونهم ان يستفتوكم ما اظنكم تحبون السلامة
لاديانكم ولا تخافون العقوبة من ربكم فاتقوا الله واحذروا الفتيا
فاذا استلتم فاياكم ان تقدموا على ما ليس لكم به علم وفي الحديث
العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقد حكى عن

بعض المتقدمين انه قال لقد حويت العلم كله فقيل له من اين قلت ذلك قال لعلمي بالفرائض وقد قال النبي عليه السلام الفرائض نصف العلم ولان اقول فيما لا اعلم الله اعلم وعن الشعبي انه قال لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله سبحانه فليس باقل اجرا ممن ينطق لان الاعتراف بالجهل شديد على النفس وهكذا كانت عادة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم ويروى ان ابن عمر كان اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذى تقلد بامور الناس ووضعها فى عنقه وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال ان الذى يفتى للناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العلم لا ادرى فان اخطأها اصيبت مقاتله وعن ابراهيم بن ادهم انه قال ليس شئ اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد على من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اى ما يتكلمون حتى يسئلوا فاذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا قال وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ويروى ان على بن ابى طالب مر بقاص يقص على الناس فقال له اتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال اتعرف المحكم من المتشابه قال لا فاخذ على بيده وقال ان هذا يقول اعرفونى اعرفونى ثم مر بقاص آخر فقال اما انا اسئلك عن مسئلتين فان اجبت والا وجعتك ضربا قال سل يا امير المؤمنين قال ما ثبات الايمان وزواله قال ثبات الايمان الورع وزواله الطمع قال قص فمثلك من يقص وقال بعض السلف انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكانما تقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول يريدون ان يجعلونا جسرا يعبرون

علينا فى جهنم وقال بعض السلف العالم هو الذى يخاف عند السؤال
ان يقال له يوم القيامة من اين اجبت وكان بعضهم اذا سئل
عن مسئلة يبكى ويقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الىّ وكان
ابو العالية الرياحى وابراهيم والثورى وابن ادهم يتكلمون مع
اثنين وثلاث والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا فكيف يانف
العالم ان يقول فيما لا يعلم لا ادرى فهذه ملائكة الله سبحانه قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وفى كتاب الغزالى وقد قال النبى
عليه السلام ما ادرى اعزير نبى ام لا وما ادرى اتبع ملعون ام لا
وما ادرى ذو القرنين نبى ام لا وكان ابن عمر يسئل عن عشر مسائل
فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس رضى الله
تعالى عنه يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة ويشهد لحسن
الاحتراز من تقلد الفتوى ما روى مسندا انه لا يفتى للناس
الا ثلاث اميرا ومامورا ومتكلف وقال بعضهم كان الصحابة
يتدافعون اربعة اشياء الامانة والوديعة والوصية والفتوى
وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا
اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين فى خمسة قراءة القرآن
وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن
آدم عليه لا له الا ثلاثة امرا بمعروف ونهيا عن المنكر وذكر
الله تعالى وقد قال الله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الآية قال
ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الرأى من الكوفة فى المنام فقال
له ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى والرأى فكره وجهه واعرض
فقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته والله اعلم قال وكتب

سليمان رضي الله عنه الى ابى الدرداء وكان قد اخا بينهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اخى بلغنا انك قد اقعدت طبيبا
تداوى المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء
فان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف
بعد ذلك اذا سئل وحكى انه روى صحابى فى حضور الحسن عشرين
حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندى الا ما رويت فاخذ
الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن
تفسيره فاخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم به وقال تسئلونى
عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم والله اعلم ومن علامات علماء الآخرة
ان يكون العالم اكثر بحثه عن علم الاعمال وعن ما يفسدها ويشوش
القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقى من
الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف
الخير من الشر يقع فيه * ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها
المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشان فى معرفة
ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يطول تشعبه ويكثر تفريعه وكل
ذلك مما يكثر مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق
الآخرة على ما سياتى شرح بعض ذلك ان شاء الله تعالى فى قناطر
الكتاب وذلك عادة السلف الصالح من الصحابة والتابعين
ولقد كان الحسن البصرى فيما بلغنا اشبه الناس كلاما بكلام
الانبياء واقربهم هديا من الصحابة اتفقت العلماء فى حقه على
ذلك وكان اكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس والخواطر والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس
وقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك

فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسئلونه عن الخير وكنت اسئله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسئلونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسئل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان جبريل عليه السلام امره بذلك فخصه عليه السلام بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم ممن يسئلونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسئل عن المنافقين فيما بلغنا فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمائهم وروى ان عمر رضي الله عنه صلى على جنازة فلما رجع قال يا حذيفة يموت رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحضر جنازته قال يا امير المؤمنين اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر لي سرا فقال عمر يا حذيفة انشدك الله امنهم كان قال اللهم نعم قال انشدك الله امنهم انا فقال حذيفة لا والله يا امير المؤمنين ولا اومن بهذا احد غيرك يعني انه يقول ليس من المنافقين فقيل لجابر بن زيد تخاف النفاق قال وكيف لا اخافه وقد خافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه فيما بلغنا اذا دعي الى جنازة نظر فاذا نظر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعلانية باحوال القلب ومقاماته هو داب علماء الآخرة

لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وهذا مما يعتنى بالبحث عنه علماء الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون ما تيسر لهم فى طلب المعاش وكسب الحطام من مسائل الخصومات والاقضية والاحكام ويتبعون فى مسائل ينقضى الدهر ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم وربما يجدون من يكفيهم ذلك ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل واطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم واعمالهم فما ابعد من السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر وقوعه ايثارا للقبول والتقرب الى الخلق على التقرب من الله وحرصا ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا عالما وجزاؤه من الله تعالى ان لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق صافيا من الحوادث بل يتكدر صفوه بنوائب الزمان ثم يرد يوم القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد صدق من قال

*

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق افراد

لا يعرفون ولا يدرى مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد

والناس فى غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق حياد

وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة وذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء فيصبر على مرارته رجاء للشفاء وينزل منزلة من جعل العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت

فتى تكثر الرغبة فى مثل هذا الطريق وهذا كما قيل قديما توعرت
السبل فقل السالكون وسهلت فكثر الهالكون وبالله التوفيق
ومن علامات علماء الآخرة ان يكون اعتماد العالم فى علومه على بصيرته
وادراك صفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما سمعه
من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما
صح عنه انه امر به او قاله وانما يقبل قول الصحابة من حيث ان
فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا صح
عند العالم اقوال الرسول عليه السلام وافعاله وتلقاها عن
الصحابة او غيرهم بالقبول فينبغى ان يكون حريصا على فهم اسراره
فان الصحابى ايضا انما يفعل الفعل لان الرسول عليه السلام فعله
ولم يفعله الا لسر فيه فينبغى ان يكون شديد البحث عن اسرار
الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ذلك دون التفكر فيه فانه
يكون وعاء للعلم لا عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم
وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع عن الحكم
والاسرار فمن كشف عن قلبه الغطا واستنار بنور الهداية صار
فى نفسه متبوعا فلا ينبغى ان يتبع غيره ولذلك قال ابو بكر الصديق
رضى الله عنه ما من عالم الا وفى علمه ماخوذ ومتروك ما خلا صاحب
هذا القبر فالتفت عن يمينه فاشار الى قبر النبى عليه السلام وحكى
مثل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه وقد كان فيما بلغنا تعلم
من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابى بن كعب ثم خالفهما فى
الفقه والقراءة وقال بعض علماء السلف ما جاءنا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضى
الله عنهم فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال

ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا تدرك بالقرائن فيسدد لهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة اذا فاض عليهم صلى الله عليه وسلم من نور النبوة ما يحرسهم فى الاكثر عن الخطاء واذا كان الاعتماد على المسموع عن الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد وابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيئا منها فى زمان الصحابة وصدر زمان التابعين رضى الله عنهم وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين هكذا ذكر الغزالى فى كتابه ثم قال بل الاولون يكرهون كتابة الحديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتفكر وقال احفظوا كما كنا نحفظ قال ولقد كره ابوبكر الصديق رضى الله عنه وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصنيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقال نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكتابة القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه فى كلمة او فى قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابى بكر رضى الله عنه لذلك وجمع القرآن فى مصحف واحد وانى اظن ان القرآن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبة فى الاكتاف والصحف حتى [illegible]

ذلك في مصحف واحد لانه كان له عليه السلام كتاب يكتبون
الوحي حتى حفظه على عهده وجمعه ستة رجال من الانصار
زيد وابو زيد وابو ايوب وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعثمان
ابن مظعون دون غيرهم وما مات عليه السلام الا والقرآن
مجموع متلو والله اعلم وفي كتاب الغزالي قال وكان احمد بن حنبل
ينكر على مالك تصنيف الموطاء ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة
قال وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في
الآثار وحروف في التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن
عباس ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا
منثورة ثم كتاب الموطاء بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع
سفيان الثوري قال ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام
وكثر الخوض والجدال في ابطال المقالات وظهر علم الخلاف قال وسبب
ذلك ان الخلافة تولاها بعد النبي عليه السلام الخلفاء الراشدون
وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في احكامه ومشتغلين
بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يشتغلون بالفقهاء الا نادرا
وفي وقايع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم
الآخرة وتجردوا لها وكانوا ايتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام
الخلق من الدنيا واقبلوا على الله سبحانه بكنه اجتهادهم كما نقل
من سيرتهم قال فلما افضت الخلافة بعدهم الى قوم تولوا بغير
استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى
الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم
في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر
على الطريق الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء

البسلف

السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى
الالحاح في طلبهم لتولية القضا والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار
عز العلماء واقبال الولاة والائمة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا
لطلب العلم توصلا الى نيل القدر ودرك الجاه من قبل الولاة واكبوا
على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا
الولايات والصلاة منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل
عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين
طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال
عليهم الامن وفقه الله عز وجل في كل عصر من علماء دينه وقد
كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية
لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الامراء
من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع
الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس
على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات
واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضهم الذب
عن دين الله تعالى والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من
قبلهم ان غرضهم الاستقلال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين
اشفاقا على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الامراء
من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان
قد تولد في فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة
المفضية الى اهراق الدماء ولخراب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة
في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص
فترك الناس الكلام وفنون العلم واندفعوا على المسائل الخلافية بين

الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك
وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق
الشرع وتفريع علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى فاكثروا
فيه التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات
والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن قال وليس ندري ما الذي
قدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الانكباب
على الخلافيات والمناظرات لا غير قال ثم مال الناس الى ما ذكرنا من
الكلام والمجادلات والى القصص والوعظ فاخذ علم المتقين في
الاندراس من ذلك الزمان الاول فصار بعد ذلك يستغرب علم
القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن
ذلك الا الا قليل فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص والمزخرف
كلامه بالعبارات المسجعة عالما قال وهذا لان العوام هم المستمعون
اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة
وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون به مباينة هؤلاء لهم
فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلفا عن سلف واصبح
علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص
منهم قال هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف بزمانك هذا
وقد انتهى الامر الى ان صار مظهر الانكار يستهدف بالنسبة الى
الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت اذا وسعه ذلك
ومن علامات علماء الآخرة ان يكون العالم شديد التوقي في محدثات
الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يضره اطباق الخلق على ما احدث
بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم
واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف

والمناظرة والقضا والولايات وتولى الاوقاف والوصايا ومال
الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة اوكان اكثرهم
فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتنا
دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد
الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن ونعلم تحقيقا ان اعلم اهل
الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف
فمنهم اخذ الدين ولذلك قال على خيارنا اتبعنا بهذا الدين وذلك
لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان تكثرت لمخالفة اهل
العصر فى موافقة اهل عصر رسول الله عليه السلام فان الناس
راوا رأيا فيما هم فيه لميل طبايعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف
فان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة
سواه ولذلك قال الحسن هما محدثان احدثا فى الاسلام رجل ذو راى
سوء زعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب
ولها يرضي واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا اصبح فى
هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى
هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسئل عن
فعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك يكونوا وروى
عن ابن مسعود رحمه الله موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنان
الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله عز وجل واحسن الهدى
هدى محمد عليه السلام الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور
محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن
عليكم الامد فتقسوا قلوبكم ما هو آت قريب الا وان البعيد ما ليس
بآت وفى رسالة ابى سفيان محبوب رحمه الله ذكر صفات اولياء

الله ثم قال اولئك الذين لا تغتريهم سآمة ولا تختزمهم رغبة ولا ينظرون الى الدنيا بعين بغية ولا يعتقدون لها على مودة ولا يحرجون فيها على زينة بل ضربوا فى السهم الاوفر ولزموا الطريق الاقصد وسلكوا الطريق الارشد وهم ائمة التقى ونجوم الهدى واعلام الدين ومنار الاسلام كلامهم حكمة وسكوتهم حجة ومباينتهم حسرة ومخالطتهم غنيمة والاستئناس بهم حياة والاقتداء بهم نجاة فعليك ايها الزائغ عن طريقهم الراغب عن سبيلهم بالاتباع فانه ليس الاتباع كالابتداع فعليك بطريق من كان بالله اعلم وبحلاله وحرامه منك ابصر ولهذا قال ابو سفيان قال وائل رحمهما الله لقد ادركت بحضرموت رجالا ان كان الرجل منهم لو ولى على الدنيا كلها لاحتمل ذلك فى عقله وعلمه وحلمه وورعه وقد قال النبى عليه السلام فى بعض خطبه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق مالا اكتسبه من غير معاصيه وخالط اهل الفقه والحكمة وجالس اهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة وعن ابن مسعود رحمه الله انه كان يقول حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل ثم قال انكم فى زمان خيركم فيه المسارع الى الامور وسياتى بعدكم زمان يكون خيركم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات فمن لم يتثبت فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا لهلك فيما هلكوا الا من اعطاه الله تعالى عقلا كاملا يردعه عن هجوم الشهوات وعلما نافعا عزيزا يهديه عند ورود الشبهات فبالاحرى ان ينجو من

اصناف المهلكات وقد قال حذيفة بن اليمان رحمه الله اعجب من هذا
ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان
آت وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف
هذا فى زمان حذيفة فما ظنك بزماننا هذا وقال الغزالى فى كتابه
اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة قال اذ من غرر
المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتجصيدها وانفاق الاموال
العظيمة فى دقايق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها قال وقد
كان يعد فروش البوارى فى المسجد بدعة وقيل انه من محدثات
الحجاج اللعين فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب
حاجزا قال وكان الاشتغال بدقايق الجدال والمناظرات التى هى
من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من
المنكرات قال ومن ذلك التلحين فى الاذان والقرآن قال ومن ذلك
التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الاسباب
البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها
الى نظائر ذلك قال وقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم فى
زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا
للهوى قال وكان هشام بن عروة يقول لا تسئلوهم اليوم عما احدثوا
فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها
قال وكان ابو سليمان الدارانى لا ينبغى لمن يقول الهم شيئا من الخير
ان يعمله حتى يسمع به فى الاثر فيحمد الله تعالى ان وافق ما فى قلبه
قال وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق
بالقلوب فربما شوش صفاء القلوب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط
فيه بالاستظهار بشهادة الاثار قال ولهذا لما احدث مروان المنبر

في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري فقال
يا مروان ما هذه البدعة قال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم
ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد
والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم
قال وانما انكر ذلك لان رسول الله عليه السلام كان يتوكأ في
خطبة العيد والاستسقا على قوس او عصى لا على المنبر وفي
الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد عليه وفي
خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس
عليها وعنه عليه السلام انه قال ان لله ملكا ينادي كل يوم
من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته
ويحكى ان ابليس اللعين بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله
عنهم فرجعوا اليه خاسرين فقال ما شانكم قالوا ما راينا مثل هؤلاء
ما نصيب منهم شيئا قال اتعبونا فيقول لهم لا تقدرون عليهم
قد صحبوا نبيهم وشاهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم
قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا
اليه منتكسين فقالوا ما راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء
بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار
فتبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء لصحة
توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعدهم قوم تقر
اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف
شئتم لا يستغفرون فيغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سيئاتهم حسنات
قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهوا وزين لهم البدع

فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم اين شاؤا ذكر هذا الحديث الغزالي في كتابه وحكى مثل هذا عن ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة رضي الله عنه انه قال لما نزل قول الله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الى قوله رحيما قالت الشياطين لابليس ذهب عملنا في ابن آدم باطلا فقال سأحدث لهم ذنوبا لا يمكن لهم التوبة والاستغفار منها فاحدث لهم هذه الفرق والاهوا والله اعلم وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف ويقال الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله سبحانه لتخذوا دينهم لهوا ولعبا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللهو واللعب وقد قال النبي عليه السلام عليكم بالنمط الوسطى اليه يرجع العالي ويرتفع اليه الداني وفي كتاب الغزالي قال مثل الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثل من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر واما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة قال فكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم فيما يقول لان كل انسان يخوض فيما يحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

الآية فالعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي معترف بتقصيره ويستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وانما الذي هو مشتغل به من العلوم انما هي وسائله الى الدنيا لا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت فاذا غلب هذا على المنسوبين الى العلم الا من عصمه الله وذلك اعز من الكبريت الاحمر ولهذا المعنى كتب بعض العلماء الى بعض السلف فقال ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله معه الا كان آثما معه وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالط الناس لا ينفك عن غيبة او سماع غيبة او عن سكوت عن منكر ولحسن احواله ان يفيد علما ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له على ذلك ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف لقاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو وذلك لا يرخص في البيع ممن يريد الاستعانة به على قطع الطريق ولذلك لا يجوز عند العلماء حمل السلاح الى ارض العدو والله اعلم فاذا قد وقع الياس وانقطع الطمع من اصلاح الناس الا من شاء الله تعالى فهذه اثنا عشر علامة من علامات علماء الآخرة تحتوي كل واحدة على جمل من اخلاق المتقين جمعتها من كتب علماء السلف واكثرها من كتاب الغزالي لانها موافقة للقرآن ولما مضى عليه السلف الصالح من مشايخ المسلمين رحمهم الله فكن يا اخي ارشدك الله احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات فتكون على سبيل المشايخ ذوي الكرامات او معترفا بالتقصير مع الاقرار بهذا العلم مقتبسا منه على قدر العون والتيسير واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تسمي علم المعاش باسم علم الآخرة وطريق الدين وتسمي سيرة البطالين الناس

بسيرة العلماء الراشدين فتلحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين
نعوذ بالله من خدع الشيطان الغرور وفيها هلاك الجمهور فالاسلم في هذا
الزمان لدين الانسان العزلة والانفراد ان وجد الى ذلك سبيلا والله
المستعان *(الباب العاشر)* في بيان
العلم المذموم واسماء العلم المحمود من كتاب الغزالي اعلم ان هذا الباب
يشتمل على جملتين احداهما فيما تعده العوام من العلوم المحمودة
وليست كذلك وفيها بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموما
والثانية في اسماء العلوم الشرعية وبيان القدر المحمود منها من
المذموم الجملة الاولى في العلم المذموم وفي كتاب الغزالي قال اعلم ان
العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة احدها
ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر
والطلسمات اما السحر فقد نطق به القرآن قال ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وقد روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم سحر بعض اليهود فمرض بسبب ذلك وروي عن الكلبي
ان الذي سحره لبيد بن اعصم اليهودي وقيل بناته فمرض عليه السلام
حتى انتثر شعره فلبث اشهرا وما شاء الله فبينما هو نائم اذ اتاه ملكان
فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه فقال احدهما لصاحبه
ما بال الرجل فقال طب اي سحر قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم
اليهودي قال وبم قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف
طلعة تحت راعوفة اي صخرة ببئر ذي اروان وهي نبي زريق قال فانتبه
النبي عليه السلام فبعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رحمه الله فنزحوا
ماء البئر كانه نقاعة الحناء ثم رفع الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه
مشاطة راسه واسنان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه

احدى عشر عقدة مغروزة بالابرة فانزل الله عزوجل سورتى التعويذ فكلما قرا جبريل عليه السلام آية انحلت عقدة حتى قام صلى الله عليه وسلم عند انحلال العقدة الآخرة كانما انشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يرقيه يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك من كل حاسد وعين فلاجل ذلك جوزوا الاسترقاء بما كان من كلام الله عزوجل وكلام رسوله عليه السلام واما ما كان من العبرانية والسريانية والهندية او ما كان من غير لغة العرب فلا يحل عند العلماء اعتقاده واختلفوا فى معنى السحر وكيفيته فقال قوم معناه العلم والحذق بالشئ ولطافة الفعل فيما خفى فهمه قال الله تعالى يايها الساحر اى العالم وقال آخرون السحر هو تخييل واحزان لا اصل له ولا حقيقة كالسراب غر من رآه واخلف من رجاه كما قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى حكى هذا عن المعتزلة وحكى عن الشافعى ان السحر هو تمريض بما يتصل بر كالذى يخرج من فم المتثاوب يؤثر فى المقابل له وقيل هو تعظيم الجن ليسهلوا ما عسر عليه وقيل طلسم ينبئ عن تاثير خصايص الكواكب كتاثير الشمس فى زيبق عصى سحرة فرعون وفى كتاب الغزالى قال السحر حق اذ شهد القرآن به وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين قال وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص فى المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى بر العادة احوال

غريبة

غريبة في الشيء المسحور وفي كتاب الماوردي قال قوم يقدر الساحر
ان يقلب الاعيان بسحره فيحول الانسان حمارا وينشئ اعيانا
واجساما وحكى فيه عن الشافعي كما قدمنا ان الساحر قد يوسوس
بسحره ويمرض وربما قتل قال لان المرض بدء الوسوسة والوسوسة
به والمرض بدء التلف وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
رضي الله عنها قالت سحر النبي عليه السلام حتى يخيل انه كانه يفعل الشئ
وما فعله واما قول من قال يقلب الساحر اعيانا وينشئ اجساما
فهو خطأ محض لانه لو كان في وسع الساحر انشاء الاجسام وقلب
الاعيان عما هي به من الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فصل ولا
فرق كيف وقد قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
وقول من قال ان السحر خدع ومعان يفعله الساحر فيخيل الى الانسان
انه بخلاف ما هو به كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل اليه
انه ماء وكراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا حتى يخيل
اليه ان ما عاين من الاشجار والجبال سايرة معه هذا القول
ممكن سائغ وكذلك قول الشافعي والله اعلم واختلفوا في
تعلم السحر فقال قوم لا يكون تعلمه كفرا وانما العمل به كفر كما ان
من تعلم الزنا لا ياثم وانما ياثم العامل به وقال آخرون وهو
الاصح ان شاء الله ان تعلم السحر كفر وكذلك تعليمه لان الله تعالى
قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولم يقل ما يضرهم ان عملوا
به والله اعلم فلما كان السحر لا يصح الا للاضرار بالخلق كانت
تعلمه والعمل به جميعا معصية ويقتل الساحر اذا قتل به احدا
والله اعلم واما الطلسمات وخواص الاحجار مثل حجر المغنطيس
في جبذه للحديد وحجر الماس في كسره الاجسام الصلبة بخصوصية

فيه وحجر العقيق والحجر الباغض للدم وحجر البرادى وغير ذلك من خواص الاحجار والنبات وخواص الاشياء فالله اعلم ما سبب ذلك فهو تعالى قد استاثر بعلم الاشياء واظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح واستاثر بعلم سائرها فلا تقف العقول على كنهها وفى كتاب المسعودى قال ويمكن والله اعلم بهذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة فى العالم للحركات والفاعلة فى الحيوان وغيره قال يمكن ان يكون الله تعالى جعلها معجزة لبعض الانبياء السالفة ثم رفع ذلك النبى وبقيت علومه قال ولقد رايت بمصر حية مصورة من حديد توضع على شئ ويدنى منها حجر المغنطيس فتحدث فيها حركة وسعى اليه وتعلق به قال واذا اصاب المغنطيس رائحة الثوم بطل فعله بالحديد وان غسل بشئ من الخل او ناله شئ من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وقال فى كتابه لا تنازع عند ذوى الفهم ان فى مواضع من الارض مدنا وقرى لا تدخلها عقرب ولا حية مثل حمص والمعرة وانطاكية قال وقد كان ببلاد انطاكيه اذا اخرج الرجل يده خارج السور وقع عليها البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق عليها منها شئ الى ان انكسر عمود من رخام فى بعض المواضع فاصيب فى اعلاه حق من النحاس فى داخله بق مصور من نحاس كنحو كف فما مضت ايام او على القرب من ذلك حتى صار البق يعم الاكثر من دورهم والله اعلم ووجدت فى كتاب المقالات المنسوبة الى احمد بن الحسن قال ان بعض المتكلمين قال فى الطلسمات ونحوها ان ذلك من حيل الاوائل قال وذلك ان اعمارهم طالت حتى عرفوا من الارض

المواضع التى تكون فيها الحيات وغيرها من الهوام والحشرات من المواضع التى لا تكون فيها هذه الاشياء فعملوا الطلسمات فى المواضع الخالية من الهوام توهما ان الطلسمات هى المانعة للهوام من الكون فيها والله اعلم بحقيقة هذا كله وانما كتبنا هذا ليقف القارى على ما قال الناس فى هذه الاشياء السبب الثانى الذى يكون به العلم مذموما هو ان يكون مضرا بصاحبه فى غالب الامر وذلك كعلم النجوم فانه فى نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابى وقد نطق القرآن بان مسير القمرين محسوب فقال تعالى والشمس والقمر حسبانا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل الآية وقال هو الذى جعل الشمس ضياء الى قوله لتعلموا عدد السنين والحساب الآية القسم الثانى الحكم بها وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب قال الغزالى فى كتابه وذلك يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة بمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكنه ذمه الشرع وقد قال النبى عليه السلام اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا وعنه عليه السلام انه قال اخاف على امتى بعدى ثلاثا جور الائمة وايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر وعن بعض السلف قال من قال فى النجوم غير هذه الثلاث فهو آثم كاذب مفتر قال الله تعالى هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال وجعلناها رجوما للشياطين وقال انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا الآية وعن عمر رضى الله عنه انه قال تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم امسكوا الحديث قال الغزالى وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه يضر باكثر الخلق فانه اذا

الفى اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم ان الكواكب هى المؤثرة وانها الآلهة لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقوعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا ومرجوا من جهتها ويمحى ذكر الله تعالى عن القلب ولذلك قال النبى عليه السلام مخبرا عن ربه عز وجل يقول اصبح من عبادى مؤمن وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكوكب قال الغزالى وذلك ان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه قال ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثل النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس فهى تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها الى مشاهدة الاصبع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى الخالق اليد والقدرة والارادة سبحانه فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة منقطع عن الترقى الى مسبب الاسباب هذا احد اسباب النهى عن النجوم السبب الثانى ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق احاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا والحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وامحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور وانما هو اتفاقى لكنه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع عليها وان اتفق

ان قدر الله الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر ذلك اخطأ ويكون
ذلك كتخمين الانسان فى ان السماء تمطر اليوم مهما رأوا الغيم يجتمع
وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس
فيتبدد الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا فى المطر
وبقية الاسباب لا تدرك قال وكذلك تخمين الملاح ان السفينة
تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة فى الرياح ولتلك الرياح اسباب
خفية ولا يطلع عليها فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطى وبهذه
العلة يمنع القوى ايضا عن النجوم السبب الثالث انه لا فائدة فيها
فاقل احواله انه خوض فى فضول لا تغنى وتضييع العمر الذى انفس
بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران وقد روى ان النبى
عليه السلام مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا
رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال عليه السلام
علم لا ينفع وجهل لا يضر ثم قال انما العلم آية محكمة اوسنة قائمة
اوفريضة عادلة والخوض فى النجوم وما يشبهها اقتحام خطر وخوض
جهالة من غير فائدة فانما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف
علم الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف
تعبير الرؤيا وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة ولا خطر فيه الثالث من الاسباب التى يذم العلم بها الخوض
فى علم لا يستقل الخائض فيه بها فانه مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم
قبل جليها وكالبحث عن اسرار الالهية التى لا يستقل بالوقوف على
طريق بعضها الا الانبياء والاولياء ولقد تطلع الفلاسفة واكثر
المتكلمين اليها ولم يستقلوا بها بل هلكوا من اجلها وقد قال عليه
السلام تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فيجب كف الناس

عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففى ذلك للموفق
مقنع فكم من شخص خاض فى العلوم فاستضر بها ولو لم يخض
فيها لكان حاله احسن فى الدين قبل الخوض فيها ولذلك قيل

وَانْ الْقَاكَ فَهْمُكَ فِى مَهَاوٍ * فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَ

فلا تنكر كون العلم ضارا لبعض الاشخاص كما يضر لحم الطير وانواع
الحلاوة اللطيفة بالصبى الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل
ببعض الامور ولقد ذكر ان بعض الناس شكى الى طبيب عقم
زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى
دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض
عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها
واخرجت اموالها وفرقت واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب
حتى انقضت المدة فجاء زوجها الى الطبيب فقال انها لم تمت فقال
الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد ان شاء الله قال
فكيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها
فعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال
المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار الخطر من بعض العلوم
ويفهمك معنى قوله عليه السلام اعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر
لهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم
الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة فى الاتباع
والخطر والبحث فى الاستقلال والابتداع فيكفيك فى منفعة العقل
ان يهديك الى طريق النبى عليه السلام ويفهمك بعض موارد اشاراته
فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فانك لا تسلم
الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم لجهلا وان من القول

لعيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكن منه ما يوثر تاثير الجهل
فى الاضرار وقال عليه السلام قليل من التوفيق خير من كثير من
العلم وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما
اكثر الثمار وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع والله
تعالى نسئله العون والتوفيق **الجملة** الثانية فى اسامى
العلوم الشرعية وبيان القدر المحمود منها اعلم ان هذه الجملة تنحصر
فى فصلين احدهما فى اسامى العلوم الشرعية وكيفية التباسها
بالمذمومة الفصل الثانى فى بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة
الفصل الاول ذكر الغزالى فى كتابه فقال اعلم ان منشأ التباس العلوم
المذمومة بالعلوم الشرعية هو تحريف الاسامى المحمودة وتبديلها
بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما كان عليه السلف الصالح والقرن
الاول وهى خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة
قال فهذه اسماء محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب فى الدين
اللفظ الاول الفقه قد تصرفوا فيه بالتخصيص لمعرفة الفروع
فى الفتاوى والوقوف على دقائق عللها فمن كان اكثر اشتغالا بها
قيل هو الافقه ولقد كان اسم الفقيه فى العصر الاول مطلقا على
علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال
وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة
واستيلاء الخوف على القلب ويدل على ذلك قوله عز وجل ليتفقهوا
فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذى يكون به
الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق
واللعان والسلم والاجارة واشباه ذلك من الفروع فهذا
لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى

القلب وينزع منه الخشية كما يشاهد من المتجردين له وقد قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معانى الايمان دون الفتاوى ولعمرى ان الفقه والفهم فى اللغة اسمان لمعنى واحد وقد قال تعالى لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون الآية احال قلة خوفهم من الله عز وجل واستعظامهم لسطوة الخلق على قلة الفقه فانظر اذلك ينتجه عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او ينتجه ما ذكرنا من العلوم وقال عليه السلام علماء حكماء فقهاء وفى بعض الطرق كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء للوفد الذين قدموا عليه فقالوا نحن قوم مؤمنون مسلمون فذكروا الخمس عشرة خصلة تحقيقا لايمانهم الحديث مشهور وسئل بعضهم اى اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكأنه اشار الى ثمرة الفقه انها التقوى والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال عليه السلام لن يتفقه احدكم كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وقال عليه السلام لن يتفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وروى هذا عن ابى الدرداء مرفوعا مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون اشد لها مقتا قال وسال فرقد السبخى الحسن عن شئ فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولما احتضر جابر بن زيد رحمه الله دخل عليه الحسن فقال قل لا اله الا الله يا ابا الشعثاء فسكت فاعاد عليه فقال جابر انا من

اهلها ولكن نعوذ بالله من غدو ورواح الى النار ثم قال يا ابا سعيد
يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها فقال الحسن ما
افقهه ولو عند الموت وقال الله تعالى ولله خزائن السموات والارض
ولكن المنافقين لا يفقهون ولم يرد تعالى يفقهون فروع الفتاوى
ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى والاحكام الظاهرة
ولكن بطريق العموم والشمول وبطريق الاستتباع وكان اطلاقه
على علم الآخرة اكثر فثار بهذا التخصيص تلبيس بعث الناس على
التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك
معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل
به الى طلب الولاية والقضا والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان
مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى
هو اسم محمود فى الشرع وبالله التوفيق اللفظ الثانى العلم وقد
كان يطلق ذلك على العلم بالله عز وجل وباياته وافعاله فى عباده
وخلقه حتى انه لما مات عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ابن
مسعود مات تسعة اعشار العلم عرفه بالالف واللام ثم
فسره بالعلم بالله سبحانه وقال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا
هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط الآية وقال تعالى ان
الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى الآية وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم الآية وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير وقال
وانه لذو علم لما علمناه وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات وقال ومن عنده علم الكتاب وقال فى الخضر عليه السلام
اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال لنبيه عليه
السلام وعلمك ما لم تكن تعلم وقال وقل رب زدنى علما فى جميع ما ورد

من فضا ئل العلم والعلماء بالله عز وجل وباحكامه وصفاته وتصرفوا
فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه فى الاكثر بمن يشتغل بمسائل
الفتاوى والفروع والخصومات ولا يحيط من علم الشريعة بشئ
يتقرب به الى الله عز وجل فيعد من فحول العلماء مع جهله بالتفسير
والاخبار وسير الصالحين وعلم المذهب وغيره فصار ذلك سببا
مهلكا لخلف كثير من الطلبة وبالله التوفيق اللفظ الثالث التوحيد
وهو عبارة عن معرفة من وحد الله تعالى وآمن به ايمانا يرى به الامور
كلها من قبل الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسايط والاسباب
فلا يرى الخير والشر الا من الله جل جلاله وهو مقام شريف احدى
ثمراته التوكل كما سياتى ان شاء الله ومن ثمراته ايضا ترك الشكوى الى
الخلق وترك الغضب عليهم والتسليم لحكم الله والرضى به وتفويض
الامور اليه وغير ذلك كما سياتى ان شاء الله وكان التوحيد جوهرا
نفيسا وله قشران احدهما ابعد من اللب من الآخر فالقشر الاول اقرار
اللسان المجرد عن الاعتقاد وهو ان تقول بلسانك لا اله الا الله فهذا
يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى تصرح به النصارى ان الله
ثالث ثلاثة ولكن هذا التوحيد ربما يصدر من الزنديق الذى يخالف
سره جهره القشر الثانى ان لا يكون فى القلب انكار لمفهوم الاقرار
باللسان بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد الوحدانية والتصديق
به وهو توحيد عوام المسلمين والمتكلمين الذين هم حراس هذا القشر
عن تشويش اهل البدع المخالفين فى صفات الله تعالى بتاويل الخطاء
واما اللب الذى هو داخل هذين القشرين فهو توحيد العلماء بالله
الموقنين وذلك هو رؤيتهم الامور كلها من الله تعالى دون الاسباب
والوسايط وعبادتهم اياه تعالى بكلية قلوبهم ويخرج عن هذا التوحيد

اتباع الهوى لان كل متبع هواه فقد اتخذه معبوده قال الله
تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه وقال عليه السلام ابغض
اله عبد فى الارض عند الله تعالى الهوى وسياتى شرح التوحيد
وثمراته ان شاء الله تعالى فهذا هو توحيد العلماء بالله تعالى
انظر كيف جعله المتكلمون من العلماء عبارة عن صياغة الكلام
ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضة الخصوم والقدرة
على التشدق فيها وكثرة الاسولة بالدلائل والالزامات حتى
لقب طوائف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمو المتكلمين
العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن
شئ منها فى العصر الاول عن الرسول والصحابة رضى الله عنهم
وانما حدث عن افتراق الامة وتوزعها وبالله التوفيق اللفظ الرابع
الذكر والتذكير قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقد ورد فى الثناء على مجلس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام
اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس
الذكر وكقوله عليه السلام فى حديث ابى ذر حيث قال حضور
مجلس الذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس العلم
افضل من عيادة الف مريض ومن حضور الف جنازة قيل
يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل ينفع القرآن الا بالعلم
وعن عطاء قال مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو
فى امثال هذه الاخبار ستاتى فى موضعها ان شاء الله قال فنقل
ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو
القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهو بدعة
ورد نهى السلف عن الجلوس للقصاص وقالوا لم يكن ذلك فى عصر

الرسول عليه السلام وصاحبيه ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وانما
حدث ذلك حين ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروى ان ابن عمر
خرج من المسجد فقال ما اخرجنى الا القصاص ولولاه ما خرجت
وقيل للثورى نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم
قال ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا
الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطيه فقال القاص
يا شيخ اما تستحى قال لم انا فى سنة وانت فى كذب انا الاعمش
وما حدثتك وقال بعض العلماء اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال
قال واخرج على القاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن
لم يخرجه اذ كان الحسن يتكلم فى علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه
على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ويذكر بآلاء
الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا
وخطر الآخرة فى امثال ذلك فهذا هو التذكير المحمود فى الشرع الذى
وردت به الاخبار والآثار على ما سيأتى ان شاء الله فاتخذ المتحرفون
تلك الاحاديث والآثار حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير
الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المقصود واشتغلوا بالقصص
التى يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقصان ويخرج عن القصص
الواردة فى القرآن ويزيد عليه فان فى القصص ما ينفع سماعه ومنها
ما يضر وان كان صادقا فمن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه
الصدق بالكذب والنافع بالضار فلاجل هذا نهى عن القصص
واما ان كانت القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق
بامور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست ارى به باسا
ولكن فليحذر الكذب وحكاية احوال تومى الى هفوات اومساهلات

يقصر فهم العوام عن درك معانيها وعن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بها في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه العذر في ذلك ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ والاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو وان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو اكبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز من هذين المحذورين فلا باس به فعند ذلك ترجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق في التواصف في العشق وجمال المعشوق ومدح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اخلاط العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى ما يحرك دواعيهم ولا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هي مستكنة فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك اوكله يرجع الى فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستئناس وقال صلى الله عليه وسلم ان في الشعر لحكمة وبالله التوفيق واما الشطح فهو عندهم نوعان من الكلام احدثهما بعض الصوفية احدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعاوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال الغزالي وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى

ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى
قال فهذا الفن من الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال
مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال ولا يعجز الاغبياء عن
دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلفيق كلمات مخبطة مزخرفة قال
ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم
والجدال فالعلم حجاب والجدال عمى النفس قال الغزالى فهذا الحديث
لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق قال فهذا وفنه قد استطار
فى بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشئ منه فقتله
افضل فى دين الله من احياء عشرة والله اعلم قال والنوع الثانى
من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة
وليس وراءها طائل قال وذلك اما ان تكون غير مفهومة عن قائلها
بل يصدرها عن تخبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته
بكلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه
لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته
للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة ولا
فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول
ويكون فهم كل واحد على مقتضى طبعه وهواه وقد قال عليه السلام
ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم والله اعلم
قال واما الطامات فيدخلها ما ذكرنا فى الشطح وامر آخر يخصها وهو
صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهوم الى امور باطنة لا تسبق
الى الافهام كدأب الباطنية فى التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره
عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها من غير
اعتصام فيها بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو

اليه

اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ
وتسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام
فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له
بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله عن وجوه شتى قال وانما قصد
اصحابها بها الاغراب فى النفوس فان النفوس مائلة الى الغريب
ومستلذة له قال وبهذا الطريق توصلت الباطنية الى هدم
جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم قال ومثال
تاويل اهل الطامات كقول بعضهم فى تاويل قوله تعالى اذهب
الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون
وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى وان الق عصاك
اى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله تعالى فينبغى ان
يلقيه وفى قوله عليه السلام تسحروا فان فى السحور بركة
اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا القرآن
من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس
وسائر العلماء وبعض هذه التاويلات تعلم بطلانها قطعا كتنزيل
فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده
ودعوة موسى له كابى لهب وابى جهل وغيرهما من الكفار وليس
من جنس الشياطين والملائكة وما لا يدرك بالحس حتى يتطرق
التاويل الى الفاظها وكذلك حمل السحر على الاستغفار فانه
عليه السلام كان يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء
المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم
بغالب الظن وذلك فى امور لا تتعلق بالاحساس وكل ذلك حرام
وضلالة وبدعة شائعة عظيم ضررها فقد عرفت كيف صرف

الشيطان دعاوى الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك
بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامى والله المستعان اللفظ
الخامس الحكمة وهى التى اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يوت الحكمة
فقد اوتى خيرا كثيرا وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل
خير له من الدنيا وما فيها وقال الحكمة ضالة المؤمن فى امثال ذلك
ثم صار اسم الحكمة يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم وامثالهم
فانظر الى الذى كان اسم الحكمة عبارة عنه والى ما ذا نقل وقس فى
بقية الالفاظ واحترز من الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان
شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم
يتوصل الى انتزاع الدين من قلوب الخلق فقد عرفت العلم المحمود
من العلم المذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة فى ان تنظر لنفسك
فتقتدى بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف
فكل ما ارتضاه السلف فقد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره
مبتدع محدث والله المستعان وقد صح قوله عليه السلام بدأ
الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل
وما الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد عند فساد
الناس ويحيون من سنتى ما اماته الناس وفى خبر آخر هم المتمسكون
بما انتم عليه اليوم وفى حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون
بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم
غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثورى اذا رايت العالم
كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه لو نطق بالحق لبغضوه كتبت
اكثر هذا الباب من كتاب الغزالى لانه اتبع فيه فضائح علماء السوء
منهم فاحببت ان تقفوا عليها اذ كان ما ذكره موافقا للحق غير

خارج عن الشرع وبالله التوفيق * (الفصل الثاني) *
في بيان القدر المحمود من العلم اعلم ان العلم بهذا الاعتبار
ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وهو الذي لا
فائدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه وهو ما
قدمناه من علم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة
فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه
اضاعة واضاعة النفائس مذموم ومنه ما فيه ضرر يزيد
على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا والله اعلم
القسم الثاني قسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كثر كان احسن
وافضل وذلك هو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وسنته
في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب
لذاته وليتوصل به الى سعادة الآخرة فبذل المقدور فيه الى
اقصى غاية الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك
غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يتيسر لهم
وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء الراسخون في العلم على
اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله
تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب
ويعين على التنبيه لهذا العلم مشاهدة احوال علماء الآخرة كما قدمنا
من علاماتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في آخر الامر المجاهدة
والرياضة للنفس وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا
والتشبه فيها بانبياء الله تعالى واوليائه ليتضح عنه لكل ساع
الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد
فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها وبالله التوفيق

القسم الثالث يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهي العلوم التي تقدمت قبل هذا في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا هو الاول واقتصادا هو الوسط واستقصاء لا مرد له اي آخر العمر وهذه الاقسام الثلاثة كاحوال البدن فان منه ما لا يحمد قليله ولا كثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيه وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم على هذا الحال فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك من معرفة الله تعالى وما يتعلق بها من الاعمال الظاهرة من تعلم الصلوة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل وهو علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر من الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها فجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة من القيح والدم منها بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما تشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة دون تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح

واستصعابه اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب
شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب في الطلا وهي تزيد في المواد
وتضاعف الامراض فان كنت مريد الآخرة وطالبا للنجاة وهاربا
من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما
سياتي ان شاء الله فانك اذا فعلت ذلك انجر ذلك بك الى
المقامات المحمودة التي تاتي مشروحة ان شاء الله فان القلب اذا
فرغ من المذموم امتلأ من المحمود كالارض اذا نقيت من الحشيش
نبت فيها اصناف الزرع والرياحين فان لم تتفرغ من ذلك فلا
تشتغل بفروض الكفايات لاسيما وفي الخلق من قام به فان مهلك
نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت
الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مدبة
يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من
تلك الحيات والعقارب اذ هممن به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها
وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه فصار ذلك ديدنا لك وعادة
متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج
فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله عليه السلام ثم بعلم
التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمقطوع
والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع
وهو علم المذهب من الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا
الى بقية العلم بما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق
عمرك في واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير
وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها
فكل ما يطلب لغيره فلا يليق ان تنسى من اجله المطلوب وتستكثر

منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق
به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق
فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة ومن علم
الكلام على ما تحفظ به التوحيد والاعتقاد من تشويش المبتدعة
على نفسك واختلاسها قلوب العوام من معتقدي مذهب
المسلمين وكن متيقظا لمكايد النفس متحرزا من شياطين الجن
والانس وبالجملة فالمرضى عند العقلاء ان تعد نفسك فى الدنيا
وحدك مع الله تعالى وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة
والنار وتامل فيها بعينك واشتغل فيما بين يديك ودع عنك ما
سوى ذلك والسلام مثال لهذه العلوم فى سلوك طريق
الآخرة ذكر معنى ذلك الغزالى فى كتابه فقال اعلم انه لا يهمك الا
شانك فى الدنيا والآخرة قال واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا
ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور العقل والبصائر
ما يجرى مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الآباد قال فعند ذلك
تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا
مقصد الا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف فى
هذا العالم قدره الا الا قلون قال والعلوم بالاضافة الى سعادة
لقاء الله تعالى على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال قال وهو
ان العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان
حججت واتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات
بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك
العتق والخلاص من شق الرق فقط دون سعادة الملك قال فله
ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة اسباب شراء الناقة وخرز

الزاوية واعداد الزاد الثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى
الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد
ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحقاق
التعرض للملك والسلطنة وله فى كل مقام منازل من اول اعداد
الاسباب الى آخرها ومن اول سلوك البوادى الى آخره ومن اول
اركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة
كقرب من هو بعد فى اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا
بالسلوك بل اقرب منه قال والعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم
يجرى مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب
والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا وقسم يجرى مجرى
سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن
كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها
الاولون والآخرون الا الموفقين فهذا سلوك للطريق وتحصيل
علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله قال فكما لا يغنى علم
المنازل وطرق البوادى دون سلوكها كذلك لا يغنى علم تهذيب
الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير
ممكنة وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله
عز وجل وصفاته وملائكته وافعاله فى جميع ما تقدم ذكره فى
ترجمة علم المكاشفة قال وههنا نجاة وفوز بالسعادة فالنجاة
حاصلة لكل سالك الطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة
واما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون وهم المقربون
المنعمون فى جوار الله عز وجل بالروح والريحان وجنة النعيم
قال فاما الممنوعون من ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة

كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى
جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو
من اصحاب الشمال ومن الضالين وله نزل من حميم وتصلية
جحيم واعلم ان هذا هو اليقين عند العلماء الراسخين اعنى انهم
ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار
وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع فحالهم حال من اخبر
فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق
والايمان اعنى ما سبق الى فهم عوام المسلمين والمتكلمين دون
العارفين لانهم آمنوا وصدقوا ولم يحيطوا بالمشاهدة والعيان
قال والسعادة من وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة من وراء علم
المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات
وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق
المعالجة وكيفية السلوك وراء علم سلامة البدن قال ومساعدة
اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتعاون الذى يتوصل
به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه
فى ضبط الناس وحملهم على نهج العدل والسياسة فى ناصية
الفقيه واما اسباب الصحة ففى ناصية الطبيب فمن قال العلم علمان
علم الابدان وعلم الاديان واشار به الى الفقه فانما اراد به العلوم
الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة قال فان قلت لم
شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة قال فاعلم ان الساعى
الى الله سبحانه لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعنى

بالقلب اللحم المحسوس بل سر من اسرار الله تعالى لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولة الحاملة لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لذلك السر وكشف الغطا عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مظنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجسام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي الآية وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن ولله الخلق والامر جميعا والامر اعلا من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارض والجبال اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها واياك ان تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقائل بقدم الارواح مغرور وجاهل لا يدري ما يقول والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الله سبحانه اعني الروح لانه من امر الرب تعالى فمنه مصدره واليه مرجعه قال واما البدن فمطية الروح التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن له في طريق الله سبحانه كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل

بالسعى فى طلب تحصيل طعامه بالحراثة والزراعة والطبخ و فى
تحصيل الملبس والمسكن وفى اعداد الآلات لذلك كله فاضطر
الى المخالطة والاستعانة فيها اختلط بالناس وثارت شهواتهم
تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا فحصل من قتالهم
هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب
تضاد الاخلاط من داخل وبالطبع يحفظ الاعتدال فى الاخلاط
المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى
التنافس من خارج فعلم طريق اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق
اعتدال احوال الناس فى المعاملات وسائر الافعال فقه وكل
ذلك يحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه والطب اذا
لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها
وشراء الراوية وخرزها اذ لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره
فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره
فى دقائق اسباب الخيوط التى تخرز بها مزاوده وراويته فى طريق
الحج فنسبة هؤلاء من السالك طريق اصلاح القلب الى الواصل
الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالكى طريق الحج او ملابسى
اركانها قال الغزالى فتامل هذا ولا واقبل النصيحة مجانا ممن قامت
عليه غالية ولم يصل اليها الا بعد جهد شديد وجراة تامة على
مباينة الخلق والغاية فى النزوع عن تقليدهم بمجرد الشهوة
وبالله التوفيق فنسئل الله الذى بيده ازمة الامور ان يعصمنا
من زخارف القول والغرور وان يجعلنا من الذين لا تغرهم الحياة
الدنيا ولا يغرهم بالله الغرور وان يعيذنا من الخطاء والزلل فى
القول والعمل فهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا

بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا النبي الكريم
كمل كتاب قنطرة العلم بحمد الله وحسن عونه يتلوها
قنطرة الايمان والتوحيد ان شاء الله تعالى *

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
(القنطرة الثانية) قنطرة الايمان وسائر قواعد
الاعتقاد والتوحيد وهذه القنطرة التي للايمان مرتبة على
قنطرة العلم وذلك ان سعادة الآخرة العلم ثم الايمان ثم العمل
ثم التوفيق ثم حسن الخاتمة وذلك ان الانسان لما حصل له العلم
الضروري المتيقن بان جميع المحدثات كائنة بعد ان لم تكن وجب
عليه ان يعرف ان لها محدثا احدثها ومكونا كونها فيؤمن به ويعتقد
انه خالقه وموجده على ماهو عليه من صفاته وافعاله فتشتمل
حينئذ هذه القنطرة على خمسة ابواب الاول في معرفة ذات
الله تعالى وينحصر هذا الباب في عشرة فصول الفصل الاول
يحتوي على ترجمة العقيدة والاستدلال على وجود الله سبحانه
بالفاظ وجيزة اما الترجمة فهو ان الله تعالى اوجب على كل عاقل
سلم عقله من الآفات ان يعتقد ان الله سبحانه اله واحد لا شريك
له منفرد لا ند له قديم لا اول له مستمر الوجود لا آخر له ليس
بجسم مصور ولا بجوهر مقدر ولا يماثل الاجسام ولا يتجزا بالانقسام
ولا تحله الجواهر والاعراض ولا تعتريه الخواطر والاغراض ولا تحويه
الاقطار والجهات ولا تكتنفه الارض والسموات منزه عن التغير
والانتقال مقدس عن الزوال حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور

ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت منفرد بالخلق والاختراع متوحد بالايجاد والابداع عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الارض الى اعلى السموات لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء يعلم حركات الخواطر وما يختلج فى مكنون الضمائر عالم بما كان وما يكون من ظاهر ومكنون يعلم ذلك بنفسه وبذاته لا بعلم متجدد قائم بالذات تعالى عن حلول المعانى والآفات وهو تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات خالق لجميع الموجودات وافعالها مقدر لارزاقها وآجالها لا يقع كفر ولا ايمان ولا نكر ولا عرفان ولا سهو ولا نسيان الا بقضائه ومشيئته وحكمه وارادته لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه لم يزل واحدا حيا عالما قادرا مريدا فى الازل لوجود الاشياء فى اوقاتها التى قدرها لها فوجدت فى اوقاتها كما قدرها من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته وهو سبحانه سميع لا تخفى عنه الاصوات بصير لا تغيب عنه الالوان لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق يرى من غير حدقة ولا اجفان ويسمع من غير اصمخة ولا آذان كما يعلم من غير قلب ولا جنان وهو تعالى متكلم بلا شفة ولا لسان وآمر بالطاعة والاحسان ناه عن الاساءة والعصيان واعد على طاعته ثواب الخلد والجنان متوعد على معصيته عقابا بين اطباق النيران وانه تعالى حكيم فى افعاله عادل فى احكامه متفضل بالانعام

ممتن بالاحسان لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وانه تعالى بعث
رسوله النبي الامين محمد بن عبد الله خاتم النبيين الى الجن
والانس اجمعين فنسخ بشريعته جميع الشرائع المتقدمة
الا ما لا ينسخ من التوحيد ومكارم الاخلاق المتممة
فختم به الانبياء وفضله على جميع اوليائه من الانبياء
والاصفياء ومنع سبحانه كمال التوحيد الذى هو قول لا اله
الا الله ما لم تقترن به الشهادة لرسوله بانه محمد رسول الله
والزم الخلق تصديقه فى جميع ما قاله واخبر عنه من ان
الموت حق وان البعث حق وان الحساب حق وان الجنة حق
وان النار حق وان لله جملة الانبياء والرسل وجملة الملائكة
والكتب والايمان بالقضاء والقدر وولاية اولياء الله من
الاولين والآخرين والعداوة لاعدائه من الانس والجن
اجمعين ومعرفة التوحيد والشرك وفرز كبائر الشرك من
كبائر النفاق ومعرفة تحريم دماء المسلمين واموالهم وسبى
ذراريهم بالتوحيد الذى معهم ومعرفة تحليل دماء المشركين
واموالهم وسبى ذراريهم بالشرك الذى معهم ومعرفة الملل
واحكامها واعتقاد العبودية لله تعالى بجميع اوصافها وبالله
التوفيق فينبغى ان يلقن الصبى هذه العقيدة مشروحة
فى اول نشوه ليحفظها حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناها
فى كبره شيئا فشيئا فابتداءه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان
والتصديق بها وذلك ما يحصل فى قلب الصبى بغير برهان ثم
لا بد من تقويته بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث وفهم

معانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد
رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه
من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يطلع عليه من انوار
العبادات ووظائفها وبما يسرى عليه من مشاهدة الصالحين
ومجالستهم فيكون اول التلقين كالقاء البذر فى ارض الصدر
وتكون هذه الاسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر
ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة فى الصدر اصلها ثابت
وفرعها فى السماء ثم اذا وقع نشو الصبى على هذه العقيدة
مشروحة ولم ينفتح له غيرها ولم يطلع على اختلاف الناس
حتى يميز بين البدعة وغيرها فاستمر على وظائف العبادات
واجتناب المحرمات حتى مات على ذلك فانه ناج فى الآخرة
ان شاء الله اذ لم يكلف الرسول عليه السلام اجلاف العرب
اكثر من التصديق والجزم بظاهر هذا الاعتقاد وهو الايمان
بالله وبرسوله وبما جاء به انه حق من عند ربه فاما البحث
والتفتيش عن اختلاف الناس وتكلف نظم الادلة
لذلك فلم يكلفوا ذلك اصلا وان ساعده التوفيق فى سلوك
طريق الآخرة حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى
النفس عن الهوى واشتغل برياضة النفس والمجاهدة انفتح
له ابواب من الهداية تكشف له عن حقائق هذه العقيدة
بنور يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعد الله تعالى
اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وبالله التوفيق
(فصل) واما الادلة على وجود الله تعالى فيكفى فى
ذلك ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله تعالى بيان قال

الله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى قوله وجنات الفافا وقال سبحانه ان فى خلق السموات والارض الى قوله والسحاب المسخر بين السماء والارض الآية وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا الى قوله ويخرجكم اخراجا وقال جل جلاله افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه الى قوله ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من له ادنى عقل وتمييز اذا تامل بفكره مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجائب خلق الارض والسموات واصناف الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب الذى احكم غاية الاحكام ورتب هذا الترتيب لابد له من صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبير ولذلك قال تعالى افى الله شك فاطر السموات والارض وقال تعالى فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا فى فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغنى عن اقامة برهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول فى انطباق فطرة العقول ان الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن محدث يحدثه فالعالم باسره حادث لان كل حادث لابد له ان يكون مختصا بوقت يجوز فى العقل تقدير تقدمه وتاخره واختصاصه بوقت معلوم يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا ان العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان لاجل تعاقبهما ووجود البعض منهما عقيب الآخر وذلك مشاهد فى جميع الاجسام فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز تحركه وما من متحرك الا والعقل قاض

بجواز سكونه فالطارى منهما حادث لطروه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه فلما ثبت ان الاجسام لا تخلو عن الاعراض وانها تتعاقب على الاجسام وهى حوادث فلم يسبق الحادث فهو حادث مثله واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات الضرورية وبالله التوفيق *(الفصل الثانى)* العلم بان البارى سبحانه قديم لا اول لوجوده والدليل على قدمه كونه قبل الحدث لان معنى الحدث ما لم يكن ثم كان ومعنى القديم ما كان بغير تكوين وهو الله سبحانه لانه كان ولا شئ معه ثم كون الاشياء فلو لم يكن قديما لكان محدثا مفتقرا الى محدث يحدثه وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يحصل وينتهى الى محدث قديم وذلك هو المطلوب الذى هو صانع الاشياء وبارءها ومحدثها وموجدها هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم *(الفصل الثالث)* العلم بانه تعالى لا نهاية لوجوده ودوامه لان ما ثبت قدمه استحال عدمه والدليل على ذلك انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم هو غيره فلو جاز ان ينعدم شئ يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شئ بنفسه فكما يحتاج طرو الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طرو العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم هو غيره لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ثبت بما قدمناه انه قديم لا اول لوجوده فكيف كان وجوده فى القدم وحده ومعه ضده وان كان الضد المعدوم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث بمضادته القديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم فى مضادته الحادث حتى يدفع

وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث
فثبت انه لا آخر لوجوده ولا نهاية لدوامه وبالله التوفيق
(الفصل الرابع) العلم بانه ليس بجوهر يتحيز ودليله
ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون
ساكنا فيه او متحركا عنه والسكون والحركة حادثان
فما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز
قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم وذلك محال فثبت انه
موجود قديم ليس بجوهر تعالى عن ذلك *(الفصل الخامس)*
العلم بانه تعالى ليس بجوهر مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة
عن المؤتلف من الجواهر فلما بطل كونه جوهرا مختصا بحيز
بطل كونه جسما لان كل جسم لا بد ان يكون مختصا بحيز
مركبا من جوهرين فصاعدا والجوهر والجسم يستحيل خلوهما
عن الحوادث من الافتراق والاجتماع والحركة والسكون
والهيئات والمقدار فهذه دلائل الحدث تعالى عن ذلك
علوا كبيرا *(الفصل السادس)* العلم بانه تعالى
ليس بعرض قائم في الجسم او حال في محل لان العرض هو ما
يحل في الجسم ويعترض فيه من حركة وسكون فكل جسم
حادث ومحدثه موجود قبله فكيف يكون حالا في جسم
وقد كان في الازل ولا شئ معه موجود ثم احدث الاجسام
والاعراض ويتحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه
ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض فان العالم كله جواهر واعراض
واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ لاستحالة
مماثلة الصناعة صانعها *(الفصل السابع)* العلم

بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالامكنة والجهات
فان الجهات اما فوق واما اسفل واما يمين اوشمال او قدام او
خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها واحدثها فلو اختص
بجهة ما لكان متحيزا محدودا كاختصاص الجواهر والاجسام
وتحيزها بالامكنة والجهات وقد ثبت استحالة كونه
جوهرا او جسما فاستحال كونه مختصا بجهة فمن زعم انه
مختص بجهة فوقية قيل له لوكان فوق العالم بجهة لكان
محاذيا له وكل محاذ لجسم فانه لابد ان يكون مثله او اصغر
منه او اكبر وكل ذلك تقدير يحوج الى مقدر يتعالى عنه
الواحد المدبر واما رفع الايدى عند السؤال الى جهة السماء
فهو لانها قبلة للداعي وفيه ايض اشارة الى ما هو وصف
للمدعو من الجلال والكبرياء وتنبيها بقصد جهة العلو
على صفة المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر
والاستيلاء * (الفصل الثامن) * العلم بانه تعالى
مستو على العرش بالمعنى الذى اراده الله تعالى بالاستواء
وهو الذى لاينافي وصف الكبرياء ولا تتطرق اليه سمات
الحدث والفناء وهو استواء القهر والغلبة والاستيلاء
كما قال الشاعر *

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

فاضطر اهل الحق الى هذا التاويل ما اضطر اهل الباطل الى
تاويل قوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم اذ حمل بالاتفاق
على الاحاطة والعلم فحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله

عليه السلام الحجر الاسود يمين الله فى ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذلك الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن للزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر منه او اصغر وكل ذلك محال وما يؤدى الى المحال فهو محال * (الفصل التاسع) * العلم بانه تعالى منزه عن الرؤية والادراك بالابصار اذ هو تعالى مقدس عن الجهات والاقطار لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فهذه مدحة امتدح تعالى بها عن الادراك بالبصر كما امتدح بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم عن الغفلة وحلول الآفة به من النوم والسنة فان قال قائل لا تدركه الابصار يعنى فى الدنيا قيل له لا تاخذه سنة ولا نوم فى الدنيا فان حاول بينهما فرقا لم يجد الى ذلك سبيلا وقد استقصينا شرح هذه الفصول والحجج عليها فى كتاب شرح قصيدة الشيخ ابى نصر رحمه الله * (الفصل العاشر) * العلم بانه عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع وتوحد بالايجاد والاختراع لا مثل له يسامية ويساويه لا ضد له فينازعه وينا ويه دليله قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انهما لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثانى ان كان مضطرا الى مساعدته كان مقهورا له عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا فمدار هذا الباب على عشرة اصول وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر

ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان
دون مكان وانه مستو على العرش وانه ليس بمرئى وانه
واحد لا شريك له *

(الباب الثانى فى معرفة صفاته وذاته)

ويشتمل على عشرة اصول وهى العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا
سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وان صفاته
هى هو وانها غير قائمة بالذات غير متغايرة بينها البين وبالله
التوفيق الاصل الاول العلم بان الله تعالى عالم بجميع الاشياء
ماكان منها ومالم يكن ان لوكان كيف كان يكون علم ذلك
بنفسه وبذاته لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال
لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء يعلم وساوس
الضمائر وهواجس الافكار والسرائر صادق فى قوله وهو بكل
شئ عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير ارشد سبحانه الى الاستدلال بالخلق على العلم لانه
لا يسترتيب ذو عقل فى دلالة الخالق اللطيف المحكم على الصنع
الموثق بالترتيب والنظم العجيب ولو فى الشئ الحقير على علم
الصانع الخبير فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف
لاهل العقول والدراية الثانى العلم بانه تعالى قادر وانه
جل وعلا فى قوله وهو على كل شئ قدير صادق لان العالم باسره
محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن راى ثوبا من ديباج
حسن النسيج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم
توهم صدور ذلك من ميت لا استطاعة له او من انسان
لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل منخرطا فى سلك اهل

الغباوة

الغباوة والجهل الثالث العلم بانه تعالى حي قيوم لا تاخذه سنة ولا نوم فان من ثبت علمه وقدرته ثبتت بالضرورة حياته اذ الاموات استحالت منهم القدرة والعلوم ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات الرابع العلم بانه تعالى مريد لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو تعالى المبدئ المعيد الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده ومالا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه وكيف يكون الها قادرا من يكون في ملكه مالا يريده بل هو مستكره عاجز تعالى عن ذلك علوا كبيرا وهو تعالى مريد بذاته حي عالم بنفسه وبذاته الخامس انه تعالى سميع لا تخفى عليه الاصوات بصير لا تخفى عنه الالوان لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء فالسمع كناية عن درك الاصوات والبصر كناية عن درك الالوان وذلك نفس العلم وهما صفتان لله سبحانه في ذاته صفتا كمال في حقه سميع ليس باصم بصير ليس باعمى فهاتان صفتا كمال في المخلوق فكيف الخالق لانه لو لم يكن كذلك كيف تستقيم حجة ابراهيم الخليل عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام غيا وجهلا فقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولو انقلب

عليه ذلك وفي معبوده لا ضحت حجته داحضة ودلالته
ساقطة ولم يصدق قوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية
حاشا خليل الرحمن عن مقالة اهل الطغيان فكما عقل كونه
فاعلا بلا جارحة عالما بلا قلب ولا دماغ فليعقل كونه
بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا آذان اذ لا فرق بينهما **السادس**
انه تعالى متكلم ليس باخرس وكلامه على وجهين احدهما
الكلام الذي هو صفة له على نفي الخرس عنه فذلك صفة له
في ذاته لم يزل موصوفا به والثاني كلامه الذي هو القرآن وسائر
كتبه المنزلة فذلك فعل من افعاله لقوله تعالى فاجره حتى
يسمع كلام الله ولا يسمع الانسان كلامه الا باذنيه وهذا
المسموع محدث وتركنا ما وراء ذلك من الحجج مخافة التطويل
اذ ليس هذا فصل الجدال واتساع المجال وقد وصف الله
تعالى كلامه الذي هو القرآن بالتشابه والتماثل والاتصال
والانفصال واخبر انه في اللوح المحفوظ وفي صدور الذين
اوتوا العلم ووصفه بالذهاب والحدوث والنزول وغير
ذلك من دلائل الحدث ومعاني المخلوق وبالله التوفيق
السابع انه تعالى منزه عن حلول الحوادث والآفات
كحلول الاعراض في الاجسام بل هو سبحانه متصف بمحامد
الصفات فلا تعتريه التغييرات لان محل الحوادث لا يخلو
عن حوادث تعتقب عليه وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وانما ثبت نعت الحوادث للاجسام من حيث تعرضها للتغاير
وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول
التغيير تعالى عن ذلك علوا كبيرا **الثامن** ان صفاته

تعالى هي هو لا غيره ليس هناك معنى يفارقها ويلازمه فقولنا الله تعالى موجود اثباته ليس هناك وجود غيره يخالفه او يوافقه وقولنا الله تعالى حي اخبار عن الذات انها ليست بميتة ولها التصرف في الغير وقولنا الله قادر اخبار عن الذات انها ليست بعاجزة ولا يعجزها شيء وقولنا الله مريد اخبار عن الذات انها غير مكرهة ولا يفوتها شيء وكذلك سائرها وليس في ان نفينا عن الذات هذه الامور ما يقتضي ان معها شيء غيرها يقاومها فيضادها فيها وشيء غيرها تستعين به او يكون جزءا منها وذلك محال في ذات الباري سبحانه والقديم سبق الحدوث والعجز والحاجة وجوده فمن حصل له اسم القدم حصلت له الالوهية والصفات الكاملة وذلك عن غير الله منفي ولا قديم الا الله ولا اله الا الله واستاثره بالكمال ولم يبر الغير من النقصان وبالله التوفيق التاسع ان صفات الله تعالى ليست معاني غيره ولا هي قائمة بذاته تعالى عن ذلك وانما ذلك قول الاشعرية وهذا شبيه بقول المتكلمين ان الاعراض حالة في الاجسام فلو جعلوا الاعراض قائمة بالجسم والمعاني الذي ذكروها حالة في ذات الباري سبحانه لما زادوا فاتوا على معنى قولهم هذا بالمعنى الموجود في الاجسام صراحا ونحلوه ذات الباري سبحانه براحا فان قالوا انكم ابطلتم المعنى المعقول في لغة العرب انهم اذا وصفوا انسانا بالشجاعة او بالجبن او السخاء او البخل اثبتوها صفاتا غيره قلنا ان العرب اذا وصفت شيئا بصفة انهم انما يتوجهون الى معنى تلك الصفة وليس في لسانهم ما يقتضي انها هي هو او غيره وانما

تدرك معرفة ذلك من وجه آخر من طريق من نظر فی ذوات العالم وعلى ان الجسمية صفة للجسم وليس فی ذلك ما يقتضی انها غير الجسم وكذلك العرضية صفة للعرض والخلق صفة للخلق وهی هو وبالله التوفيق **العاشر** ان هذه الصفات التی ذكرناها من العلم والقدرة وسائرها غير متغايرة بينها البين فان قالوا العلم هو القدرة فی سائرها قلنا هذا ممنوع من جهة اللغة والتخاطب بين الناس ولو اطلقه انسان لما جاوز خطاءه اللغة وهو احسن حالا ممن اخطأ فی صفات الله تعالى اعلم ان هذه الصفات التی ذكرناها صفات ذات لم يزل الله تعالى متصفا بها فی الازل والحال اذ لو حدث العلم لكان قبله جاهلا ولو حدثت القدرة لكان قبلها عاجزا ولو حدثت الحياة لكان قبلها مواتا ولو حدثت الارادة لكان قبلها مستكرها ولو حدث السمع والبصر لكان قبل ذلك اعمى اصم فهذه صفات ذات مهما انخرمت منها صفة اختلت الالوهية فان قال قائل ولو حدث الكلام لكان قبله اخرس فالخرس ضد الكلام ونقيضه فالكلام اذا من صفات الذات قيل له قد تقدم القول فی ذلك ان كلام الله تعالى على وجهين فكلامه الذی هو صفة ذاته يوصف به على نفی الخرس عنه لانه تعالى متكلم ليس باخرس وليس الخرس بنقيض الكلام وانما الخرس آفة وزمانة لا يستقيم معها الكلام كما ان العجز آفة لا يستقيم معها الخلق وهما منفيان عنه تعالى بالقدرة وانما ضد الكلام السكوت لانه قد يكون للحی ساكتا لا متكلما ولا اخرس والوجه الثانی كلامه الذی هو القرآن

وسائر

وسائر كتبه تعالى هو فعل من افعاله وخلق من خلقه اذ
وصفه الله تعالى بصفات الحدث كما قدمنا واعلم انه لا يجوز
ان يقال الله سبحانه علم بعلم وقدرة فى سائرها لانه يوهم
عليه الاستعانة بها تعالى عن ذلك وانما يقال علم بنفسه
وبذاته وكذلك سائرها وبالله التوفيق *
* (الباب الثالث) * فى افعاله تعالى ومدارها يحتوى
على عشرة اصول وهى ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل
بالخلق وان له تكليف العقلاء وان ايلام البرى عدل منه تعالى
وانه لا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان
بعثه الانبياء جائز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثابتة مؤيدة بالمعجزات وبالله التوفيق * (الاصل الاول) *
العلم بان كل حادث فى العالم فهو خلقه وفعله واختراعه لا خالق
له سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد
قدرتهم وحركتهم فجميع افعال العباد مخلوقة له ومتعلقة
بقدرته تصديقا لقوله تعالى خالق كل شئ وقوله والله خلقكم
وما تعملون وقوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم
بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد
بالتحرز فى اقوالهم واسرارهم وضمائرهم لعلمه موارد افعالهم
واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون لفعل العبد خالقا
وهو سبحانه يقول وقدرنا فيها السير وقال وانه هو اضحك
وابكى وقدرته تعالى تامة لا قصور فيها وهى متعلقة بحركة
ابدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها

فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها
او كيف يكون للحيوان مستبدا بالاختراع والخلق وقد يصدر
من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات
ما يتحير فيه عقول ذوى الالباب فكيف انفردت هى بخلقها
واختراعها دون رب الارباب جل جلاله وهى غير عالمة بتفصيل
ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات على
انفراد جبار الارض والسموات بالخلق والاختراع والانشاء
والابتداع والايجاد والابداع * (الاصل الثانى) * ان انفراد
الله سبحانه باختراع حركات العباد وسكناتهم لا يخرجها عن
كونها مقدرة للعباد على سبيل الاكتساب فالله سبحانه خلق
القدرة والمقدور جميعا والكسب والمكتسب جميعا فاما القدرة
فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسب له واما الحركة
فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة
بقدرة هى وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى
قدرة فسميت باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون الفعل
جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة
والرعدة الضرورية او يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل
اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها فاذا بطل الطرفان لم يبق الا
الاقتصاد فى الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى
اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها
بالاكتساب وقد قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
فاضاف القتل الى العباد والتعذيب الى نفسه فى فعل واحد
والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن

الله قتلهم الى قوله ولكن الله رمى وهو جمع بين النفى والاثبات ظاهرا فكانه قال ومارميت بالمعنى الذى يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذى يكون به العبد راميا فرد تعالى فى هذه الآية على المعتزلة والجبرة جميعا ولانه ليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى فى الازل كانت متعلقة بالمخلوقات ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها فافهمه فانه معنى غامض وبالله التوفيق *(الاصل الثالث)* ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مراد الله سبحانه فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وبارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدى من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقول الله سبحانه ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصى والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هى جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو لله سبحانه والجارى على وفق ارادة العدو اكثر من الجارى على وفق ارادته فليت شعرى كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها سيد

ضيعة لاستنكف منها اذ لوكان ما يستمر لعدو السيد في قرية اكثر مما يستمر له لاستنكف من سيادته وتبرا عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار على قياد قول المبتدعة على خلاف ارادة الخالق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب العالمين عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ثبت ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له فان قيل كيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال * (الاصل الرابع) * ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه خلافا للمعتزلة الذين زعموا ان التكليف لا يكون الا من طريق مصلحة العباد واستدل ابو يعقوب على فساد قولهم هذا بقول الله سبحانه فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم قال وهذا تكليف عقوبة لا مثوبة وهذا في حق الله سبحانه محال اذ هو الموجب والآمر والناهي سبحانه وكيف يتعرض لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله تعالى او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي يؤدي عدمه الى محال

كما يقال وجود المعدوم واجب اذ عدمه يؤدى الى محال وهو
ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله تعالى
على المعنى الاول فقد عرضنه للاضرار وان اراد به المعنى الثانى
فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم وان اراد به
معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام
فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب
فى حقه معنى ثم ان مصلحة العباد فى ان يخلقهم فى الجنة واما
ان يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر
العقاب وهو العرض للحساب فما فى ذلك غبطة عند ذوى
الالباب * (الاصل الخامس) * ان الله سبحانه تكليف العباد
اذ ركب فيهم العقول السالمة من الآفات وليس من الحكمة
اهمالهم مع العقول لان ذلك يؤدى الى اباحة الشتم له والاجتراء
عليه بما ليس من اهله فكيف وقد نزه الجليل سبحانه نفسه عن
هذه الصفة فقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية وقال تعالى
ايحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لا يؤمر ولا ينهى فكما
انه ليس من الحكمة تكليف من انعرى من العقل والتمييز اذ
كان ذلك بمنزلة تكليف الاصم السمع وبمنزلة تكليف الاخرس
النطق فكذلك ليس من الحكمة اهماله مع العقل والتمييز وقد
زعمت الاشعرية وغيرهم انه يجوز على الله سبحانه تكليف
العباد ما لا يطيقونه ولم تجز ذلك المعتزلة فيما حكى عنهم والله
اعلم واستدل من اجاز ذلك انه قال لو لم يسغ ذلك لاستحال
سؤال دفعه قال وقد حكى الرب سبحانه عن عباده انهم سالوه
دفع ما لا يطيقونه فقال مخبرا عنهم فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة

لنا بر قالوا ولان الله تعالى اخبر نبيه عليه السلام ان ابا
جهل لا يصدقه ثم امره تعالى ان يصدق نبيه عليه السلام
في جميع اقواله قالوا وقد كان في جملة اقواله انه لا يصدقه
فكيف يصدقه في انه لا يصدقه قالوا فهذا محال وجوده
وقول المعتزلة عندي في هذا اقرب الى الصواب والله اعلم
* (الاصل السادس) * واختلفوا هل يجوز على الله سبحانه
ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم منهم سابق ولا لعوض
ثواب لهم لاحق فمنعت المعتزلة ذلك واجازته الاشعرية
وغيرهم واستدلوا بان قالوا ان لله تعالى التصرف في ملكه
ولا يتصور ان يعد تصرفه ملكه قالوا والظلم انما هو عبارة عن
التصرف في ملك الغير وهو محال على الله سبحانه فانه لا يصادف
لغيره ملك حتى يكون تصرفه فيه ظلما واستدلوا ايضا على
جواز ذلك بذبح البهائم وذلك ايلام لها وبما صب عليها من
انواع العذاب من جهة الآدميين ولم تتقدم لها قبل ذلك جريمة
ولا لها في الآخرة ثواب وليت شعري كيف قولهم في المجبرة
الذين زعموا ان الله اجبرهم على افعالهم ثم عذبهم عليها ووصفوه
بقولهم هذا بالظلم ام لا والله اعلم وقولنا في هذا وغيره من جميع
ما يسع جهله قول المسلمين وبالله التوفيق * (الاصل السابع) *
ان الله سبحانه يفعل ما يشاء بعباده ولا يجب عليه رعاية
الاصلح لهم في ذلك لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شئ بل لا
يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
ولاتفاق الجميع ان الامر في مقتضى اللغة لا يفيد حسن المامور
ولا النهي قبح المنهي عنه ان هذا حسن وان هذا قبيح وانما

يعلمان من جهة الشرع ولا يعلمان من جهة المصلحة خلافا للقدرية الذين يقولون ان الله عزوجل لا يكلف عباده الا من جهة المصلحة وفى كتاب الغزالى قال فى هذه المسئلة وليت شعرى بم يجيب المعتزلى فى قوله ان الاصلح واجب على الله تعالى فقال بم يجيب عن مسئلة نفرضها عليه وهو ان تفرض مناظرة فى الآخرة بين صبى مات مسلما وبالغ مات مسلما فان الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبى لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلى فلو قال الصبى يارب لم رفعت منزلته على فيقول الرب تعالى لانه بلغ واجتهد فى الطاعات فيقول الصبى انت امتنى فى الصبا فكان يجب ان تديم حياتى حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل فى التفضل عليه بتطويل العمر دونى فلم فضلته فيقول الله تعالى لانى علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت فى الصبا هذا عذر المعتزلى عن الله عزوجل قال فعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون اما علمت انا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا فى الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبى المسلم فبم يجاب عن ذلك او هل يجب عند هذا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال وبالله التوفيق

(الاصل الثامن) ان معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بمجرد العقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال لان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفائدة

وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى غرض المعبود وذلك محال
فانه يتقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة
والعصيان فى حقه سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو
محال لانه لا غرض له فى الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات
بسببه وليس فى المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله يثيب
على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليها مع ان الطاعة والمعصية
فى حقه سيان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به
اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ
هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق
بين الشكر والكفر ان لما له التلذذ باحدهما دون الآخر فان
قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر
الا بنظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبى ان العقل ليس
يوجب على النظر والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على
النظر اذا فيؤدى ذلك الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهى
قول القائل للواقف فى موضع من المواضع ان وراءك سبعا
ضاريا فان لم تنزعج عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت
عرفت صدقى فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت
وراءى ولا التفت وراءى ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل
هذا على حماقة هذا القائل وتعرضه للهلاك ولا ضرر فيه على
الهادى المرشد فكذلك النبى صلى الله عليه وسلم يقول وراءكم
الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا
منها حذركم وتعرفون صدقى بالالتفات الى معجزتى فمن التفت
عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا

ضرر على ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما على البلاغ المبين والشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشئ واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف بالضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التعرض للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة والله اعلم * (الاصل التاسع) * انه ليس يستحيل بعثه تعالى للانبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم اذ لا يخلو ما جاؤا به ان يكون موافقا للعقل او مخالفا له فمحال ان يخالف الشرع العقل وان كان موافقا لما في العقل ففي العقل كفاية عنهم فالحجة عليهم ان العقل يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما يهدي الى الادوية المفيدة للصحة في الدنيا فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء فكما يعرف صدق الطبيب بالتجربة كذلك يعرف صدق الرسول بالمعجزة والله اعلم * (الاصل العاشر) * ان الله سبحانه قد ارسل محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق العجما وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدا مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تعرضوا لسبه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله

اذلم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما
فيه من اخبار الاولين مع كونه عليه السلام اميا غير ممارس
للكتب والانباء عن الغيب فى امور تحقق صدقه فى الاستقبال
كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم
ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من
بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسول
ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا
بتحدى الرسول عليه السلام نزل منزلة قول الله تعالى صدق
رسولى وذلك مثل القائم بين يدى الملك المدعى على رعيته انه
رسول الملك فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك
ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين
علم ضرورى بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت وبالله التوفيق

(الباب الرابع فى تصديق الرسول عليه السلام)

فيما ورد على لسانه من عند ربه تعالى اعلم ان هذا الباب يحتوى على
مقدمة وعشرين مسئلة تجرى مجرى الاصول والامهات فى الاعتقاد
الوارد على لسان الرسول فى السمعيات اما المقدمة فهو ان تعلم
ان جملة التوحيد واجبة على كل عاقل مكلف وهى ثلاث جمل لا
يستغنى بعضها عن بعض وهى شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وان ما جاء به حق من عند الله فهذه الثلاث جمل
لا يسع جهلها كل عاقل مكلف عند اول بلوغه ولا يخرج من
الشرك ما لم يات بها نطقا باللسان واعتقادا بالجنان لقول الله
تعالى امنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا ولقوله عليه
السلام لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع شهادة ان لا اله الا الله

واني رسول الله وانه بعثني بالحق والبعث بعد الموت والقدر فاذا اتى العبد بهذه الجملة فقد تم ايمانه فيما بينه وبين الناس واختلفوا فيما بينه وبين الله فقال بعض العلماء قد تم ايمانه فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس روى هذا عن الامام عبد الرحمن بن رستم وعمروس بن فتح وغيرهما هذا هو الاشهر من دعوة الرسول عليه السلام اجلاف العرب والاوفق لما عليه اوائل الامة قبل وقوع الافتراق فلما وقعت الفرقة وتوزعت الامة شرعت ائمة المذاهب عقائد لاتباعها فيها زيادة تحتوى على بعض اعتقاداتها فرأى مشايخ المسلمين حين تمسكوا بآثار السلف الصالحين واعتصموا بحبل الله المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله وما جاء به حق ليس له طائل ومحصول ان لم يحقق بتصديق القلب بما تضمنته الجملة من الوظائف والاصول فجمعوا في ذلك بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازهما تتضمنان اثبات ذات الاله سبحانه واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول بما جاء به فقالوا لا يتم ايمان المكلف حتى يأتي بعشر كلمات وانا ان شاء الله اضيف اليها بعض ما ورد به الشرع من السمعيات فلنرسم ها هنا عشرين مسئلة تجرى مجرى الامهات في اصول الاعتقادات احدها العلم بان ورود الموت حق على كل مخلوق من سكان الارض والسموات وما بينهما من جميع الحيوانات وان كل نفس ذائقة الموت وسالكة سبيل الفوت وفي الخبر ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك

الحياة انا احيي الاموات فاوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخر تما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي سواى واختلفوا فى كيفية قبض الروح فقال بعض العلماء ان ملك الموت للروح بمنزلة حجر المغنيطس فى جذبه للحديد وانه اذا ظهر الملك للروح طار اليه وقال قوم الله تعالى يخرج الروح فيتلقاها الملك والصحيح ان الله سبحانه هو الذى يحيي ويميت وهو اعلم بكيفية ذلك والثانية العلم بان قيام الساعة حق وانها آتية لا ريب فيها وهى مما استأثر الله بعلمه لم يطلع عليها احد من خلقه كما قال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرسها قل انما علمها عند ربي الآية يعنى الساعة التى تقوم فيها القيامة وفى الحديث بين النفختين اربعون سنة او ما شاء الله فالاولى يميت الله تعالى فيها كل حى والثانية يحيي الله تعالى فيها كل ميت والثالثة اعتقاد كون البعث بعد الموت يوم الحشر والنشر وقد ورد بها الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه فى العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء قال الله سبحانه كما بدأنا اول خلق نعيده وذلك مقدور الله تعالى كابتداء الاشياء قال الله تعالى من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة فدلنا بالابتداء على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان وهو ممكن كالاول فيحشر اجساد المكلفين مع ارواحها خلافا للملحدين من اليهود والنصارى والفلاسفة الزاعمين ان الارواح تحشر دون اجسادها وبالله التوفيق والرابعة سؤال الملكين وهما منكر ونكير وقد وردت

بهما الاخبار وذلك ممكن في العقل اذ ليس يستدعى الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذى به يفهم الخطاب ولا يدفع ذلك بما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال فان النائم ساكن بظاهره ويدرك في باطنه الآلام واللذات ما يحس تاثيره عند انتباهه من النوم وكان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاءه الله تعالى فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه والله اعلم والخامسة عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الى قوله اشد العذاب وقد اشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالحين الاستعاذة بالله من عذاب القبر فالتصديق به ممكن ولا يمنع منه تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطير فان المدرك لألم العذاب اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها والله اعلم * (المسئلة السادسة) * الميزان قال الله سبحانه فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه فقال اصحابنا ومن وافقهم ميزان الاعمال تمييزها وتفصيلها ووزن النيات المعتقدة لها دليله والوزن يومئذ الحق فيثقل الحق يوم القيامة لصاحبه فينجو به كما ثقل على نفسه في الدنيا فتحمله فيخف الباطل عند الوزن لصاحبه فيهلك به كما خف على نفسه في الدنيا فارتكبه ولان الاعمال اعراض لا تظهر للعيان فتوزن بالميزان وانما وزنها تمييزها وتفصيلها والمجازات بها هذا هو المعروف

في لغة العرب يقول الرجل لصاحبه زن كلامك وامورك كما
قال القائل *
وَزِنِ الكَلَامَ اذا نَطَقْتَ وَاِنَّمَا * يبدى عُيُوبَ ذَوِى العُقُولِ المَنْطِقُ
وقال ابو بلال رحمه الله
انى وزنت الذى يبقى بعاجلة * نفسى وشيئًا فلا والله ما اتزنا
فى امثال هذا كثير هذا قول اصحابنا و قال مخالفهم انه ميزان
على الحقيقة ذو كفتين ولسان عظمه مثل طباق السموات
والارض توزن فيه الاعمال تطرح فيه صحائف الحسنات
فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها
عند الله تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف السيئات فى كفة
الظلمة فيخف بها الميزان واستدلوا بالاية المتقدمة واخواتها
فقالوا ان الله تعالى يحدث فى صحائف الاعمال وزنا بحسب درجاتها
عند الله فتصير مقادير الاعمال معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل
فى العقاب والفضل فى العفو وتضعيف الاعمال والله اعلم *
السابعة الصراط وقد ورد به القرآن فقال اصحابنا الصراط
هو طريق الاسلام ودليله انك لتهدى الى صراط مستقيم
وقوله اهدنا الصراط المستقيم فى امثالها واستدلوا بقول
الشاعر وقيل هو جرير *
امير المومنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم
وقال آخر * *
اكر على الحرور بين مهرى * لاحملهم على وضح الصراط
ه‍ ذا رجل يقاتل ابا بلال رحمه الله فاوخذ فاوتى به ابى بلال
مرداس فاعتذر انه لم يخرج لقتاله فاطلقه ثم عاد فاوتى

به فقتله فقد كان اعتذر فقال ابو بلال لمرداس المؤمن لا
يلسع من حجر افعا مرتين فقال مخالفونا الصراط هو جسر
ممدود على متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف
تزل عليه اقدام الكافرين فيهوى بهم الى النار وتثبت عليه
اقدام المسلمين فيعبرون عليه على تفاوت درجاتهم منهم
من يمر كالريح وكالبرق وكالفرس الجواد وكالمسرع وغير
ذلك والذى عندى والله اعلم ان الصراط المذكور فى القرآن
على وجهين احدهما طريق الاسلام كما قدمنا والثانى انه
الجسر الموضوع على متن جهنم المرتب عليه القناطر السبع التى
هى مراصد ومحابس للعباد حتى يسئلوا عن السبع السؤالات
المشهورة هذا مشهور فى كتب اصحابنا ويدل على هذا قول الله
تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون اذ
يستحيل حمل الصراط المذكور هاهنا على طريق الاسلام والله
اعلم فهذا ممكن فى العقل لانه ليس فيه ما يحيله ولا فى الشرع
ما يبطله فان القادر على ان يطير الطير فى الهواء قادر على ان يسير
الانسان على الصراط والله اعلم بكيفيته الثامنة الحساب
والايمان به واجب قال الله سبحانه وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وحساب الله تعالى
يومئذ فصل وتمييز لا يشغله حساب احد عن احد كما لا
يشغله رزق احد عن احد وقيل لعلى كيف يحاسب الله العباد
على كثرة عددهم فقال كما يرزقهم على كثرة عددهم ويتفاوت
الخلق فى الحساب من مناقش فيه الى مسامح والى من يدخل
الجنة بغير حساب وهم المقربون ويسئل الله تعالى من شاء

من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن
تكذيب المرسلين ويسئل اهل البدع عما احدثوا من بدعهم
وعما تركوا من سنة نبيهم عليه السلام ويسئل المسلمين عن
الاعمال كما قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين الآية وقال
تعالى والله سريع الحساب عن الحسن قال اسرع من لمح البصر
وفى الخبر ان الله تعالى يحاسب فى قدر حلب شاة ومعنى
الحساب تعريف الله تعالى عباده مقادير الجزاء على اعمالهم
وتذكيره اياهم ما قد نسوه كما قال يوم يبعثهم الله الى قوله
احصاه الله ونسوه التاسعة الشفاعة وهي حق فمن كذب
بها فقد كذب القرآن وهي المقام المحمود قال الله لنبيه عليه
السلام عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يحمده فيه الاولون
والآخرون يحمده الاولون بما فتح لهم من الشفاعة وكانت مخزونة
لا يصل اليها احد حتى يفتحها النبي عليه السلام ويحمده الاخرون
حيث نجاهم الله من هول المقام والشفاعة انما هي للمسلمين
الذين ماتوا على الطاعة لان الله سبحانه يقول لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني بالعمل الصالح فى امثالها
وقال تعالى مخبرا عن اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم فى امثالها وكان جابر بن زيد رحمه الله يحلف ما لاهل
الكبائر من شفاعة وكان يقول والله ما شفاعة الملائكة
والنبيين والمؤمنين الا للتائبين وكان يقول ما نالت دعوة
مؤمن منافقا قط والشفاعة ليست لمن استوجب العقاب
فيصير بها الى الثواب ولكن الشفاعة للمؤمنين زيادة لهم فى
الثواب وتشريف فى المنازل وبالله التوفيق العاشرة

الحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم قد استفاض الحديث به كقوله عليه السلام وليذادن رجال من امتي على حوضي الحديث في امثالها وقد فسر ذلك في قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر في بعض الاقوال ان الكوثر نهر في الجنة يصب منه ميزابان في حوض النبي عليه السلام يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة فلا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلا من العسل حوله اباريق عدد نجوم السماء والله اعلم الحادية عشر الجنة والنار وهما مما يجب اعتقاد كونهما على كل مكلف واختلفوا هل هما مخلوقتان ام لا فقالت طائفة هما مخلوقتان واستدلوا بقوله تعالى في الجنة اعدت للمتقين وفي النار اعدت للكافرين قالوا والمعد لا يكون الا حاضرا مع ما ورد في ذلك من الاحاديث وقالوا يجب اجراء جميع ذلك على الظاهر اذ لا استحالة فيه وقال آخرون ليستا مخلوقتين اذ لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء والقول الاول عندي اقرب الى الصواب وقد قال تعالى حكاية عن نبيه عليه السلام ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى يعني محمدا رأى جبريل عليه السلام وقد وجدت في بعض آثار اصحابنا من اهل المشرق انه روى عن الحسن او غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة مخلوقة وهي في السماء والنار مخلوقة وهي في الارض والله اعلم وجواب بعض اصحابنا في ذلك ان كانتا كانتا وان لم تكونا فستكونا والجنة حق مع ما فيها من المأكول والمشروب والمنكوح والملبوس وسائر الملاذ المحسوسة [illegible]

وسعادة وغير ذلك قد سبق به قضاء الله سبحانه وقدره
في ازليته قبل وجود عينه فظهر جميع ذلك بحكمة الله سبحانه
على وفق تقديره كل شئ من ذلك في وقته من غير زيادة ولا
نقصان ولا تاخير لشئ منه عند وقته ولا تقديم ولا تبديل
في المقدور ولا تحويل في المحتوم فكل ما ظهر وجوده بعد عدمه
من اصناف الخلائق في ملك الله تعالى فقد سبق به قضاؤه
وقدره فالارزاق مقسومة والآثار محتومة والانفاس
معدودة والاجال محدودة لا يستاخر شئ عن اجله
ولا يسبقه ولا يموت احد دون ان يستكمل رزقه ولا
يتعدى ما قدر له كل ميسر لما خلق له من خلق للنعيم يسر
لليسرى ومن خلق للجحيم يسر للعسرى كل ذلك بقضائه
وقدره لا يخرج شئ عن تقديره ولا تتحرك ذرة فما فوقها
في ظلمات الارض الا بقضاء وقدر فعلى المكلف ان يؤمن
بهذا ويتيقن به ويعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما
اخطاه لم يكن ليصيبه كما صح في النقل عنه عليه السلام
انه قال لعبادة بن الصامت انك لن تجد ولن تبلغ حقيقة
الايمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره انه من الله فقال
يا رسول الله كيف لي ان اومن بالقدر خيره وشره قال ان تعلم
ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطيك
فان مت على غير ذلك دخلت النار وبالله التوفيق السادسة عشر
في معنى التوحيد والشرك وذلك مما يجب على العبد معرفته ايضا
لانهم قالوا لا يعرف الاشياء من لا يعرف حقائقها اما التوحيد
فمعناه افراد الرب سبحانه عن الخلق وجميع معانيهم وترك التسوية

بينه وبين العباد في جميع افعالهم وصفاتهم فحقيقة المعرفة به سبحانه ان تعلم ان الاشياء لا تشبهه ولا يشبهها من جميع الجهات في اسم ولا صفة ولا ذات ولا فعل لانه لو اشبه شيئا من الاشياء ولو في اقل قليل لدخل عليه العجز من تلك الصفة فلهذا وجب على المكلف ان يعرف حقيقة الوحدانية لله تعالى ويصفه بما يليق به من الصفات وينفي عنه شبه الاشياء من جميع الجهات واما الشرك فمعناه التساوي في الاذوات او الصفات ومعناه في الله تعالى التسوية بينه وبين خلقه في الذوات او الصفات والافعال قال الله سبحانه اذ نسويكم برب العالمين الآية اي في العبادة والتعظيم واثبات الالوهية والشرك اذا على وجهين بجحود ومساوات ويتصرف على وجوه تركت ذكرها مخافة التطويل لان اكثر هذا الباب موجود في كتابنا المسمى قواعد الاسلام وفي غيره وبالله التوفيق السابعة عشر فرزما بين كبائر الشرك وكبائر النفاق وقد شدد اصحابنا فيمن لم يفرق بينهما ان يبلغه ذلك الى الشرك والفرق بينهما الكاذب على الله منافق والمكذب لله مشرك فالكاذب على الله مثل اهل الخلاف الذين كذبوا على الله فتاولوا كتابه على غير تاويله في جميع ما كفرهم به المسلمون مثل ادعائهم الرؤية لله سبحانه في الآخرة بتاويل الخطاء وكنفيهم خلق القرآن ونفيهم تخليد اهل الكبائر من هذه الامة في النار بتاويل الخطاء وغير ذلك مما يطول به الكتاب واما المكذب لله تعالى فهو مثل اهل الالحاد الذين انكروا الله سبحانه وكذلك كل من انكر وجها من وجوه التوحيد الذي لا يسع جهله او حرفا من القرآن او فرضا منصوصا فيه او حلل حراما منصوصا

تحريمه في القرآن او حرم حلالا منصوصا فيه مما يطول شرح تلك
المعاني فهو مشرك وبالله التوفيق الثامنة عشر ومما يجب على
المكلف ان يعلم ان الله امر بطاعته واوجب عليها ثوابا ونهى
عن معصيته واوجب عليها عقابا ويعلم الاسلام والمسلمين
والكفر والكافرين ويعلم تحريم دماء المسلمين واموالهم وسبى
ذراريهم بالتوحيد الذى معهم ويعلم تحليل دماء ما ذكرنا من
المشركين بالشرك الذى معهم ويعلم ان الله تعالى ممتن على العباد
بتكليفه اياهم طاعته وممتن بسائر نعمه عليهم ويعلم ان المخلوقات
دلائل على الله سبحانه ويخاف من عقاب الله تعالى ويطمع في
ثوابه وبالله التوفيق التاسعة عشر الولاية والبراءة في الجملة
وهما سواء لا عذر لمن جهلهما وهما واجبتان على كل مكلف عند
حال بلوغه وذلك ان يتولى الله سبحانه واولياءه المسلمين
من الثقلين اجمعين من الاولين والآخرين الى يوم الدين ويتبرا
من جميع اعداء الله من الاولين والآخرين الى يوم الدين فهذا
واجب على كل مكلف في جملة اعتقاده للدين حتى يقع عليه
الفرض في شخص معين اذا صح له فيه ما يوجب ولايته او براءته
لان الحكم النقلي يشهد ان الامور ثلاثة امر بان رشده فاتبعوه
وامر بان غيه فاجتنبوه وامر اشكل عليكم فكلوه الى الله تعالى
وبالله التوفيق العشرون في معرفة الملل واحكامها وذلك واجب
على كل مكلف في اول حال بلوغه وشدد اصحابنا فيمن جهل ذلك
ان يبلغه الى الشرك وشرح هذه الملل واحكامها موجود في كتابنا
المسمى ... عد الاسلام وفي غيره من كتب اصحابنا فمن اراد
معرفته فليطلبها هناك فانه لا يسعني لاعادة شرحها هاهنا

وبالله التوفيق * (فصل) * اعلم ان التوحيد لا يبقى
في الشرع مطلقا ولكن لابد له ان يتقيد بسبع تقييدات
منها ان يكون صادرا من المكلف عن علم محقق لا عن جهل
ومنها ان يكون عن يقين لا عن شك ومنها ان يكون عن اخلاص
لا عن شرك ومنها ان يكون مقرونا معه العمل والا بطل ولختل
ومنها ان يصدر عن القلب واللسان جميعا ومنها ان يتكلم به
ابتغاء وجه الله تعالى من غير طمع في الدنيا ولا خوف من
اهلها ومنها ان يستصحب حاله ويثبت عليه حتى يموت
لا مبدلا ولا مغيرا وبالله التوفيق وكل هذه التقييدات
ورد بها الحديث تركتها مخافة التطويل والله اعلم * (مسئلة) :
من كتاب الضياء وقيل جعل دين الله تعالى في هذه الاشياء
الخمسة اولها المعرفة بالله تعالى والتوحيد له مع اداء فرائض
الله في اوقاتها بكمالها واجتناب الكبائر وولاية اهل الطاعة
من المكلفين جميعا وفرادى بالقلب من لدن آدم الى ان يفنى
الخلق هذه الجملة دين المسلمين من الاولين والآخرين وهذه
الخصال الخمس فرض على الخلق من ترك خصلة منها فقد كفر
قال وينبغي للعبد ان يتوب ويرجع الى ما خرج منه ان كان
وقع شك منه في التوحيد او رياء في فريضة او تهاون بركوب
كبيرة ويقول آمنت انه لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله وان ما جاء به حق من عند الله وان من
عصى الله ورسوله حيا كان او ميتا فمات ولم يتب فان الله
تعالى سيدخله النار خالدا فيها وآمنت بملائكة الله ورسله
وكتبه واليوم الآخر والجنة والنار بدوامهما لمن دخلهما وان

هذا الثواب والعقاب بعد الموت والبعث وانه ليس للانسان
عمالك الا ما سعى ان كان خيرا فخير دائم وان كان شرا فشر دائم
لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد ووطنت نفسي على
اداء كل فريضة فرضها الله علي او سيفرضها وعلى اجتناب
كل ما حرمه علي وعلى الكف عن التقدم الى شيء حرمه علي مما
هو مشتبه عندي بما يسع الاشتباه فيه وعلى ان لا اطيع
مخلوقا في شيء من معاصيه ابدا وعلى ان لا اجحد كل ذي حق
حقه ولا اقر لاحد بباطل ولا اتولى عدو الله ولا اعادي
ولي الله وان كان مني يوما او ليلة او ساعة من ليل او نهار
تقصير في شيء من هذه الوظائف فاني تائب من ذلك
مستغفر لله منه موطن النفس على ان لا اعود الى شيء من
هذا ابدا وبالله التوفيق *

(الباب الخامس في شرح بعض اسماء الشريعة)

من ذلك التوحيد ومعناه اثبات الواحد جل جلاله ونفي
ما سواه من اله او شريك او ولي او طاغوت فكل ما يعبد سوى
الله يجب نفيه والكفر به والتبري منه وقد بين الرسول
عليه السلام التوحيد وفسره بقوله من وحد الله وكفر بما
يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله وبقوله
بني الاسلام على خمس على ان يوحد الله تعالى الحديث وبقوله
في التلبية لبيك لا شريك لك فالمعنى بالتوحيد اثبات الواحد
ونفي ما سواه وهو معنى لا اله الا الله الواحد الحق وان ما
دونه هو الباطل نبه الله تعالى على ذلك في كتابه فقال ذلك
بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه هو الباطل وقال

فذلكم

فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ووجدت
فى الاثر عن ابى المؤثر انه قال من عرف ان الله عزوجل واحد
ليس كمثله شئ فقد عرفه تبارك وتعالى قال فهذا اقل ما
يكون به الانسان موحدا والصحيح انه لا يثبت التوحيد
لاحد الا بالاتيان بثلاث كلمات وهن الايمان بالله
انه رب وبمحمد انه رسول وان ما جاء به حق من عند الله
فمن اتى بهذا فهو موحد مالم يخطر بباله انه تعالى جسم
او ليس بجسم او محدود او غير محدود او يرى بالابصار
او يدرك بالحواس او غير ذلك فاذا خطر له هذا واشباهه
فقد وقع فى البلية فعليه ان يعلم ان الله ليس بجسم ولا
يشبه الاجسام ولا شيئا من الخلق وانه ليس بمحدود وانه
لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فان شك فى شئ من
هذا او وصفه تعالى بغير صفته فهو هالك كافر مسئلة
والتوحيد لا يكون العدول فيه حجة دون العقل وهم
حجة مع العقل ولا يجوز التقليد فى جميع الديانات باتفاق
الامة وهذا فى جميع ما يكون الحق فيه فى واحد ومع واحد وضاق
على الناس خلافه لان الله سبحانه اذا تعبد بشئ من ذلك
نصب عليه الدليل وقد نهى عزوجل عن التقليد فى ذلك
وذم من قلد فيه كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة فى
امثالها من القرآن واما الذى يجوز فيه التقليد للعالم الامين
فهو كل ما يسع جهله مما تعبد الله به عباده مالم ينص عليه
فى كتابه نصا ظاهرا يدل على مراده فيه ولم ينصب عليه دليلا
من كتاب ولا سنة ولا اجماع من الامة ورد الحكم فيه الى

العلماء المستنبطين ليجتهدوا في استخراج الحكم بر نحو
اروش الجراحات ومتعة المطلقات اللاتي لم تفرض لهن
الصدقات اذا وقع الطلاق قبل الدخول بهن وغير ذلك
من مسائل الاحكام والنوازل فهذا مما يجوز التقليد فيه
من الدين وما كان مثله مما كان طريقه طريق السمع ويرجع
فيه الى قول اهل العلم لعدم الدليل على حكمه ولا يجوز التقليد
عند وجود دليل من الكتاب او السنة او اجماع من الامة
او حجة العقل لانه لا معنى للتقليد هناك لان حقيقة التقليد
هو قبول قول القائل بغير دليل ولا برهان وبالله التوفيق
* (فصل) * ويحكى والله اعلم ان رجلا خرج سائحا لله
تعالى حتى دخل بيت المقدس فوجد رجلا يصلي في المسجد
فلما فرغ قال له السلام عليك ورحمة الله وبركاته فرد
فقال السلام على اهل اليقين والتسليم والاسلام اجلس
فجلس فلما اطمأن قال له عبد انت ام حر قال بل حر فقال
من اعتقك فاطرق المسؤل مليا متفكرا في جوابه ثم
قال لا بل عبد فقال من استعبدك فقال المسؤل الله
استعبدني وهو معبودي والعبادة طاعة الله تعالى
فقال اخبرني عن الله الذي استعبدك اسم هو ام صفة
ام فعل ام معنى قال اسم لمن قال لله تعالى قال
فاي الهين تعبد الاسم ام المسمى فانقطع المسؤل وتحير
في جوابه فقال المصلي يا هذا انما يعبد الله من يعلم ما الله
فاما من لم يعرف الله فانما يعبد غير الله ومن عبد غير الله
فقد اشرك بالله ثم قال لا يدرك بعقد ضمير ولا احاطة

تفكير ويقال من عبد الله تعالى بتوهم القلب فهو مشرك
ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى
فقد اشرك ومن عبد الاسم دون الصفة لا بالادراك فقد
احال على غائب ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة فهو مؤمن
حقا وبالله التوفيق * (فصل) * في حقيقة التوحيد
واقسامه اختلف علماء السلف في حقيقة التوحيد
فحكي عن ذى النون المصرى انه سئل عن التوحيد فقال
ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء بلا مزاج وصنعه
لها بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه تعالى
ومهما تصور فى وهمك شئ فالله تعالى بخلافه وسئل
بعضهم عن التوحيد فقال افراد الموحد بتحقيق وحدانيته
بانه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الاضداد والانداد
بلا تكييف ولا تشبيه ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله
شئ وهو السميع البصير وقال بعضهم التوحيد تلاشى
الخلائق عند ظهور الحقائق وقال بعض العلماء اشرف
كلمة فى التوحيد ما قاله ابو بكر الصديق رضى الله عنه سبحان
من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
فقال ليس يريد الصديق رضى الله عنه انه لا يعرف قال
فالعارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لان
عند هؤلاء المعرفة ضرورية وهذا كما قال بعضهم ما عرف
الله بالحقيقة سوى الله سبحانه واما اقسام التوحيد
فذكر الغزالى فى ذلك ثلاثة اقسام قال ان الله تعالى اوحى
الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع

قال الهى وما العلم النافع قال ان تعرف جلالى وعظمتى
وكبريائى وكمال قدرتى على كل شئ فان هذا هو الذى يقربك
الىّ قال الغزالى فالتوحيد جوهر نفيس وله قشران احدهما
ابعد عن اللب من الآخر قال وخص الناس اسم التوحيد للقشر
الاول وبصنعة الحراسة للقشر الثانى اراد بذلك صنعة
الكلام واهملوا اللب بالكلية قال فالقشر الاول هو ان تقول
بلسانك لا اله الا الله فقال هذا يسمى توحيدا مناقضا
للتثليث الذى تصرح به النصارى اراد قولهم ان الله ثالث
ثلاثة قال ولكن هذا التوحيد قد يصدر من المنافق الذى
يخالف سره جهره وهذا هو الزنديق عندنا قال والقشر
الثانى هو ان لا يكون فى القلب انكار ولا مخالفة لمفهوم
قول القائل لا اله الا الله بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد
ذلك والتصديق به قال وهو توحيد عوام الخلق من المسلمين
والمتكلمين الذين هم حراس هذا القشر الذى هو توحيدهم
وتوحيد عامة الموحدين يحرسونه عن تشويش المبتدعة
اراد ينقضون عليهم بدعهم وخلافهم فى التوحيد بالكلام
الذى هو صنعتهم قال والثالث لباب الجوهر الذى هو
التوحيد قال وذلك لا يفهمه اكثر المتكلمين فان فهموه
لم يتصفوا به وهو ان يرى الانسان الامور كلها من الله
تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط والاسباب
فلا يرى الخير والشر الا من الله جل جلاله وان يعبده
عبادة يفرده بها ولا يعبد معه غيره وهذا مقام شريف
احدى ثمراته التوكل كما سياتى ان شاء الله ومن ثمراته

ايضا ترك الشكاية الى الخلق وترك الغضب عليهم والتسليم
لحكم الله جل جلاله فكان احدى ثمراته قول ابي الدرداء
لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا قال الطبيب امرضني
وقول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما مرض فقيل له ماذا
قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد
قال ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه
فقد اتخذ هواه معبوده اله قال الله تعالى ارايت من اتخذ الهه
هواه وقال عليه السلام ابغض اله عبد في الارض عند
الله تعالى هو الهوى قال وعلى التحقيق من تامل عرف ان
عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه اذ نفسه
مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى
المالوف احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى قال ويخرج عن
هذا التوحيد التسخط عن الخلق والالتفات اليهم فان من
يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فقد كان
التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين
فانظر الى ما حول وباي قشر قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما
في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى
الذي يستحق الحمد الحقيقي قال وذلك كافلاس من يصبح
بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وهو اول كذب يفاتح الله
تعالى به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله عز وجل
على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه ظاهر بدنه فما وجهه
الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة

ليست جهة للذى فطر السموات والارض حتى يكون
المتوجه اليها متوجها الى الله عز وجل تعالى عز وجل ان
تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب
وهو المطلوب المتعبد منه فكيف يصدق قول من
قلبه متردد فى اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتوجه
بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات
والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد
الحقيقى هو الذى لا يرى الا الواحد الخالق جل جلاله
ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وليس المراد به
القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب
اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب
فهو معدن التوحيد ومقره وبالله التوفيق واما الايمان
فاصله فى اللغة التصديق بالشئ يقال آمن فلان
بكذا اى صدق به وآمن بالوثن والسحر اى صدق بهما
قال الله سبحانه حكاية عن اولاد يعقوب عليه السلام
وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق ثم ان الشرع خصص
هذا الاسم وقصره على الذى يؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله وبما جاءت به الرسل عليهم السلام
فاشتهر هذا الاسم حتى اذا قيل مؤمن لا يعقل منه الا
المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءت
به فمن لم يؤمن بهذه الاشياء فلا يسمى مؤمنا فى الشرع
فالمؤمن اذا على وجهين لغوى وشرعى فاللغوى بمعنى

المقر والشرعي بمعنى الموفي بالدين ومصداق الاول
قول الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو
مؤمن وقوله وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا الآية وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا
الآية وقال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا
كفران لسعيه دخل في هذه الآيات البار والفاجر
ومصداق الثاني قول الله تعالى انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون
حقا وغيرهم المؤمنون باطلا وقوله قد افلح المؤمنون
الى قوله هم فيها خالدون وقوله انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم
الصادقون ومن السنة قوله عليه السلام لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين
يسرق وهو مؤمن وقوله ليس المؤمن من بات شبعانا
وجاره جائع وقوله المؤمن من امن الناس من لسانه
ويده في امثالها فاختلف الناس في هذا فقالت طائفة
يسمى صاحب الكبيرة مؤمنا بالايمان الذي صدر منه
وان لم يكن معه غيره وهم المرجئة وقال قوم يسمى مؤمنا
مقصرا والموفي يسمى مؤمنا كامل الايمان وهم الاشعرية
وقال قوم يسمى مؤمنا فاسقا وهم المعتزلة وقال
اصحابنا ومن وافقهم لا يجوزان يسمى مؤمنا الا الموفي
بالدين قولا وعملا واعتقادا واما المنافق المضيع يقال
له آمن ولا يقال له مؤمن قالوا لان المؤمن اسم البدن

وهو اسم مدح لا يسمى به الا الولى الموفى وآمن اى اقر جائز ان يقال للمضيع آمن اى اقر لان الله تعالى يقول آمنوا ثم كفروا الآية واحتج الاولون بقول الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية فسماهم مؤمنين وهم بغاة والاحتجاج فى هذا يطول ليس هذا الكتاب موضوعا لذلك وبالله التوفيق * (فصل) *
اعلم ان للايمان ثلاث مقامات احدها انطواء القلوب وضمير النفوس على اعتقاد التوحيد لغة وشرعا اما اللغة فقد قدمنا ذكرها واما الشرع فكقول الله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فى امثالها وسئل النبى عليه السلام عن الايمان فقال ان الايمان ها هنا واشار الى صدره وقال عليه السلام الايمان اثبت فى قلوب اهله من الجبال الرواسى على قرارها ومن طريق جابر بن زيد عنه عليه السلام انه قال الايمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن وعن ضمام رحمه الله ان النبى عليه السلام قال لعمار بن ياسر رحمه الله الايمان احلى من العسل لا يدخل قلب مؤمن ثم يخرج منه فى امثالها من الاحاديث وجميع ما حكى الله تعالى فى كتابه من ذم المنافقين الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم دليل على ان الايمان لا بد فيه من اعتقاد القلوب حين ذمهم اذ لم يعتقدوه فى قلوبهم المقامة الثانية الاقرار باللسان نطقا والاعراب عن الضمير وفقا وقبله صدقا وهذا دون الاول لان

الاول يجزى عن هذه العلل ولا يجزى هذا عن ذلك على
حال لغة ايضا وشرعا اما اللغة فلان نطق اللسان
واقراره عبارة عن التصديق الذى حصل فى القلب قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اى اقروا وقوله عليه السلام
ما آمن من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه
وقال الله تعالى قالوا آمنا بافواههم الآية وجميع ما
قدمنا من ذم الله تعالى المنافقين الذين امنوا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم دليل على ان الايمان فيهما جميعا باثبات
الله اياه فى الافواه وذمهم اذ لم يكتسبوه بالقلوب
قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم الآية والاتفاق
واقع على هذا وانما الكلام فى الاعمال على ما سياتى ان
شاء الله تعالى المقامة الثالثة من الايمان هو العمل
بالاركان وتحقيقه بالافعال شرعا وسمعا اما الشرع فقوله
الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى
بيت المقدس فى قول اهل التفسير ولاتفاق الجميع ان
الشرع طارى على اللغة وان الشرع قد ورد فى اشياء
نقل لسان العرب اليها فانتقل من ذلك اسم المنافق
كان فى اليربوع فانتقل الى من انسل من الاسلام من
حيث لم يدخل فيه والوضوء فى اللغة الوضاءة والنظافة
فى الجوارح فزاد الشرع المسح والصلاة الدعاء فزاد الشرع
الركوع والسجود والغائط فى اللغة المطمئن من الارض
فانتقل الاسم الى النجس الذى يوضع فيه فغلبت الشرعية

اللسان ولهذا قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى
صلاتكم كما قدمنا واما السنة فكقول النبى عليه السلام
الايمان مائة جزء اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق وقال عليه السلام الحياء
شعبة من الايمان وقال الصبر والسماحة من الايمان
والبذاذة من الايمان وقال حسن العهد من الايمان وقال
الصبر نصف الايمان والوضوء نصف الصبر فى امثالها وهذه
الاخبار عنه عليه السلام دالة على ان الاعمال من الايمان
لما قدمنا من احكام الشرع ونقله الاسماء عن مواضعها وبالله
التوفيق فان قال قائل فما الحكم فيمن انعرى من هذه
المقامات الثلاث قلنا قول الله تبارك وتعالى فيهم اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك
هم الغافلون لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون وان كان
فى قلبه وانعرا منه لسانه فهو من الذين قال الله فيهم من قوم
فرعون وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وان كان فى القلب واللسان
وانعرى منه العمل فهم من الذين قال الله عز وجل فيهم
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
الى قوله وليعلمن الكاذبين فهذا من الكاذبين والاوسط من
المفسدين والثالث من الخاسرين * (فصل) * فى درجات
الايمان اعلم ان الايمان فى اللغة التصديق كما قدمنا ولكنه
يتفاضل المؤمنون فى الايمان على قدر ترقيهم فيه وينحصر
ذلك فى خمس درجات احداها درجة الايمان وهو المعنى

الذى كلف الله تعالى عباده المؤمنين ثم رضيه منهم
وذلك قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله الآية وقال تعالى ومن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
وهذه اشارة الى قوله يا ايها الذين آمنوا وقوله آمنوا وعملوا
الصالحات فى امثالها وبهذا الايمان رضى الله عز وجل عن
خليله ابراهيم عليه السلام حين ساله فقال رب ارنى
كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبى وذلك حين اراد عليه السلام الترقى فى درجات
الايمان الى اعلاه ولم يقتصر فى الشرع على مبداه فطلب
مشاهدة احياء الموتى معاينة والذى رضى الله عز وجل به
اولا الظاهر من قوله بلى وهو الايمان الذى اشار اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بايمان العجائز
وايمان الاعرابى وهذا الايمان هو تصديق عامة المسلمين
واعتقادهم وذلك بمنزلة العقدة على القلب من غير كشف
ولا انشراح يشتد ويقوى تارة ويضعف ويسترخى
تارة كالعقدة على الخيط مثلا وهذا موجود فى اعتقاد
المؤمنين والعمل يؤثر فى نماء هذا الاعتقاد وزيادته
كما يؤثر سقى الماء فى نماء الاشجار علوا وفى رسوخ اصولها
سفلا ولذلك قال تعالى فزادهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم وقد روى فى بعض آثار اصحابنا قال معنى
هذه الزيادة انهم اقروا بجملة الدين ثم اوفوا بها عند التفسير
فزادهم الله ايمانا وتصديقا ويقينا فدل هذا على ان الايمان

يزداد بالطاعة وينقص بالمعاصي لان الايمان ماثة
خصلة اعلاها التوحيد وادناها اماطة الاذى عن الطريق
وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الايمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب
ولهذا قال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو لمعة بيضاء
في القلب فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض
القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك
الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه
فذلك الختم وتلى كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون
الثانية درجة الظن فاذا تحقق العبد الايمان ورسى في
قلبه انتقل الى درجة هي اقوى مما هو فيه وهي الظن الذى
مدح الله به المؤمنين حيث قال الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون وقال تعالى وظنوا ان لاملجأ من
الله الا اليه وهذا الظن درجة في الايمان اعلا من اوائله
ولذلك مدح الله تعالى به المؤمنين وذلك ان الظن في لغة
العرب على وجهين احدهما بمعنى الشك كقوله تعالى ان
نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين والثاني معنى يقرب
من اليقين وهو ما قدمناه اولا قال الشاعر *
فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج * سراتهم بالفارسي المسرد
ظنوا اى تيقنوا وهذا هو الظن الممدوح به المؤمنون
قال وذلك ان من سكنت نفسه الى وجود البارى سبحانه
ووقع في قلبه الايمان به انتفى عنه الجهل واعتوره الشك
والظن وهما طريقان احدهما يمنة والاخر يسرة فالشك

تردد وتوقف بين امرين لامزية لاحدهما على الآخر نحو
طريق الجهل والعلم فالظن ترجيح احد الجانبين فمهما ترجح
جانب الظن الى جانب العلم كان ظنا محمودا لانه جاوز
حد الجهل والشك الى الايمان فحقيقة الظن ميلان النفس
الى تحقيق ما اعتقده المؤمن وآمن به الثالثة درجة العلم
وذلك ان الظن يؤول الى العلم لان جل احكام الشريعة
انما بنيت على غلبيات الظنون فاذا قوي الظن صار علما
وهو ان يلوح المعنى الذي اعتقده القلب فتطمئن اليه
النفس وربما يعضده الدليل فيتضح به السبيل وهذا
العلم نور يقذف في قلب المؤمن فيتسع القلب به وينشرح
قال الله سبحانه ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس الآية وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام الآية فقيل ما هذا
الشرح فقال عليه السلام ان النور اذا قذف في القلب
انشرح له القلب وانفسح قيل فهل لذلك من علامة يعرف
بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله فالعلم درجة في القلب
اعلا من درجة الايمان ولذلك فرق الله تعالى بين
درجة الايمان ودرجة العلم فقال يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات فلحن الخطاب يرفع
الله الذين امنوا منكم درجة والذين اوتوا العلم درجات

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال للعلماء درجات فوق المؤمنين سبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان الآية فان ازداد العلم صار يقينا الرابعة درجة اليقين قال الله تعالى فى صفة المؤمنين وبالآخرة هم يوقنون قال ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقال تعالى وفى الارض آيات للموقنين وقال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين ومعنى اليقين ازاحة الشك وهو علم راسخ فى القلب زايلته الشكوك وفارقه الاضطراب واستحكم فى النفس حتى كاد ان يكون عن مشاهدة فلهذا قال نبينا عليه السلام من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال لابن عباس اعمل على الرضا واليقين والا ففى الصبر على ما تكره خير كثير وعنه عليه السلام انه قال لا ترضين احدا بسخط الله ولا تحمدن احدا على فضل الله ولا تذمن احدا على ما لم يؤتك الله فان رزق الله لا يسوقه اليك حرص حريص ولا ترده عنك كراهية كاره فان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط وقال بعض العلماء ان اقل اليقين اذا وصل الى القلب يملأ قلبه نورا وينفى عنه كل ريب ويملأ القلب شكرا ومن الله خوفا وقال بعض السلف التوحيد نور والشرك نار وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين فى مواضع دل به على ان

اليقين هو الرابط للخيرات والسعادات وانه اعظم ما
يعطى للعبد من الهبات وقال بعض العلماء اول المقامات
المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الاخلاص ثم المشاهدة
ثم الطاعة والايمان اسم لجميع هذا كله اشار هذا القائل
الى ان اول الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه وقال بعضهم
حرام على قلب ان يشم رائحة اليقين وفيه سكون الى غير
الله ويحكى عن ذى النون المصرى انه قال اليقين داع
يدعو الى قصر الامل وقصر الامل يدعو الى الزهد والزهد
يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب وقال
بعض العلماء ثلاث من اعلام اليقين النظر الى الله فى كل
شئ والرجوع الى الله فى كل امر والاستعانة به فى كل حال
واختلف فى معنى اليقين فقال بعضهم اليقين علم مستودع
فى القلب يشير هذا القائل الى انه غير مكتسب وقال
آخرون اليقين تحقيق الاسرار بحكم المغيبات وقال قوم
العلم المتعلم بمعارضة الشكوك واليقين لا شك فيه واشار
الى العلم الكسبى وقيل هو استقرار العلم الذى لا يتحول
ولا يتقلب ولا يتغير فى القلب وقال بعضهم اليقين هو
المكاشفة وقيل اليقين رؤية العيان بقوة الايمان والله
اعلم * (فصل) * ومن كتاب احمد بن بكر قال ومنازل
العباد الى الله تعالى على قدر تفاضلهم فى اليقين وسواء
فى ذلك الملائكة والنبيون والمرسلون على قدر يقينهم
فالملائكة اعظم يقينا من الانبياء والرسل وكذلك الانبياء
والرسل اعظم يقينا من غيرهم من المسلمين واصل اليقين

العلم والا بلاغ فيه ان الامور كلها من عند الله وقد يتفاضل
الناس فى الدوام عليه وقلة السهو على قدر تفاضلهم واليقين
يصيب المسلم وغير المسلم ولكن لا يستحق به الثواب الا المسلم
الموفق بدينه واما غير المسلم فلا يستحق به الثواب فى
الآخرة ويستجاب الدعاء باليقين للناس كلهم المؤمن
وغيره ولكن غير المؤمن لا يستجاب له الا دعاء الدنيا
خاصة ومن كثرة اليقين تكون البراهين والعلامات
ولكن ليس فى ذلك ما يستوثق به لامر الآخرة ولكن يزيد
بذلك الرغبة والاجتهاد وفى كتاب المحاسبى قال وقالت
طائفة من العلماء اليقين استقرار معرفة العارفين وقالت
طائفة اليقين هو التصديق وروى مثله عن النبى عليه
السلام قال واليقين يزيد بزيادة الايمان وينتقص بنقصانه
قال ويتزايد الناس فى اليقين بلزوم القلب المعرفة التى
يتولد منها اليقين وقد قيل يا رسول الله بلغنا ان عيسى
عليه السلام كان يمشى على الماء قال ولو ازداد يقينا
لمشى على الهواء واما الذى يضعف اليقين فالدخول فيما
لا يعنى واستعمال اعمال اهل الريب والشهرة فى الخلق
بالملبس والمذهب والحلية وذلك بان يدخل فى بعض
الاحوال مثل اللباس الشنيع ويشتهر ويشتغل قلبه فعلى
قدر شغل القلب به يضعف اليقين لعلة اشتغال القلب
واشارة الاصابع وكفى به شغلا وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان له خميصة يصلى فيها
فبعث بها الى ابى جهم فقيل له فى ذلك فقال الهتنى

اعلامها

اعلامها في الصلاة فمثل ذلك وشبهه يضعف اليقين
وقد روى عنه عليه السلام انه قال اخوف ما اخاف
على امتي ضعف اليقين والله اعلم *(فصل)* في
تحقيق معنى اليقين ومن كتاب الغزالي قال فاعلم ان اليقين
لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين قال اما
النظار والمتكلمون فيعنون به عدم الشك اذ ميل النفس
الى التصديق بالشئ له اربع مقامات الاولى ان يعتدل
التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت
عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه ام لا وهو مجهول
الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا
نفي بل يستوى عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا
الثانية ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان
نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت
عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على
هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب
اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح
ومع هذا فانت تجوز انتفاء امر موجب للعقاب في باطنه
وسريرته فهذا التجوز مسا ولذلك الميل ولكنه غير دافع
رجحانه قال فهذه الحالة تسمى ظنا الثالثة ان تميل
النفس الى التصديق بشئ لا بحيث يغلب عليها ولا يخطر
بالبال نقيضه ولو خطر بالبال لابت النفس عن قبوله
ولكن ليس ذلك مع معرفة محققه اذ لو اختبر صاحب هذا
المقام بالتامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز لاتسعت

نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها اذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لها امكان خطاء امامها لنفرت عنه الرابعة المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا شك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه سمى عند ذلك يقينا ومثاله اذا قيل للعاقل هل فى الوجود شئ قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شئ قديم ايضا ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد ولكن ذلك مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضرورى فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الاعتدال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدى الى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بشئ قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهى اما ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديما وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان

كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدى الى حدوث بغير سبب فثبت القسم الثالث اوالاول فكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا يشك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء فعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت فى نفى الشك الاصطلاح الثانى للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لاشك فيه ويقال فلان قوى اليقين فى اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشئ وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتحريض والمنع سمى ذلك يقينا ولاشك فى ان الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكانه غير مؤمن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالقوة والضعف فمن شان علماء الاخرة صرف

العناية الى تقوية اليقين من كلا الوجهين وهما نفي الشك
ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو
المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا ان اليقين
ينقسم انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفاء
والجلاء اما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك
في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة
والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت
بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما التفاوت بالخفاء
والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر عن
الاصطلاح الثاني وفيما انتفى عنه الشك ايضا لا سبيل الى
انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود
فلك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى عليه السلام ووجود
يوشع عليه السلام مع انه لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما
التواتر ولكن ترى احدهما اجلا واوضح في قلبك من الثاني لان
السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك
الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح
ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما
في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب
والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال
واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال
فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم
قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين
في بعضه فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته

وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فانى ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء عليهم السلام من اوله الى آخره هو من مجارى اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مجموعه ومتعلقات المعلومات التى وردت به الشرائع فلا مطمع فى احصائها ولكنى اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى كل واسطة مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن وان انتفى عن قلبه مع الايمان انكار الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازال عنه هيئة الغضب على الوسائط والرضا منهم والشكر لهم ويرى الوسائط فى قلبه عند حق المنعم بمنزلة القلم واليد فى توقيع الكتابة فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بامره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الازلية هى المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الظن فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله عز وجل الرزق فى قوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على

الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق
اليه فمهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم
يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا
اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن
ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب
والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة
الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم
والافاعى الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب
الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات
قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول
قد يوجد لعموم المؤمنين واما بالمعنى الثانى فيختص به
المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات
والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والاحتراز عن
السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتيسير
ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله عز وجل مطلع عليك فى كل
حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خاطرك وفكرك
وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم
الشك واما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز
يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان فى
خلوته متادبا فى جميع احواله كالجالس لمشهد ملك عظيم
ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا قائما متادبا متماسكا
متحرزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب فيها ويكون

فى فكرته الباطنة كهو فى اعماله الظاهرة اذ يتحقق
ان الله عز وجل مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره
فيكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين
الله الكالية اشد من مبالغته فى تزيين ظواهره لمباشر
البشر وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار
والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة
وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين
فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق
فى القلب كالاغصان المتفرقة منها وهذه الاعمال
والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة
من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجارى
وابواب اكثر مما عددناه وهذا الذى ذكرناه فى اليقين كاف
والله اعلم * (الدرجة الخامسة) * درجة المعرفة وذلك
اذا قوى يقين العبد ترقى الى درجة المعرفة واختلفوا فى
معناها فقال بعضهم المعرفة هى العلم فكل علم معرفة وكل
معرفة علم وكل عارف بالله عالم به تعالى وعند هؤلاء
القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه باسمائه
وصفاته ثم صدق الله فى معاملاته ثم ينتقى عن
اخلاقه الدنية وآفاته ثم طال بباب الخدمة وقوفه
ودام بالقلب اعتكافه فحظى من الله تعالى بجميل اقباله
وصدق الله فى جميع احواله وانقطع عنه هواجس نفسه
ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من
الخلق اجنبيا ومن صفات النفس بريئا ومن المساكنات

والملاحظات نفيا وحق في كل لحظة اليه رجوعه وصار من قبل الحق يتعرف اسراره فيما يجرى من تصاريف اقداره سمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وقال بعضهم من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان دعامة البيت اساسه ودعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع قيل وما العقل القامع قال الكف عن معاصى الله والحرص على طاعة الله ومعنى المعرفة بالله سبحانه ان تعرفه باياديه الكاملة وصفاته البالغة وقدرته التامة وافعاله الجارية في خلقه من اصناف النعم وضروب النقم فاذا عرفه العبد بهذه المعرفة لزمت قلبه الرهبة منه والرغبة اليه وامتلأ قلبه له عظمة وحياء وتتزايد المعرفة في قلب العارف بحسن التفكر والاعتبار في اتقان صنع الله الموجودات وحسن تدبيره في اصناف المخلوقات ومعرفة الله تعالى بحر لا يدرك له قعر ولا يحيط به بشر وانما يحوم الخلق على سواحله واطرافه بقدر ما تيسر لهم من حسن عون الله والطافه وما خاض اطراف بحر معرفته الا الانبياء والاولياء والراسخون من العلماء على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قواهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذه المعرفة اذا قويت في قلب العارف واستحكمت لاح له من ربه اللطف الخفي والصنع الحفي والنور الجلي واستولى على قلبه حب ربه واستانس بذكره في الخلوات ووثق باسعافه في المهمات

وغلب نور قلبه على نور بصره فابصر الدنيا خيالا والاخرة
مثالا وتعرف مع ذلك المريد من ربه فى المواطن وكان له
ومعه فى جميع الاماكن حتى كانه يناجيه عندهم ويناغيه
عند غيرهم وفى هذه الصفة الحديث الطويل الذى رواه
ابوهريرة واسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين ذكر اهل الانقطاع الى الله عز وجل فقال لباسهم
الخرق ومسكنهم الحلق تعرفهم بقاع الارض اذا حضروا
لم يعرفوا واذا غابوا لم يفقدوا الحديث قال الشاعر

قلوب العارفين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرون

وقال آخر
*

فلولا الله يحفظ عارفيه * لهام العارفون بكل واد

وفى المعرفة معنى الفطنة وعلم تقدمه جهل فلذلك لا يسوغ
على البارى سبحانه ان تقول عارف بل عالم فهذه الدرجات
الخمس التى ذكرناها رتب الانبياء والسابقين والصديقين
والمتقين والصالحين كل يجاهد على قدر قوته ويقرب من
الله تعالى على قدر معرفته نسئل الله تعالى ان لا يخيبنا
من رحمته التى وسعت كل شئ بمنه وكرمه وبالله التوفيق
(فصل) واما الاسلام فمعناه فى اللغة الخضوع
والانقياد قال الله سبحانه حكاية عن بلقيس صاحبة سليمان
عليه السلام واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال
وله اسلم من فى السموات والارض الآية وقال تعالى والقوا
الى الله يومئذ السلم يعنى الاستسلام وقال تعالى قالت
الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا

لامرك استسلاما لا اسلاما فكان الاسلام على هذا المعنى عبارة عن التسليم والاستسلام لله تعالى بالاذعان والانقياد وترك التمرد بالاباء والعناد وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الاية وقال عليه السلام بنى الاسلام على خمس الحديث وقوله عليه السلام فى حديث سعد او مسلم وذلك ان سعد بن ابى وقاص نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم الغنائم ويعطى الاقوام فنظر سعد الى رجل كان اوثق فى نفسه من هؤلاء الذين كان يعطيهم فقال يا رسول الله لم لا تعطى فلانا فلم يكترث به عليه السلام قال سعد فاخذنى ما قرب وما بعد ثم قمت ثانية فقلت يا رسول الله الا تعطى فلانا فانى لاراه مؤمنا فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثانية او الثالثة فقال او مسلما ثم قال يا سعد انى والله لاعطى هذا المال اقواما واكل آخرين الى ايمانهم قال عليه السلام المسلم من سلم الناس من يده ولسانه والمهاجر من هاجر السيئات ويروى انه سئل عن افضل الاعمال فقال الاسلام فقيل اى الاسلام افضل فقال عليه السلام الايمان واعلم ان الناس قد اختلفوا فى الايمان والاسلام هل هما شئ واحد او كل واحد منهما غير الآخر وان كان غيره فهل هو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به وملازم له قيل انهما شئ واحد وقيل هما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر فنقول ان هاهنا ثلاث مباحث احدها بحث عن موجب

اللفظين في اللغة والثاني بحث عن المراد بهما في اطلاق
الشرع والثالث بحث عن حكميهما في الدنيا والآخرة
فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي
شرعي البحث الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان
عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا
اي بمصدق والاسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد
وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما
التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل
تصديق بالقلب هو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك
الاعتراف في اللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح
فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان
عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم
وليس كل تسليم تصديق البحث الثاني عن اطلاق الشرع
والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف
والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل
التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله
عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث وسئل مرة عن
الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه
استسلمنا في الظاهر واراد بالايمان هاهنا تصديق القلب

فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح
وفي حديث سعد المتقدم الا نعطى فلا نا وانى لاراه مؤمنا
فقال عليه السلام اومسلما وقوله عليه السلام في حديث
جبريل عليه السلام المشهور حين جاءه في صورة اعرابي
فقال يا رسول الله ما الايمان فقال عليه السلام ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والحساب
والقدر خيره وشره انه من الله فقال صدقت فما الاسلام
فقال عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان والحج الى بيت الله الحرام
لمن استطاع اليه سبيلا والغسل من الجنابة قال صدقت
الحديث فذكر عليه السلام الخصال الخمس فعبر بالاسلام
عن تسليم الظاهر بالقول والعمل واما التداخل فما روى
عنه عليه السلام انه سئل فقيل له اى الاعمال افضل
فقال الاسلام فقيل له اى الاسلام افضل فقال صلى الله
عليه وسلم الايمان رواه الغزالى في كتابه فان صح فهو دليل
على التداخل فهذه الاحاديث دليل على الاختلاف والتداخل
وهو اوفق الاستعمالات في اللغة واما الدين فمعناه في
اللغة الطاعة ويتصرف فيها على وجوه يكون بمعنى الجزاء
كقوله تعالى ملك يوم الدين اى يوم الجزاء ويكون بمعنى
الحكم قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اى في حكمه
ويكون بمعنى الحساب ذلك الدين القيم اى الحساب المستقيم
ويأتى بمعنى العادة قل اتعلمون الله بدينكم اى بعادتكم والله اعلم
واعلم ان الدين اسم لطاعة الله سبحانه قال الله تعالى الا

لله الدين الخالص وقال تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله الى قوله القيمة اى دين
الحنفية السمحة السهلة فان قال قائل قد نص رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل عليه السلام ان الايمان
هو ما يتعلق بالقلب من الاعتقادات وبقوله عليه السلام
الا ان الايمان هاهنا واشار الى صدره وفيه ايضا فهلا
شققت عن قلبه للذى قتل الصارخ بالايمان وان الاسلام
هو ما يتعلق بالجوارح من العبادات ولم يذكر الدين وانت
تتوجب ان الايمان هو الاسلام وان الاسلام هو الايمان
وهما الدين فاعلم ان الايمان اصله التصديق كما ذكرنا وان
الاسلام اصله الاستسلام والخضوع وان الاسلام كله
من قبل التصديق ايمان وان الايمان من قبل الاستسلام
والخضوع اسلام والدين من قبل الايمان تصديق والايمان
من قبل الدين طاعة وان الاسلام من قبل الدين طاعة والدين
من قبل الاستسلام اسلام وكل خصلة من الايمان فهى
اسلام ودين وكل خصلة من الاسلام فهى ايمان ودين
وكل خصلة من الدين ايمان واسلام والى هذا القول ذهب
اصحابنا رحمهم الله وهو الصواب ان شاء الله اذ لا يسعك
ان تنفى الايمان عن الصلاة واخواتها فان اتسع لك فلا
يسعك ان تنفى الاسلام عن الايمان الذى هو الاعتقاد
فيكون الواحد مؤمنا غير مسلم ومسلما غير مؤمن قال الله
عز وجل وذلك دين القيمة وقال ان الدين عند الله الاسلام
وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الآية

البحث الثالث عن الحكم الشرعي في الاسلام والايمان
اعلم ان لهما حكمين احدهما حكم اخروي وحكم دنيوي
اما الاخروي فالتخليد في النار او الاخراج منها واختلفوا
على ماذا يترتب هذا الحكم فمن قائل ان الايمان اقرار باللسان
ومن قائل انه معرفة بالقلب دون اقرار باللسان ومن
قائل ان الايمان معرفة واقرار ومن قائل بمزيد ثالث وهو
العمل بالاركان فالاقوال الثلاثة هو اعتقاد المرجئة في
الايمان على الاختلاف المتقدم والقول الرابع قول سائر
الامة ان الايمان قول وعمل واعتقاد فمن جمع هذه الثلاثة
ومات عليها فلا خلاف ان مستقره الجنة فهذه درجة
الدرجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو المعرفة
والاقرار وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة ومات
مصرا عليها وقالت المرجئة هو مؤمن لا يعرض على النار
وقالت الاشعرية هو مؤمن عاص في مشيئة الله ان
شاء عذبه وان شاء رحمه وقالت المعتزلة خرج بهذا
عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق منزلته
بين المنزلتين وهو مخلد في النار وقالت الاباضية
ومن وافقها هو منافق كافر كفر نعمة لا كفر شرك وهو
مخلد في النار والاحتجاج في هذا يطول تركته طلبا
للاختصار فان قيل فما حجة المرجئة والمعتزلة قيل انهم
احتجوا بعمومات القرآن اما المرجئة فقالوا لا يدخل
النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا
يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله تعالى والذين آمنوا بالله

ورسله اولئك هم الصد يقون الآية وبقوله تعالى
كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله فكذبنا الآية
وقوله كلما القى عام قالوا فينبغى ان يكون المعنى كلما
القى فيها مكذب وبقوله تعالى لا يصلاها الا الا شقى
الذى كذب وتولى فها هنا حصران اثبات ونفى ولقوله
تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
آمنون والايمان راس الحسنات فى امثال هذه العمومات
ولا حجة فى هذا لهم فانه تعالى حيث ذكر الايمان فى هذه
الآية اراد بالايمان مع العمل على ما قدمنا قبل هذا
ودليل هذا التاويل آيات كثيرة وردت فى عقوبة العاصين
كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا وتخصيصه بالشرك تحكم بغير دليل
وقوله الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وقوله ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم فى النار فهذه العمومات فى معارضة
عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على
الجانبين تركته مخافة التطويل واما المعتزلة فاحتجوا بان
صاحب الكبيرة فاسق عدو الله وانه ليس بكافر ولا
مؤمن فاظنهم قالوا لان المؤمن اسم مدح قال الله
سبحانه بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال
تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال
تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان الآية فى
امثالها والحجة عليهم قول الله تعالى ان المنافقين هم
الفاسقون وقوله وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما

فاسقين وقوله الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر
ربه ولا يسوغ لاحد ان يجعل قوم نوح وابليس فساقا
ليسوا بكفار وقوله تعالى واتقوا النار التى اعدت
للكافرين وقوله من كان عدوا لله الى قوله فان الله عدو
للكافرين فلما كان صاحب الكبيرة عدوا لله علمنا انه كافر
والاحتجاج فى مثل هذا يطول وليس هذا الكتاب موضوعا
لذلك وبالله التوفيق واما الحكم الدنيوى فهو ان يشهد
بشهادة الحق بلسانه ولكنه لم يصدق بقلبه فلا شك
فى هذا انه فى الآخرة من المشركين مخلد فى النار وانه فى
حكم الدنيا موحد بظاهر حاله لان قلبه لا يطلع عليه
وعلينا ان نظن به انه ما قاله الا بلسانه الا وهو مصدق
به فى قلبه وانما نشك فى امر ثالث وهو الحكم الدنيوى
فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت له فى هذا
الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم
يستفتى فيقول انى كنت غير مصدق بالقلب حالة
الموت والميراث الآن فى يدى فهل يحل لى فيما بينى وبين
الله او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح
هذا فى محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة
بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال تناط
بالظاهر فى حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وهو
ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند
الله تعالى ان يقال انه لا تحل له الميراث ويلزمه اعادة
النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر

جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه فيما
بلغنا كان يراعي ذلك فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة
والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كانت من العبادات
والتوقي عن الحرام ايضا في جملة ما يجب لله تعالى كالصلاة
وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام
وهو الاستسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر
والباطن فهذا مبحث فقهي ومبني على ظاهر اللفظ
والعموم فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلوب
فيه القطع من حيث ورد في فن الكلام الذي يطلب
فيه القطع فما افلح من نظر الى ظاهر العلوم وبالله التوفيق
(فصل) في معنى الكفر والنفاق والشرك اما
الكفر فهو في اصل اللغة الستر والتغطية قال لبيد *
يعلو طريقة متنها متواترا * في ليلة كفر النجوم غمامها
واصل الكفر في مفهوم كلام العرب جحود المنعم نعمته
والكفر اذا على وجهين اوله كفر المنعم والثاني كفر النعمة
فاما كفران المنعم فالذي جهل ربه او تجاهل او استجهل
اما من جهل ربه فالذي لا يعرفه ولا يثبته كالدهرية
والثنوية وجميع الملل غير ملة الاسلام دليله واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن الآية فاما المتجاهل فالذي قصر عن
بعض ما لا تصح المعرفة الا به اثباتا او نفيا كمن لا يعرف
ما لا يسعه جهله من ذلك دليله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم الآية واما المستجهل فالمتعرض لاوصاف باريه
تعالى بما لا يليق به دليله وما قدروا الله حق قدره الآية

والثانى كفران النعمة بالفعل والمقال فهذا الكفر كفر من جهة اللغة ومن جهة الشريعة وقد اجمعت الامة على الكافر الاصلى وهو المشرك واختلفوا فى كفر النعمة فنفاه قوم وهم القدرية والمرجئة وسائر الاشعرية واثبته سائر الامة من الاباضية والصفرية والشيعة والكفر المعهود عند العرب كفران النعمة وورد فى الشرع مصداقه قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءاشكر ام اكفر وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الى قوله ومن كفر اى ترك الحج وقوله عليه السلام حين سئل عن الحج اواجب فى كل عام فغضب فقال والذى نفسى بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تفعلوا ولو لم تفعلوا اذا لكفرتم وقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال عليه السلام سباب المؤمن فسوق وقتله كفر وقال عليه السلام ان انتفى الرجل من ابيه كفر ومن ترك الصلاة كفر فى امثالها من الاحاديث فمن صادم هذه الآثار فليحاسب نفسه وليراقب ربه واما النفاق فاصله فى لغة العرب ماخوذ من نافقاء اليربوع وهو احد ابواب جحره يستعمله مستخفيا يخرج منه عند الضرورة اذا خاف فاخفاه عن العيون وهو اسم شرعى فسره اهل العلم فقالوا انه اختلاف السريرة والعلانية واختلاف القول والعمل والمدخل والمخرج وهذه المقالة تروى عن الحسن البصرى ومعناها عن حذيفة بن اليمانى رضى الله عنه وهو قول جل الصحابة رضى الله عنهم وقد

ذكر الله عز وجل المنافقين فى آى كثيرة من كتابه فاختلف الناس فيهم فقال قوم هم مشركون خالف قولهم اعتقادهم وقال آخرون بل خالف فعلهم قولهم والاصل فى هذا قول الله تعالى فما لكم فى المنافقين فئتين الآية وذلك ان اصحاب رسول الله عليه السلام اختلفوا فيمن خلفوا بمكة ممن آمن وصدق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم القوم على حقيقة ما انتم عليه وهم اخواننا وانما ثقل عليهم امر الهجرة والخروج من الوطن فهم مسلمون مؤمنون وقال آخرون بل هم مشركون لتخلفهم عن الهجرة ولقعودهم بين ظهرانى قوم مشركين فانزل الله عز وجل فيهم هذه الآية معاتبة للمؤمنين فى اختلافهم وردا على الفريقين فسماهم بخلاف ما سموهم به اذ سماهم البعض مؤمنين والبعض مشركين وقال تعالى فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا فاخبر انهم ليسوا بمشركين ولا بمؤمنين لكنهم منافقون واخبر انه اركسهم بما كسبوا ردا على من سماهم مؤمنين وسماهم تعالى منافقين ردا على من سماهم مشركين ثم قال عتابا للمؤمنين اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله الآية فوقع العتاب هاهنا على من سماهم مؤمنين ثم قال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فان مودتهم ان يترك المؤمنون الهجرة كما تركوها هم فيكفرون كما كفروا ثم قال ولا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فقد انقطعت الولاية بين المؤمنين والكفار حتى يهاجروا فى سبيل الله ثم قال فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم

الآية فصح انهم قبل التولى لم يصدر منهم فعل يكونون به منافقين الا ترك الهجرة فان وقع التولى وهو الارتداد كان لهم حكم آخر وهو القتل فمن اثبت النفاق فى الافعال المخالفة للاقوال فهو اقرب الى الحجة والمحجة ان شاء الله لانهم استدلوا بظاهر هذه الآية وقضوا بان النفاق فى الافعال واستدل من شركهم بقول الله تعالى ومنهم من عاهد الله الى قوله فاعقبهم نفاقا الآية قالوا فلما اخبر عن الوعد باللسان وعقب النفاق فى القلب علمنا انما سلبهم الايمان الذى يكون فى القلب عقوبة لهم ولن يستقيم الايمان والنفاق فى قلب واحد وقال الآخرون قد يصح ذلك ويقاوم ايمان القلب فان هذا النفاق دغل وغش فى قلوبهم الى المؤمنين والذين قضوا بان النفاق فى الضمير تعسفوا لانهم لا يصلون الى الاعتقادات الا بنصوص الشارع والذين قضوا بهذا قد ابعدوا عن انفسهم اسباب الشره لانهم هونوا قاعدة الخوف وسهلوا الطريق الى الجنة والذين قالوا انه فى الافعال عظموا اسباب المخاوف فهم احزم وهو الصحيح ان شاء الله ولا يستحيل تصرفه فى الوجهين جميعا والاحتجاج فى هذا يطول تركته طلبا للاختصار وقد استفاض الحديث بذكر النفاق فى الاقوال والافعال كقوله عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق حقا وان صلى وصام وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر وهو حديث صحيح عند الفريقين وقال عليه السلام اكثر منافقى هذه الامة قراؤها وفى

حديث حذيفة رضي الله عنه انه قال كان الرجل يتكلم
بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها
منافقا وانى لاسمعها من احدكم فى اليوم عشر مرات
وقيل له المنافقون اليوم اكثر اذكان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اليوم اكثر لانهم كانوا يخفونه
وهم اليوم يظهرونه وقال ايضا انما كان النفاق على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما اليوم فقد كفر واكفرا
مبينا وقيل للحسن يقولون لا نفاق اليوم فقال يا اخى لو
هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق وقال هو او غيره
فيما بلغنا لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ الارض
قال وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان
حاضرا اكنت تتكلم به قال لا قال ابن عمر كنا نعد هذا نفاقا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من كان ذا السانين ووجهين فى
الدنيا جعل الله له لسانين ووجهين فى النار وقال شر الناس
ذو الوجهين الذى ياتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وحكى
الغزالى فى كتابه ان ابن ابى مليكة قال ادركت ثلاثين ومائة
وفى رواية اخرى خمسين ومائة من اصحاب النبى عليه السلام
كلهم يخافون النفاق وفى كتابه قال قال رسوله عليه السلام
فى دعائه اللهم انى استغفرك لما علمت وما لم اعلم فقيل له اتخاف
يا رسول الله فقال وما يؤمننى والقلوب بين اصبعين من
اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء واراد بالاصابع القدرة
وفى حديث ابى سعيد الخدرى انه قال القلوب اربعة قلب

اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المدتين غلب حكم له بها قال الغزالى وفى لفظ آخر ذهب به ولما روى الغزالى فى كتابه هذه الاحاديث فى النفاق ولم يمكنه ردها اضطر فقال النفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار قال والثانى يفضى بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات عليين قال واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخرى لايخلو عنها الا الصديقون وقد روى عن جابر بن زيد وغيره فى النفاق وكفر النعمة احاديث وآثار كثيرة تركت ذكرها اذ لا يمكن الاستدلال على الخصم الا بما يقر به وبالله التوفيق وانما هربوا من ان يجعلوا فى الكبيرة كفرا ونفاقا جنوحا الى الراحة ومن قضى فى ذلك بالوعيد اذهب الطمع فى الابد والله اعلم واما الشرك فمعناه فى اللغة التساوى كما قدمنا قال الله تعالى اذ نسويكم برب العالمين وهو يتصرف على وجوه كثيرة منها ان يقيم غير البارى سبحانه فى مقام البارى تعالى فى العبادات والتسمية بالالوهية كاهل الاوثان ومنها ان ينكر وجود الله تعالى ومنها ان يجعل له شريكا فى خلقه مما لا يتوهم

للغة

للغير فيه شركة ولا صنع كمن نسب جسما من الاجسام
الى غير الله تعالى خلقا ومنها ان يصفه بما يخرجه من
معنى الالوهية وتكذيبه فى كلامه وتكذيب رسله
وجهله البعث والمعاد وغير ذلك مما لا يسع جهله
ومنها الشركة فى الافعال وذلك بان يتقرب العبد
الى غير الله عز وجل رياء وسمعة كما قال تعالى فمن
كان يرجو لقاء ربه الآية ومنها شرك الاكراه ولكن
لا يعاقب العبد عليه لانه قد ابيح له النطق به فى حالة
الاكراه بشرط طمانينة الايمان فى القلب ومنها الشرك
المركب فى قلوب العباد من الجزع والهلع وقلة الثقة
بموعود الله عز وجل وثقتهم بانفسهم وقواهم وحيلهم
حتى انهم ليثقون بكلابهم ولذلك قال ابن عباس لا تزالون
تشركون تقولون لولا كلابنا لسرقنا ومن هذا المعنى اخبر
الله تعالى عنهم فقال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
قيل كانوا يقولون لولا استواء الريح لهلكنا وبالجملة
ان الشرك يلحق العبد فى اقل الخطرات كما قال عليه السلام
الشرك اخفا فى امتى من دبيب ذرة سوداء على صخرة صماء
فى ليلة ظلماء فاذا كان الشرك اخفا من دبيب الذر فكيف
السبيل منه الى السلامة الا بعصمة الله تعالى وقد روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابى بكر الصديق
رضى الله عنه الا ادلك على كلمات اذا قلتها برئت من الشرك
قال بلى يا رسول الله قال عليه السلام قل اللهم انى اعوذ
بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم والله تعالى

نسئله التوفيق فى القول والعمل والعصمة من الخطاء والزلل فهو حسبنا ونعم الوكيل وقد رايت ان اثبت ها هنا دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ورسالته الى كافة الخلق واختم بها قنطرة التوحيد اذ كانت من جنسها وموضعها هو الاليق بها وبالله تعالى العون والتوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم كتبها للعلا بن الحضرمى هذا كتاب من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى نبى الله ورسوله الى خلقه كافة سيرة للعلا بن الحضرمى ومن معه من المسلمين عهدا عهده نبى الله اليهم ايها المسلمون اتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا للعلا ابن الحضرمى فانى استعملته عليكم وامرته بتقوى الله الذى لا اله الا هو وحده لا شريك له وان يلين لكم الجناح وان يحسن فيكم السيرة بالحق وان يحسن ولا ينكم ويشاوركم فى الامور كلها وان يحكم بينكم وبين من لقى من الناس بما انزل الله فى كتابه من العدل فاذا حكم وعدل واقسط واسترحم فرحم فاسمعوا له واطيعوا واحسنوا موازرته ومعونته فان لى عليكم من الله حقا عظيما وطاعة لا تقدرون على قدر ما يجب لى عليكم ولا تبلغ العقول كنه عظمة حق الله وحق رسوله وكما ان لله ورسوله على الناس عامة وعليكم خاصة حقا واجبا وطاعة ورضى ووقارا فمن

اعتصم

اعتصم بالطاعة وعظم حق اهلها ولزم امر الله تعالى وما
امرناه به من ولاية المسلمين فان له على المسلمين حقا واجبا
وطاعة واعلموا عباد الله ان في الطاعة دركا لكل خير يبتغى
ونجاة من كل شر يتقى وانا نشهد الله على من ولينا شيئا
من امر المسلمين قل او كثر ولم يعدل فلا طاعة له وهو خليع
مما وليناه وقد برئت للذين معه ايمانهم وعهودهم وذمتهم
فليستخيروا الله عند ذلك وليستعملوا عليهم من افضل
افاضلهم سيروا على بركة الله وعونه وتوفيقه ونصره
وعافيته ورشده فمن لقيتموه فادعوه الى كتاب الله المنزل
وسنته وسنة نبيه على ان يحلوا حلال ما احل الله لهم في
كتابه ويحرموا حرام ما حرم الله عليهم في كتابه وان يخلعوا
الانداد وان يبرءوا من الشرك والكفر والنفاق وان يتركوا
عبادة الطواغيت واللات والعزى وان يتركوا عبادة عيسى
ابن مريم وعزير بن حروة والملائكة والشمس والقمر والنيران
وكل شيء يتخذ ويعبد من دون الله وان يتولوا الله ورسوله
وان يتبرءوا مما برئ الله ورسوله منه فاذا فعلوا ذلك واقروا
به فقد دخلوا في الولاية فبينوا لهم بعد ذلك كتاب الله الذي
تدعونهم اليه المنزل مع روح الله الامين جبريل عليه السلام
على صفيه من العالمين محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه
ارسله رحمة للعالمين عامة الاسود منهم والابيض
والجن والانس كتاب الله فيه بيان كل شيء كان قبلكم وما
هو كائن بعدكم ليكون حاجزا بين الناس يحجز بعضكم عن
بعض ويحرم دماء بعضكم على بعض واموال بعضكم على بعض

وهو كتاب الله مهيمنا على الكتاب ومصدقا لما بين يديه
من التوراة والانجيل يخبركم فيه بما كان قبلكم مما فاتكم
دركه في اباءكم الاولين الذين اتتهم رسل الله واياته كيف
كان جوابهم وكيف تصديقهم بايات الله يخبركم بشانهم
واعمالهم واعمال من هلك منهم بعمله لتجتنبوا ان تعملوا
بمثله فيحق عليكم من عذاب الله وسخطه ونقمته مثل
الذي حق عليهم عند ذلك من شر اعمالهم وتهاونهم بامر
الله واعمال من نجا منهم لتعملوا مثل اعمالهم رحمة منه لكم
وشفقة من الله عليكم وهو هدى من الضلالة وبيان من
العمى واستقالة من العثرة ونجاة من الحيرة ونور من
الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد
من الغواية وبيان من اليقين وبلاغ من الدنيا الى
الآخرة وفيه كمال دينكم فاذا عرضتم عليهم كتاب الله
واقروا لكم به فقد استكملوا الولاية فاعرضوا عليهم
الاسلام والاسلام الصلوات الخمس وايتاء الزكاة
وحج البيت من استطاع اليه سبيلا وصيام شهر رمضان
والغسل من الجنابة والطهور عند الصلاة وبر الوالدين
المسلمين وصلة الرحم المسلمين فاذا فعلوا ذلك فقد اسلموا
وادعوهم الى الايمان وبينوا لهم شرائعه ومعالم الايمان
شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان ما جاء به حق وان ما سواه باطل والاقرار
بالملائكة والكتب والنبيين قبل محمد والرسل كلهم اجمعين
وان الله بعثهم والاقرار بهذا الكتاب مصدقا لما بين يديه

من الكتاب والايمان بالبعث والحساب والجنة والنار
والموت والحياة فاذا فعلوا ذلك فهم مؤمنون ودلوهم
على الاحسان ان يوفوا الله بالذى عهد الى رسله وعهدت
رسله به الى خلقه وسلامة صدورهم من كل غائلة
وشنئان للمسلمين والتصديق موعد الرب والوداع
من الدنيا فى كل ساعة والمحاسبة للنفس عند استئناف
كل يوم وليلة والتعاهد لما فرض الله عليهم واداه فى السر
والعلانية فاذا فعلوا ذلك فهم محسنون ثم بينوا لهم
الكبائر فان المهلكة فيها وهى الشرك بالله والله لا يغفر ان
يشرك به والسحر والساحر ماله فى الآخرة من خلاق وقطيعة
الرحم اولئك الذين لعنهم الله والفرار من الزحف وباؤا
بغضب من الله والغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة
ثم لا يقبل منه وقاتل النفس التى حرم الله جزاءه جهنم
والزانى يضاعف له العذاب وقاذف المحصنة لعن فى الدنيا
والآخرة واكلة الربا قد اذنهم الله ورسوله بحرب منه
فاذا انتهوا عن الكبائر فقد استكملوا التقوى فادعوهم
الى العبادة والعبادة الصيام والقيام والخشوع والركوع
والسجود واليقين والرجوع والانابة والاخبات والتحميد
والتهليل والتسبيح والتكبير والصدقة بعد الزكاة والتواضع
والسكينة والشكر والمواسات والدعاء والتضرع والاقرار
بالمملكة لله والاستقلال لما عمل من عمل صالح فاذا فعلوا
ذلك فقد استكملوا العبادة فاذنوهم عند ذلك بالجهاد
وبينوه لهم ورغبوهم فيما رغبهم الله فيه من فضل الجهاد

وفضل ثوابه عند الله فان انتدبوا فبايعوهم وادعوهم
حين تبايعونهم الى كتاب الله المنزل وسنة نبيه عليه
السلام عليكم عهد الله وذمته وميثاقه وسبع كفالات
لا تنكثون ايديهم من بيعة ولا تنقضون امر وال من
ولاة المسلمين فاذا اقروا لكم بذلك فبايعوهم واستغفروا
الله لهم فاذا خرجوا يقاتلون في سبيل الله غضبا لله
ونصرا لدينه فمن لقوا من الناس فليدعوه الى مثل الذي
يدعو اليه من كتاب الله واجابته وبيانه واسلامه
وايمانه واحسانه وتقواه وعبادته وهجرته فمن اتبعهم فهو
المستجيب المسلمين المؤمن المحسن المتقي العابد المهاجر له
ما لكم وعليه ما عليكم ومن ابى هذا عليكم فقاتلوه حتى يفيء
الى امر الله والفيء الى امر الله اما ان يسلم واما ان يعطي الجزية
عن يد وهم صاغرون من الذين اوتوا الكتاب وان لم يفيء
سفك دمه وغنم ماله وسبيت ذريته ومن اقر لكم
بالجزية واعطيتموه الذمة فاوفوا له بها ومن اسلم
واعطاكم الرضا فهو منكم ومن قاتلكم مجاهدا من بعد
ما بينتم له فقاتلوه ومن حاربكم فحاربوه ومن كايدكم فكايدوه
ومن جمع لكم فاجمعوا له ومن خادعكم فخادعوه من غير ان تعتدوا
ومن اغتالكم فاغتالوه من غير ان تعتدوا ومن ماكركم فماكروه
من غير ان تعتدوا سرا وعلانية فانه من انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل واعلموا ان الله معكم يراكم ويرى
اعمالكم ويعلم ما تصنعون فاتقوا الله وكونوا منه على حذر
وانما هذه امانة ائتمنني ربي عليها ابلغها عباده عذرا منه

اليهم وحجة يحتج بها على خلقه فمن بلغه هذا الكتاب من
الخلق اجمعين فعمل بما فيه نجا ومن اتبع ما فيه هدى ومن
خاصم بما فيه ظفر ومن قال بما فيه نصر ومن تركه ضل
حتى يراجعه فيعمل بما فيه فاسمعوه آذانكم واوعوه
قلوبكم فانه نور الابصار وربيع الافئدة وشفاء لما
فى الصدور وكفى به آمرا وزاجرا ومعتبرا وعظة وداعيا
ومحتجا وهو الخير من الله ورسوله الذى لا اشر فيه
كتاب من محمد بن عبد الله للعلا بن الحضرمى حين
بعثه الى البحرين يدعو الى الله ورسوله ويدعوا الى ما فيه
من حلال وينهى عن ما فيه من حرام ويدل على ما فيه من
رشد وينهى عن ما فيه من غى كتاب ايتمن عليه نبى
الله العلا بن الحضرمى فان اصابت العلا بن الحضرمى
مصيبة الموت فخالد بن الوليد سيف الله على المسلمين
فليسمعوا له وليطيعوا ما عرفوا انه على الحق حتى يخالف
الحق الى غيره وخالد بن الوليد خليفة وقد اعذر اليهما
فى الوصية بما فى هذا الكتاب الى من معهما من المسلمين
ولم يجعل لاحد منهم عذرا فى اضاعة شئ منه لا للوالى
ولا الجميع من صحبهما من المسلمين فمن بلغه هذا الكتاب
فلا حجة له ولا عذر ولا يعذر احد بجهل شئ مما فى هذا
الكتاب ويسعهم جهل ما سواه كتب هذا الكتاب
لثلاث بقين من شهر ذى القعدة لاربع سنين مضين
من ظهور نبى الله عليه السلام الا شهرين شهد هذا
الكتاب يوم كتب معاوية بن ابى سفيان وعثمان بن

عفان يمليه عليه ونبي الله عليه السلام جالس والنقباء
رجل من قريش ورجل من بني سليم ورجل من عفير ورجلان
من حمير ورجل من غسان ورجل من خزاعة ورجل من
جهينة واربعة من الانصار والمختار بن قلس العدى
وابو الدرداء السلمي وحذيفة بن اليماني العبسي وقصى
ابن ابي عمرة الحميرى والضحاك بن ربيعة الحميرى
وشبيب بن مرة الغسانى وميسر بن صعصعة الخزاعى
وعواد بن جناح الجهنى وسعد بن معاذ الانصارى
ونوفل بن طلحة الانصارى وسعد بن عبادة الانصارى
وزيد بن عمير الانصارى شهدوا هذا الكتاب حين
دفعه نبي الله الى العلا بن الحضرمى وخالد بن الوليد وايمنهما
عليه واوصاهما بما فيه وختمه نبي الله بخاتمه وجمعهما
ومن اراد الخروج معهما ثم امر عثمان فقرا عليهم جميع
ما في هذا الكتاب باعلا صوته والله على كل شئ وكيل
دعوة من نبيك ورسولك محمد يسئلك ان تنصر من عمل
بما فى هذا الكتاب نصرا عزيزا واعنه على ما استعانك
عليه وعافه ما ابقيته واغفر له اذا توفيته والسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين تمت قنطرة الايمان
والتوحيد بتمام سيرة الدعوة بحمد الله وحسن عونه
والصلاة على محمد نبيه تتلوها قنطرة الصلاة *

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيرا

* (القنطرة الثالثة) * قنطرة الصلاة ووظائفها

من الطهارات * الحمد لله الذى غمد العباد بلطائفه وغمر قلوب اوليائه منهم بانوار الدين ووظائفه وكلف خلقه المفترضات وجعل من افضلها الخمس الصلوات ورخص للعباد فى مناجاته ولم يقتصر على الرخصة فى عباداته بل تلطف بالترغيب والدعوه اهانة لضعفاء ملوك الخلق الذين لا يسمحون بالخلوه الا بعد تقديم الهدية والرشوه سبحانه من ذى رحمة وامتنان وفضل واحسان والصلاة على نبيه صاحب بيعة الرضوان الذى انزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان اما بعد فان الله سبحانه فرض على المكلفين بعد معرفته وتصديق المرسلين عبادات الابدان من الصلاة وصيام شهر رمضان وقدمها على ما يتعلق من الحقوق فى الاموال لان النفوس على الاموال اشح وبما يتعلق بالابدان اسمح فجعل الصلاة عصام معرفته وعماد خدمته وسيدة القربات وغرة الطاعات لانها مشتملة على خضوع له رهبة من سطوته ومتضمنة على تضرع وابتهال اليه رغبة فى فضل مثوبته بعد ان شرع لها شروطا لازمة من رفع الاحداث وازالة النجاسات ليستديم العبد النظافة للقاء ربه والطهارة لاداء فرضه فلما كانت الطهارة من شرائط الصلاه والنظافة من وظائفها الواجبات كان ينبغى لنا ان نقدم على الصلاة شرح الطهارات اذ كانت مقدمة عليها فى العبادات وبالله التوفيق *(مقدمة فى اسرار الطهارة)* قال الله

تعالى يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال الله
تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وروى عن
النبي عليه السلام انه قال الطهور شطر الايمان وقال
عليه السلام مفتاح الصلاة الطهور وقال تعالى ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فليتفطن
ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر
اذ يبعد ان يكون المراد بقوله عليه السلام الطهور شطر
الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء الطاهر
وتخريب الباطن بابقائه مملوءا بخبث الاخلاق والصفات
فيهات هيهات ما ابعد هذا المراد في الدين الذي بني على
الطهارة والنظافات وقد قال الله تعالى اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم الآية وقال تعالى انما المشركون
نجس تنبيها على ان النجاسة ليست مقصورة على
الظواهر لانه قد يكون المشرك مغسول الثياب نظيف ظاهر
البدن وقال تعالى وثيابك فطهر اى قلبك فنقّ في بعض
الاقوال وقال النبي عليه السلام فيما ورد عنه بني الدين
على النظافة وهو لعمري كذلك ظاهرا وباطنا فاذا الطهارة
لها اربع مراتب الاولى تطهير ظاهر البدن عن الاخباث
والفضولات والاحداث والثانية تطهير الجوارح من
الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة
والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله عز
وجل وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل
رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى من عمل

السر

السر ان ينكشف للعبد جلال الله تعالى وعظمته ولا
تعم معرفة الله سبحانه بالحقيقة فى سر الانسان
مالم يتخل منه ما سوى الله تعالى من العلائق والاشغال
ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون
لانهما لايجتمعان فى قلب وما جعل الله لرجل من قلبين فى
جوفه واما عمارة القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق
المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها مالم يتنظف
عن اضدادها من الرذائل المذمومة والعقائد الفاسدة
فتطهيره احد الشرطين وهو الشرط الاول الذى هو
شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى
وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى المحرمة هو احد
الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى ولن ينال
العبد الطبقة العالية الا بعد ان يجاوز الطبقة السافلة
فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته
بالمحمودة من لم يتفرغ عن طهارة القلب من مذموم
الاخلاق وعمارته بالمحمود منها ولن يصل الى ذلك من لم
يتفرغ من طهارة الجوارح من المناهى المحظورة وعمارتها
بالطاعات المشروعة فكلما عز المطلوب وشرف صعب
مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن هذا
الامر يدرك بالمنا وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته
عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة
الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشر الاخير بالاضافة
الى اللب المطلوب فصار يستوعب اوقاته فى الاستنجاء

وغسل الثياب وتنظيف ظاهر البدن وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة ان الطهارة المطلوبة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم في تطهير القلوب وتساهلهم في الامر الظاهر حتى انهم ما كانوا يغسلون ايديهم من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون ايديهم واصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات وفي طين الشوارع ويجلسون عليها ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم وبالله التوفيق واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها اربع مراتب كما قدمنا فاعلم انا لسنا نشرع في هذه القنطرة الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر دون نظافة القلب والسرائر فيحصل منها ثلاثة ابواب الاول في الطهارة عن الخبث والنجاسات والثاني في الطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالتقليم والاستحداد واستعمال النورة والختان والثالث الطهارة من الاحداث *(الباب الاول)* في طهارة الاخباث ويشتمل على ثلاثة فصول الفصل الاول يتعلق بالمزال وهو النجاسات الثاني يتعلق بالمزال به وهو الماء وسائر ذلك الثالث بالازالة وكيفيتها

الفصل الاول في المزال وهي النجاسات واعيان النجاسة في الجملة ثلاث مائعات وحيوانات واجزاء حيوانات اما المائعات فطاهرة كلها الا البول والخمر وكل نبيذ مسكر وكذلك القيء من الانسان والقلس والمني على اختلاف في اصله هل هو طاهر او نجس والمذي والودي والطهر من النساء واما الحيوانات فكلها طاهرة الا الكلب والخنزير والمشرك وقد اختلف فيهم ايضا وكذلك الهر والفار وذو ناب من السباع وذو مخلب من الطير والكلب المعلم في هذا كله اختلاف وتفصيل تركته مخافة التطويل وكذلك ما تولد من هذه الحيوانات من الرطوبات والمائعات مختلف فيه ما خلا البول والدم وما خلا الخنزير فانه متفق على نجاسته فيما اعلم والحيوانات كلها اذا ماتت فنجسة هي وما ماتت فيه ما خلا الآدمي المتولي والسمك والجراد ودود الاطعمة وما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء والعنكبوت والنمل واشباه ذلك ولا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه ما خلا الآدمي اذا مات فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع من الحيوان فحكمه حكم الميت ما خلا الشعر والصوف والوبر واختلف في شعر الخنزير وفي العظم هل هما منجوسان ام لا الثاني الرطوبات الخارجة من باطن الحيوان فكل ما ليس يتغير ولا له مقر في البدن فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط والبلغم ونحوه وما له مقر وهو يستحيل الى غير اصله فهو نجس الا ما كان غذاء الحيوان كاللبن فانه طاهر ما خلا لبن الخنزيرة والمشركة

وماكان تابعا للحمه فى التحليل والتحريم فمختلف فيه كلحمه واما غير اللبن فهو نجس كالمنى والمذى والودى وبيض الدجاج والقيح الذى غلب عليه الدم وروث الانسان وما لا يؤكل لحمه من ذى مخلب من الطير وذى ناب من السباع وروث الدجاج الاهلى والجلالة من البهائم وعرق السكران والدم والبول من جميع الحيوانات فهذه كلها نجسة قليلها وكثيرها ولا يعفى عن شئ منها الا عن خمسة الاول طين الشوارع وغبار الروث فى الطرق فانه يعفى عنه مع تيقن النجاسة فيه اذا كان ذلك قليلا لا يتلطخ بالانسان لانه يتعذر الاحتراز عنه الثانى ما يلصق باسفل الخف والنعل وذيل المراة من نجاسة لا تخلوا الطرق عنها فيعفى عنه بعد المشى والدلك للخف والنعل وكذلك ذيل المراة يطهره ما بعده اذا كانت النجاسة يابسة فتعلقت به فسقطت عنه الثالث دم البراغيث ما قل منه او كثر فيعفى عنه الا اذا جاوز حد العادة فينبغى ان يغسل اذا تفاحش فى الثوب وكذلك دم اللحم اذا غسل المذبح ودم السمك لا باس به واختلف فى دم البعوض والبق والقمل فبعض شدد وبعض رخص الرابع القيح الذى غلب على الدم اعنى الصديد وكذلك البزاق الذى غلب على الدم واشباه ذلك مرخص فيه الخامس حزق الفار مرخص فيه اذ لم يغلب على الطعام الذى خالطه ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات

الخمسة يعرفك ان امر الطهارة على النسا هل في هذه الاشياء
وغيرها والله اعلم الفصل الثاني في المزال به النجاسة وذلك
بالجملة عشرة اشياء احدها بالماء الطاهر كغسل الثياب
وغيرها من جميع ما يمكن فيه الغسل الثاني بالمسح كالبدن
الاملس والحديد وما شاكلهما الثالث بالنضح كالحصير
المشكوك في طهارته والتليس المملوء طعاما اذا بال عليه
التيس ونحوه الرابع بالرشح كالقلل المنجوسة من خارج
والزقاق واشباه ذلك الخامس بالنار كالارض والحديد
والقلال المحمية بها السادس بالزمان كمعطن الابل
والمجزرة والمزبلة اذا ازيل ذلك منها فمكث زمانا سنة
اونحوها فانه يصلى فيها السابع الدباغ كجلد الميتة
ونحوه الثامن التترب بالتراب الابيض كصوف
الميتة واشباههامن الوبر والريش والشعر ونحو ذلك
التاسع بالوطا كالنعل والخف واشباههما العاشر
بالريح والمطر والشمس كالموضع المنجوس خارجا من
البيت اذا مكث اياما على الاختلاف الواقع فيه وهذه
الاشياء قد اشرنا الى شرحها في كتابنا المسمى بقواعد
الاسلام ولذلك اقتصرناها هنا على الاشارة والاجمال
دون الشرح والتفصيل وكذلك ما سياتي ان شاء الله انما
نشير الى مالا بد منه اشارة دون تفصيل وبالله التوفيق
الفصل الثالث في كيفية الازالة لنشير الى جملتها اشارة
لانا شرحناها في غير هذا الكتاب اعلم ان النجاسة لا
تخلو من ان تكون حكمية او عينية فالحكمية هي التي

ليس لها جسم ظاهر محسوس كالبول اليابس في الثوب
والماء المنجوس واشباه ذلك مما لا ترى له عين قائمة
فهذه النجاسة يكفي في ازالتها اجراء الماء على مواردها
ثلاث مرات واما النجاسة العينية فلا بد من ازالة عينها
وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذلك بقاء اللون يدل
عليها الا فيما يتعذر ازالته من الثوب اذا صار كالصبغ فيه
فهو معفو عنه بعد العرك والدلك والقرص ونحوه لانه
لا يحل قطع الثوب من اجل نجاسته كما لا يحل قطع البدن
من الحنا المنجوس الذي طبع فيه وكذلك الرائحة
بقاؤها يدل على بقاء النجاسة ولا يعفى عنها الا اذا كان
الشيء له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر
مرات متواليات يقوم مقام الحك والقرص كما قدمنا في
اللون والذي يزيل الوسواس ان نعلم ان الاشياء خلقت
طاهرة بيقين فما لم نشاهد عليها نجاسة ولا قامت الحجة
بها فحكمها الطهارة على الاصل الاول ولذلك قالت
الاشياخ رحمهم الله لولا ثلاث جعلوها للنجس لصبت
عليهم من السماء كالمطر ومن الارض كالنبات احدها
جعلوا النجس هو القاعد في موضعه الذي فيه والثاني
جعلوا الطهارة هي القاعدة في الاشياء ما لم تر عليها
نجاسة والثالث جعلوا للنجس الجهلان في المواضع
المشكوك في حلول النجس فيها ما لم يتيقن به والله اعلم
ويدل على هذا ترخيص المشايخ ابان بن وسيم وغيره
رحمهم الله في مسائل كثيرة يطول الكتاب بذكرها

وليس هذا الكتاب موضعا لذلك وبالله التوفيق
(الباب الثاني من الطهارة) التنظيف عن الفضلات
الطاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء النوع الاول
الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول
ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل والتنظيف عنه
مستحب بالغسل وبالترجيل والتدهين ازالة للتفث
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله
غبا وقالت عائشة كان النبي عليه السلام يدني الي
راسه فارجله وهو معتكف وكان عليه السلام يامر
بذلك ويقول ادهنوا غبا ويروى عنه انه قال من كانت
له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ويروى انه
دخل عليه رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال عليه السلام
اما كان لهذا دهن يسكن به شعره واصحابنا لا يستعملون
ذلك على رؤوسهم حتى يحتاج الى الترجيل والتدهين
وانما ذلك على النساء فحق عليهن اكرام شعر رؤوسهن
بالترجيل والتدهين وفرقه عند الامتشاط لان ذلك
من سنن ابراهيم عليه السلام الثاني ما يجتمع من الوسخ
في معاطف الاذن فينبغي ان ينظف برفق عند الغسل فان
كثرة ذلك ربما يضر بالسمع الثالث ما يجتمع في داخل
الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيل
ذلك بالاستنشاق والاستنثار على ما سياتي ان شاء
الله الرابع ما يجتمع على الاسنان واطراف اللثات من
الصفرة التي تعلوها فيزال بالسواك والمضمضة على

ما يذكر ان شاء الله الخامس ما يجتمع فى اللحية من الوسخ
والقمل اذا لم يتعهد ذلك صاحبها ويستحب ازالة ذلك
بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبران النبى عليه السلام
كان لا يفارقه المشط والمدرا فى سفر ولا حضر وهى سنة
العرب هكذا ذكر الغزالى فى كتابه وزعم انه عليه السلام
كث اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وانه يسرحها فى
اليوم مرتين والله اعلم بهذا السادس وسخ البراجم
وهى معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل
ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام وتقول فقد الطعام
اشد علينا من ريحه فيجتمع لذلك فى تلك الغصون وسخ
فامرهم عليه السلام بغسل ذلك السابع تنظيف
الرواجب وهى رءوس الانامل وما تحت الاظفار من
الوسخ كانت العرب لا يحضرها المقراض فى كل وقت فيجتمع
فيها اوساخ فامرهم النبى عليه السلام بتنظيف ما تحت
الاظفار ووقت لهم فى قلم الاظفار ونتف الابط وحلق
العانة اربعين يوما وجاء فى الاثران النبى عليه السلام
استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام فقال
له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون
رواجبكم ولا تستاكون مر امتك بذلك ويقال لوسخ
الظفر الاف ولوسخ الاذن التف وقيل فى قوله عز وجل
ولا تقل لهما اف اى لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ
وقيل لا تتاذى بهما كما لا تتاذى بما تحت الظفر الثامن
الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار

الطريق وذلك يزيله الحمام وقد روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري فهذا تعرض لفائدته وقال آخرون بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفاته ولكن لا باس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفاته بشرط ان يراعي داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات اما الواجبات فصون عورته عن نظر الغير ومسه فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده وان لا يدخل الرجل الحمام الا بمئزر وفي اباحة مس ما ليس بعورة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم وكذلك الواجب عليه في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب على قدر الطاقة ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه واما السنن فعشر وهي النية يقصد بدخول الحمام التنظف المحبوب تزينا للصلاة ولا يدخله لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى ثم يعطي لصاحب الحمام الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وما ينتظره الحمامي مجهول ايضا فتسليم الاجرة دفع للجهالة وتطييب لنفسه ثم يرفع رجله اليسرى عند الدخول ويقول

بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس
النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت
الخلوة او يتكلف تخلية الحمام احترازا عن النظر الى
عورات الناس وتحفظا من قلة الحياء بالنظر الى ابدانهم
مكشوفة ثم لا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى
الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة
فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو
علمها الحمامى لكرهها ولا سيما الماء الحار وله مؤنة
وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر
نفسه محبوسا فى البيت الحار ساعة ويقيسه الى
جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام
من فوق ونعوذ بالله منها بل العاقل لا يغفل عن ذكر
الآخرة فى لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له
فى كل ما يراه من ماء او نارا وغيرهما عبرة فان المرء
ينظر بحسب همته فانه اذا دخل بزازا ونجارا وحياك
اوبناء دارا معمورة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر
الى الفرش يتامل قيمتها والحياك ينظر الى الثياب ينظر
نسجها والنجار ينظر الى السقف يتامل كيفية تركيبها
والبناء ينظر الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها
فكذلك السالك لطريق الآخرة لا ينظر الى شئ الا ويفتح
الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة اللحد او نظر
الى حية تذكر افاعى جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر
الزبانية ومنكرا ونكيرا وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة

الصور وان رآى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع
كلمة ردا وقبول تذكر امره بعد الحساب من الرد والقبول
وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل ان لم
يكن ممن اقفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان
لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام
بل يسكت ان اجاب غيره وان شاء قال عافاك الله لابتداء
الكلام ولا باس بالمصافحة ثم لا يكثر الكلام في الحمام
ولا يقرا القرآن الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من
الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من
الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين وقد رخص
بعضهم ان يدلكه غيره ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل
على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذى
يسئل عنه وعن ابن عمر قال ان الحمام من النعيم الذى احدثوه
هذا من جهة الشرع وقيل النورة في كل شهر مرة تطفى
الحرارة وتنقى اللون وتزيد في الجماع وقيل نومة في الصيف
بعد الحمام تعدل شربة دواء وقال بعضهم بولة في الحمام
قائما في الشتاء انفع من شربة دواء وغسل الرجلين بماء بارد
بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد
على الراس عند الخروج وكذلك شربه هذا حكم الرجال واما
النساء فقد روى عن النبي عليه السلام انه قال لا يحل
لرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور
انه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المراة
دخول الحمام الا نفساء او مريضة روى عن عائشة رضي الله

عنها انها دخلت حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلتدخل بمئزار سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه النوع الثانى ما يحذف من اجزاء البدن وهى ثمانية الاول شعر الراس يستحب حلقه لمن اراد التنظف وقد قال عليه السلام اللهم ارحم المحلقين ثلا ثا قيل والمقصرين قال والمقصرين وذلك عند الاحلال من الاحرام وقال تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين ولكن لا باس بتركه لمن يدهنه ويمشطه الا اذا تركه قزعا اى قطعا متفرقة فى الراس فان ذلك منهى عنه وهو داب اهل الشطارة وكذلك ارسال الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعار الهم فانه اذا لم يكن شريفا صار ذلك تلبيسا الثانى شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم حفوا الشوارب واعفوا اللحا وقوله حفوا الشوارب اى اجعلوها حفا فالشفة اى حولها وحفاف الشئ حوله ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وفى لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا اى يستقصى عليكم واما حلق الشارب فلم يبلغنا فيه خبر والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن بعض التابعين والله اعلم انه نظر الى رجل احفا شاربه فقال ذكرتنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى عن المغيرة بن شعبة انه قال نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى

على سود و يخص بعض علماء السلف فى ترك السبالين
وهما طرفا الشارب قال لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه
غمر الطعام اذ لا يصل اليه و زعم ان عمر فعل ذلك وفعله
غيره و قوله عليه السلام اعفوا اللحا اى كثروها نظيره
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا اى كثروا و فى
الخبر ان اليهود يعفون شواربهم و يقصون لحاهم فخالفوهم
وكره بعض العلماء الحلق و رواه بدعة الثالث شعر الابط
و يستحب نتفه فى كل اربعين يوما مرة و ذلك سهل على
من تعود نتفه فى الابتداء ولا باس بحلقه على من تعود
ذلك اذ فى النتف تعذيب و ايلام والمقصود النظافة
وان لا يجتمع الوسخ فى خللها و يحصل ذلك بالحلق وقد حد
بعضهم لنتف الابط اذا الصق الانسان عضده الى جنبه
خرج الشعر من الجانبين والله اعلم الرابع شعر العانة و يستحب
ازالة ذلك للرجال بالحلق وللنساء بالنتف او بالنورة للجميع
ولا ينبغى ان يتاخر عن اربعين يوما وقد حده بعضهم فى ذلك
اذا كان الشعر يدور بالاصبع وقد روى عن ابى عبيدة مسلم
رحمه الله انه قال لا اعلم فى قص الشارب وتقليم الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة حدا محدودا الا اذا طال فازح
ذلك عن نفسك وقد قيل ان دفن الشعر والاظفار بدعة
والله اعلم الخامس تقليم الاظفار وهو مندوب اليها لشناعة
صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ وقد روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابا هريرة قلم اظفارك
فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ

فلا يمنع ذلك صحة الصلاة لانه كان عليه السلام يامر العرب
بقلم الاظفار وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ
ولم يامرهم باعادة الصلاة اما لانه لا يمنع وصول الماء اولانه
يساهل فيه للحاجة لاسيما فى اظفار الرجل ولوامر بذلك
لكان فيه فائدة وهو التغليظ والزجر عن ذلك قال فى كتاب
الغزالى ولم ار فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار قال
ولكن سمعت انه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى
وختم بابهام اليمنى وابتدا فى اليسرى بالخنصر الى الابهام
وفى اليمنى من المسبحة الى الخنصر وختم بابهام اليمنى
قال فى كتاب الغزالى واما اصابع الرجل فالاولى عندى
ان لم يثبت فيه نقل ان يبدا بخنصر اليمنى ويختم بخنصر
اليسرى كما فى التخليل والله اعلم قال فى كتاب الغزالى
واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم
الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه
وبين النبى الا درجة واحدة وهى درجة النبوة الفارقة
بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذى حصل المال
له باشتغاله به واقتداره على تحصيله والوارث هو الذى
لم يشتغل بالتحصيل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه
منه بعد ما حصل له والله اعلم السادس والسابع قطع
زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع فى اول الولادة
واما التطهير بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة
فينبغى ان يخالفوا بالتاخير الى ان يشتد الولد وذلك
احب وابعد من الخطر وقد روى عن النبى عليه السلام

انه قال الختان للرجل سنة وللنساء مكرمة وينبغى
ان لايبالغ فى خفض المراة اذ قال صلى الله عليه وسلم لام عطية
وكانت تخفظ يا ام عطية اشمى ولا تنهكى فانه اسرى للوجه
واحظى عند الزوج اى اكثر لماء الوجه ودمه واحسن
فى جماعها انظر الى جزالة لفظه عليه السلام فى الكناية والى
اشراق نور النبوة حتى انكشف له وهو امى من هذا الامر
النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان
من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح
الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم الثامنة ما طال من
اللحية وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على
لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس وقد روى عن ابن
عمر انه فعل ذلك وجماعة من التابعين ورخص فى الاخذ منها
ابو عبيده مسلم فيما وجدت عنه واستحسنه الشعبى وابن
سيرين فيما وجدت عنهما وقد زعم فى كتاب الغزالى ان
الحسن وقتادة كرها ذلك وقالا تركها عافية احب الينا
لقوله عليه السلام اعفوا اللحاء والامر فى هذا قريب اذا
لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب
فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة
المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه على
هذه النية وعن النخعى انه قال عجبت لرجل عاقل طويل
اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان
التوسط فى كل شئ حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية
تشمر العقل * (فصل) * وقال بعض العلماء فى المحبة

عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وهي خضابها
بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها
والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الناس
وتركها شعثة لاظهار الزهد والنظر الى سوادها عجبا
بالشباب والى بياضها تكبرا لعلو السن وخضابها بالحمرة
والصفرة من غير نية تشبيها بالصالحين اما الاول
وهو الخضاب بالسواد فقد نهى عنه لقول النبي عليه السلام
خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه
بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار والسكينة
لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب
اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب الاسود خضاب الكفار
ويقال تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب
بالسواد فنصل خضابه وظهر شيبه فرفعه اهل المراة الى
عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب
ولبست عليهم شيبك حكاه الغزالي في كتابه ويقال اول من
خضب بالسواد فرعون لعنه الله وفي كتاب الغزالي عن
ابن عباس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال
يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام
لا يريحون رائحة الجنة الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة
وهو جائز تلبيسا على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن
على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وعن
ابي عبيدة مسلم رضي الله عنه قال سمعت ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يصبغ شعره قط بشئ ويقال ان ابا بكر

رضي الله عنه كان يصبغ وفي اثر بعض اصحابنا قال لا باس
بصبغ اللحية بالكتم والحمرة وفي كتاب الغزالي وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين
والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة
وبالخلوق والكتم للصفرة قال وخضب بعض العلماء بالسواد
لاجل الغزو وينشد *
يا خاضب الشيب بالحناء يستره * اهلا سالت له سترا من النار
لن يرحل الشيب عن دار الم بها * حتى يرحل عنها صاحب الدار
وفي كتاب الغزالي قال لا باس بالخضاب بالسواد اذا
صحت فيه النية ولم يكن فيه هوى ولا شهرة وينشد
تغطي الشيب جهلك بالخضاب * لتبقى فيك ابهة الشباب
فكيف وقد كساك الشيب ثوبا * كابيض ما يكون من الثياب
وقد روي ان ابن عباس رضي الله عنه كان يخضب لحيته
بالكتم وهو صبغ يؤتى به من بلد السودان فيما اظن والله
اعلم الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو
السن توصلا بذلك الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق
بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب واظهار الكثرة
العلم ظنا بان ذلك يعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر
السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يؤثر
الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة تؤكد
حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان
عمر يقدم ابن عباس رحمه الله وهو حدث السن على
اكابر الصحابة ويسئله دونهم وعن ابن عباس رضي الله

عنه انه قال ما اتى الله عز وجل عبده علما الا شابا
والخير كله فى الشباب ثم تلى قوله عز وجل قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم و قوله عز وجل انهم فتية
آمنوا بربهم الآية و قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا
وكان انس بن مالك يقول فيما بلغنا قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس فى راسه ولحيته عشرون
شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب
فقيل او شين هو فقال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن
اكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة
فقال له رجل فى مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه
كم سن القاضى ايده الله قال مثل سن عتاب بن
اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
امارة مكة وقضاءها فافحمه وروى عن بعض العلماء
انه قال قرات فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحا فان التيس
له لحية وعن ابى عمرو بن العلا انه قال اذا رايت طويل
القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق
ولو كان امية بن عبد شمس وعن ايوب السختيانى انه
قال ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم
منه وعن على بن الحسين انه قال من سبق اليه العلم
قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وروى
انه قيل لابى عمرو بن العلا ايحسن بالشيخ ان يتعلم من
الصغير قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به

الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيبة وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن هو في معنى الخضاب بالسواد وعن ابى عبيدة مسلم رحمه الله انه قال اكره نتف الشيب قال ولا يفعله الا خسيس وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنكين بدعة وهما جنبتا العنفقة ويقال شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنكيه فرد شهادته وروى عن بعض قضاة المدينة انه رد شهادة من كان ينتف لحيته قال واما نتفها في اول الشباب تشبيها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة للرجال ويقال ان لله سبحانه ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحا وهى من تمام الخلقة وبها يتميز الرجال عن النساء وحكى عن عن اصحاب الاحنف انهم قالوا وددنا ان نشترى للاحنف لحية بعشرين الفا وعن شريح القاضى انه قال وددت لو ان لى لحية بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس واقبال الوجه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان المشتوم بلا لحية ويقال ان اهل الجنة مرد الا هارون اخا موسى عليه السلام فان

له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا والله اعلم
السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزيين
للنساء والتصنع وعن كعب قال يكون فى آخر الزمان
اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم
كالمناجيل اولئك لاخلاق لهم السابع الزيادة فيها
وهو ان يزيد فى شعر العارضين من الصدغ وهو من
شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحا او ينتهى الى نصف
الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها
لاجل الناس وقال بعض العلماء فى اللحية شركان
تسريحها لاجل الناس وتركها شعثة لاظهار الزهد
التاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب
وذلك مذموم فى جميع اجزاء البدن بل فى جميع الاخلاق
والافعال وبالله التوفيق فهذا ما اردنا ان نذكره من
انواع التزيين والنظافة وقد حصل من ثلاث احاديث
من سنن الجسد اثنا عشر خصلة خمس فى الراس وهى فرق
شعر الراس والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك
على ما سياتى شرحها فى الوضوء ان شاء الله وثلاث فى اليد
والرجل وهى تقليم الاظفار وغسل البراجم وتنظيف الرواجب
واربع فى الجسد وهى تنظيف الابط والاستحداد والختان
والاستنجاء بالماء على ما سياتى ان شاء الله فقد وردت
الاخبار بمجموع ذلك ولنقتصر على هذا فى تنظيف فضلات
ظاهر البدن ولنشرع الآن فى طهارة الاحداث

(الباب الثالث فى طهارة الاحداث)

وينحصر هذا الباب في اربعة فصول الاول في سبب الوضوء
وهو قضاء حاجة الانسان الثاني في كيفية الوضوء الثالث
في الغسل من الجنابة الرابع في كيفية التيمم وبالله التوفيق
الفصل الاول في ادب قضاء الحاجة قال الله تعالى او جاء
احد منكم من الغائط تنبيها على ان البدء به قبل الطهارة
وفي الحديث اذا سمعتم النداء وحضر الخلاء فابدؤا بالخلاء
كل ذلك حث على فراغ الخاطر والذي ينبغي لمن اراد قضاء
الحاجة من البول والغائط ان يتبعد عن الناس في الصحراء
وان يستتر بشئ ان وجده وان لا تكشف عورته قبل
الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس
والقمر والريح والطريق وان لا يستقبل القبلة ولا
يستدبرها الا اذا كان في بناء والانحراف ايضا في البناء
احب الي وان استتر في الصحراء براحلته فقد اجاز
ذلك بعض العلماء وان يتقي الجلوس في متحدث الناس
وان لا يبول في الماء الجاري ولا الراكد ولا تحت الشجرة
المثمرة ولا في الاجحرة ولا في حريم المسجد ولا المقبرة
ولا في حرث الزرع ولا في طرقات الناس ولا في مواضع
المضرة وان يتقي البول في المكان الصلب وان يتقي مهاب
الرياح في البول تنزها عن رشاشه وان يتكئ في جلوسه
على الرجل اليسرى وان كان في بنيان او غار قدم الرجل
اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما وقد
روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه

ورخص بعضهم فى ذلك لعلة الضرورة ولا يبول فى المغتسل
قال عليه السلام فان عامة الوسواس منه ولا يستصحب
معه شيئا عليه اسم الله عز وجل ورسوله عليه السلام
وان لا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند
الدخول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث
المخبث الشيطان الرجيم وان لا يخلط البول مع الغائط
ما وجد الى ذلك سبيلا لانه فيما قيل يحجب الدعاء وان
يعد النبل قبل الجلوس وهى الحجارة الصغار للاستجمار وان
لا يستنجى بالماء فى موضع قضاء الحاجة وان يستبرى من
البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب
ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر
وكان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة
الفقه وفى الحديث عن سلمان رحمه الله قال علمنا
رسول الله عليه الصلاة والسلام كل شئ حتى الخراءة
امرنا ان لا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل
القبلة ببول ولا غائط ويقال ان رجلا من الاعراب خاصم
صاحبه فقال لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك
انى بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح
واستدبر الريح واقعى اقعاء الظبى واجفل اجفال النعم
وفى كتاب الغزالى قال والاقعاء هاهنا ان يستوفز على
صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه وان لا يسلم على من
كان مشتغلا بقضاء الحاجة ولا يرد ان سلم عليه ولا يقرأ
القرآن ولا يذكر اسم الله فاذا فرغ فليستنجى بثلاثة احجار غير

ملس

ملس ولاحرش وقيل بالرخصة بحجر واحد اذا كان له ثلاثة حروف وان لم يجد الحجر فالمدر وان لم يجده فالتراب ولا يستنجي بعظم ولا روث ولا زجاج ولا فحم ولا ماله حرمة الطعام كقصب الزرع وشماريخ النخل وغير ذلك ولا بماله حرمة في الشرع كحجارة المصلي واللوح وورق الكتب وكيفية الاستجمار ان يأخذ الحجر بيمينه ويمسك القضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا ثم يأخذ الحجر بيساره فيضعه على مقدم المقعدة في موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الحجر الثاني فيضعه على المؤخر ويمره الى مقدم المقعدة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدم او المؤخر اجزاه ذلك والله اعلم ثم يقول عند القيام الحمد لله الذي اطعمني طعاما طيبا واذاقني لذته واذهب عني مضرته كيفية الاستنجاء فاذا انقطعت الرطوبة بالاستجمار انتقل الى الاستنجاء بالماء ولا بد من الجمع بين الاحجار والماء فالاحجار لتخفيف العين عن الموضع والماء للانقاء وازالة الاثر والمستحب في صفة استعمال الماء ان يصب الماء على اليد قبل مباشرتها النجاسة فيغسلها ثلاثا ثم يجلس على المستحم متمكنا على غير موضع صلب او مكان نجس لئلا يتطاير عليه من الغسالة شيء ثم يذكر الله تعالى مبتديا بغسل محل البول اولا ثم ينتقل الى محل الغائط فيرسل الماء ويوالي الصب على يده اليسرى غاسلا بها المحل ويسترخي قليلا ليتمكن من الانقاء ويجيد العرك

حتى ينقى وتزول اللزوجة وتطمئن النفس وتطيب
ويزول الشك عنها من غير تحديد عدد لان ذلك يختلف
بالكثرة والقلة والغلظة والرقة ثم ينفصل من المستنجى
بذكر الله تعالى والدعاء اليه يقول اللهم حصن فرجي
بالاسلام وطهر قلبي من النفاق وجسدي من النجاسات
وزوجني من الحور العين برحمتك يا ارحم الراحمين وليحذر
ان يتعرض للباطن بادخال الاصبع فيه فان ذلك منبع
الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن
وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء وان كان
يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه
ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي
الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اعني
رش الماء ذكر ذلك ابن جعفر العماني وغيره والله اعلم
ثم اذا فرغ من الاستنجاء انتقل عن مستنجاه الى موضع
آخر للوضوء * (الفصل الثاني في فضل الوضوء) *
وكيفيته قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى
الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ويروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ فاسبغ الوضوء
وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من امر
الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ
آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه
صلى الله عليه وسلم من طريق جابر بن زيد عن انس بن
مالك انه قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع

به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط قالها ثلاثا وعنه صلى الله عليه وسلم من طريق جابر بن زيد رضي الله عنه عن ابي هريرة انه عليه السلام قال اذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع آخر قطر الماء ثم اذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطش بهما ثم كذلك حتى يخرج نقيا من الذنوب وفي حديث آخر ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له وعنه عليه السلام انه توضأ مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله سبحانه الصلاة الا به ثم توضأ مرتين مرتين فقال من توضأ مرتين آتاه الله اجره مرتين وفي لفظ آخر من ضاعف ضاعف الله له ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابي ابراهيم عليه السلام وعنه عليه السلام انه قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وعنه عليه السلام انه قال الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء ويروى ان الطاهر كالصائم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من اى باب شاء وعن عمر رضي الله عنه انه

قال بالوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وعن مجاهد
انه قال من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا
مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت
عليه وفي حديث الربيع عن عثمان بن عفان قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرء توضأ فاحسن
وضوءه ثم صلى الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الصلاة الاخرى
حتى يصليها وعنه عليه السلام انه قيل له كيف تعرف من
ياتي بعدك من امتك قال انهم يأتون غرا محجلين من اثر الوضوء
والله اعلم * (كيفية الوضوء) * ثم اذا فرغ من الاستنجاء
وازال كل نجس كان في بدنه فليشتغل بالوضوء وقد روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قط خارجا من الغائط الا توضأ
ويستحب للانسان ان يبتدى بالسواك قبل الوضوء وقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افواهكم طرق القرآن
فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي بالسواك تطهير فمه
لقراءة الفاتحة وذكر اسم الله عز وجل في الصلاة وقد قيل عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة على اثر السواك
افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قال لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك عند كل صلاة وكل وضوء وعنه عليه السلام انه
قال مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا وقوله قلحا اي صفر
الاسنان وكان عليه السلام فيما بلغنا يستاك في الليلة مرارا
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لم يزل عليه السلام
يامر بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شئ وعنه

عليه

عليه السلام انه قال عليكم بالسواك فانه مطهرة
للفم ومرضات للرب وعن علي انه قال السواك يزيد
في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب النبي عليه السلام
فيما بلغنا يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته ان
يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يحسن
ويزيل القلح اعني صفرة الاسنان ويستاك طولا وعرضا
وان اقتصر فعرضا و يستحب السواك عند كل صلاة وعند
كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير رائحة الفم بالنوم
اوطول الازم او اكل ما تكره رائحته ثم عند الفراغ من
السواك فليجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
لان النبي عليه السلام قال لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه
اى لا وضوء كاملا و يقول عند ذلك اعوذ بالله من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا
قبل ان يدخلهما في الاناء ويقول اللهم اني اسئلك اليمن والبركة
واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي بالوضوء رفع الحدث
واستباحة الصلاة يقول في نفسه ارفع بوضوئي هذا جميع
الاحداث واتوضأ للصلاة طاعة لله ولرسوله عليه السلام
ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه فقد
شدد بعضهم في وضوءه انه لا يجزيه ثم ياخذ غرفة من الماء
لفيه فيتمضمض ثلاثا ويغرغرها بان يرد الماء الى الغلصمة
الا ان يكون صائما فيرفق لئلا يبلع الماء ويقول عند ذلك
اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك واطعمني من
ثمار جنتك ثم ياخذ غرفة اخرى لانفه ويستنشق ثلاثا

بان يصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول
فى الاستنشاق اللهم اشممنى رائحة الجنة وانت عنى راض
بفضلك وفى الاستنثار يقول اللهم انى اعوذ بك من روايح
النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال الماء والاستنثار
ازالته واذا اراد ان يجمع الفم والانف جميعا بالمضمضة
والاستنشاق فانه يجزيه ذلك ويجعل اصبعه فى الفم والانف
عند ذلك ان لم يكن له عذر يمنعه من خروج الدم من الفم
او جرح فى انفه ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبدء
سطح الجبهة الى منتهى ما يقابل الذقن من الطول ومن الاذن
الى الاذن فى العرض وفى كتاب الغزالى قال ولا تدخل فى
الوجه النزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الراس
قال ويوصل الماء الى مواضع التحذيف وهو ما يعتاد الناس
تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما
وقع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثانى على زاوية
الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة وهما الحاجبان
والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة فى الغالب
والعذاران هما ما يوارى الاذنين من ممتد اللحية ويجب
ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعنى ما يقابل من
الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية فى
الكثافة والخفة ثم يغسل ما ذكرنا ثلاثا ويفيض الماء على
ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع فى محاجر العينين
وموضع ما يبدو من النقاب منها وكذلك موضع الرمص ومجتمع
الكحل فينقى ذلك كله فقد روى انه عليه السلام فعل ذلك

ويرجو عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند
كل عضو ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي
بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك واعوذ بك ان تسود
وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك وتخليل
اللحية عند غسل الوجه مستحب ثم يغسل يديه الى
مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ان كان في يده ويطيل الغرة
ويرفع الماء الى اعالي العضدين فانهم يحشرون يوم القيامة
غرا محجلين من آثار الوضوء كما ورد الخبر وعنه عليه السلام
انه قال من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية
تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم اعطني كتابي
بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال
اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري
ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويمسح من مقدم
راسه وقد قرن رؤس اصابع يديه حتى يبلغ القفا ثم
يردهما الى حيث بدا ثم يصل كفيه الى صدغيه الى عظم
اعالي اللحية ثم يردهما الى فوق ذلك لان العلماء انزلوا الراس
منزلة العضوين وهما حد حلق المحرم راسه يفعل ذلك ثلاثا
وان مسح بعض راسه اجزاه ويقول عند مسح الراس اللهم
غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك
يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء
جديد افضل وذلك بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه
ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع كفيه على ظاهر
الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من

الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني
منادي الجنة مع الابرار ويستحب مسح رقبته بماء
جديد لانه قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم
حرم شعري وبشري من النار وفك رقبتي من السلاسل
والاغلال يوم الخزي والبوار وليس بواجب استئناف الماء
للاذنين بل استحباب لانه قد روي عنه عليه السلام انه
مسح اذنيه مع راسه ولم يذكر عنه استئناف الماء لهما
ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل بخنصر اليد اليسرى
من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من الرجل
اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت
قدمي على الصراط يوم تثبت اقدام الابرار ويقول
عند غسل اليسرى اللهم اني اعوذ بك ان تزل قدمي
على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين والكفار ويبلغ
بالماء الى انصاف الساقين ويبالغ في غسل بواطن القدمين
كلتيهما لقوله عليه السلام ويل للعواقب من النار وويل
لبطون الاقدام من النار وذلك لمن ترك عرقوبيه وباطن
قدميه في الوضوء فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا
وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي
انك انت التواب الرحيم ثم يزيد في الدعاء يقول اللهم اجعلني
من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك

الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال الكلمات الاولى بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلا يزال يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة ويكره في الوضوء امور منها ان يزيد على الثلاث وان يسرف في صب الماء وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا فقال من زاد فقد ظلم واساء وعنه ايضا قال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من ضعف علم الرجل ولوعه بالماء في الوضوء وقد روى ان عبد الله بن مغفل سمع ابنا له وهو يقول اللهم انى اسئلك القصر الابيض عن يمين الجنة فقال يا بني اذا سألت فاسئل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت النبي عليه السلام يقول يكون في آخر الزمان قوم يعتدون في الدعاء والطهور وقال بعض العلماء اول ما يبدأ الوسواس من قبل الطهور وعن الحسن قال ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان وفي حديث الربيع رحمه الله عن النبي عليه السلام انه قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان قال الربيع انما قيل له الولهان لانه يلهي النفوس ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء وضوءه وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء نور قاله سعيد ابن المسيب والزهري ولكن قد روى عن معاذ رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروى عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كانت له منشفة

قال الربيع قال ابو عبيدة رحمها الله المعمول عندنا ان لا
يمسح اعضاءه بعد الغسل وهو استحباب من اهل
العلم في نيل الثواب مادام الماء على اعضائه ويكره ايضا
ان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالماء المشمس وذلك
من جهة الطب والله اعلم ومهما فرغ من وضوءه واقبل
على الصلاة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو
موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجات الله تعالى
من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب جل جلاله
وليتحقق ان طهارة القلب انما هي بالتوبة والخلو عن الاخلاق
المذمومة وان مثل من اقتصر على طهارة الظاهر كمثل من
اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقذورات
واشتغل بتجصيص الظاهر البراني من الدار فما اجدره بالتعرض
للبوار والله اعلم وبه الحول والتوفيق *

* (الفصل الثالث في كيفية الغسل) * ونذكر منه ما لا
بد للمسترشدين منه قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا
اي فاغتسلوا وعن النبي عليه السلام انه قال تحت كل
شعرة جنابة فبلوا الشعر ونقوا البشر فاذا اراد الانسان
الغسل من الجنابة بعد المراودة وانقطاع الرطوبة فليقصد
الى موضع مستتر عن الناس فليقعد على المستحم ويضع
الاناء عن يمينه ثم يسمي الله عز وجل ويغسل يديه
ثلاثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة
ان كانت به ثم يتوضا وضوء الصلاة كما سبق الا غسل
قدميه فانه يؤخرها وان غسلهما ثم وضعهما على الارض

كالاضاعة للماء ثم يتمضمض ويستنشق ثم يبدأ با مر
راسه فيغسله ثم يبدأ بميامنه ويصب الماء على شقه
الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من
بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس ويوصل الماء الى منابت
ما كثف منها او خف ويصب على ظهره وبطنه حتى ياتى
على سائر جسده ثم يتنحا عن موضعه فيغسل قدميه الا
ان يكون الموضع منحدرا فليغسل قدميه فيه او فى غيره
وليتق ان يمس ذكره فى اثناء الغسل فان فعل ذلك فليعد
الوضوء وان توضا بعد الغسل فحسن وليس عليه ذلك
الا ان انتقض وضوءه الاول ويتعهد معاطف البدن
ويدخل يده فى سرته وليس عليه الا غسل ما ظهر من بدنه
وليس على المراة نقض ظفائر شعر راسها الا اذا علمت ان
الماء لا يصل الى خلل الشعر فلتنقضها والله اعلم فهذه
سنة الغسل والوضوء ذكرنا منهما ما لا بد منه لسالكى
طريق الآخرة من علمه وعمله وما سوى ذلك من المسائل
التى يحتاج اليها فى عوارض الاحوال فليرجع فيها الى كتب
الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه فى الغسل امران
النية واستيعاب البدن بالغسل مع امرار اليد ومن
الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين
ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين
الى الكعبين واما الترتيب والموالات فليستا واجبتين
وما سوى هذا من المضمضة والاستنشاق ومسح الاذنين
وغيره ذلك سنن واستحباب والله اعلم والغسل الواجب

اربعة الغسل بخروج المني ولالتقاء الختانين والحيض والنفاس
وما عداه من الاغتسال سنة كالغسل للجمعة وللعيدين
وللاحرام ولوقوف عرفة ولمبيت المزدلفة ولدخول مكة
وثلاثة اغتسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول
وللمشرك اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق ولمن غسل
ميتا ولمن احتجم فكل ماذكرنا سنة ومستحب وبالله التوفيق

الفصل الرابع في كيفية التيمم قال الله تعالى وان كنتم
مرضى او على سفر الى قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا وقال عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وترابها
طهورا وينبغي ان يقتصر في هذه الطهارة ايض على ما لا بد
منه سالك طريق الآخرة اعلم ان من تعذر عليه استعمال
الماء بفقد بعد الطلب او بمانع منعه عن الوصول اليه
من سبع او عدو وحابس له او كان الماء الحاضر يحتاج اليه
لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره فامتنع من
بيعه له الا باكثر من ثمن مثله او كان به جروح او قروح
او مرض خاف من استعمال الماء معه فساد بعض اعضائه
ولم يمكن له عزل ذلك الموضع او خاف تاخير البرء او زيادة
المرض فانه يصبر حتى يدخل وقت الصلاة المفروضة فان
كان آيسا من استعمال الماء باحد هذه الاعذار فليقصد
الى التراب الطاهر الذي يصلح للحرث والنبات ويثور منه
الغبار فلينو النية في ذلك ويقول في نفسه ارفع بتيممي
هذا جميع الاحداث واتيمم للصلاة طاعة لله ولرسوله
عليه السلام وليقل بسم الله وليضع يديه مع كفيه وهما

يابستان مفرقا بين اصابعه على التراب اليابس ثم يرفعهما
ويقرن بعضهما الى بعض وينفضهما نفضا خفيفا فيمسح
بهما وجهه مستوعبا له ما رابيديه من اعلاه الى ان يستوفيه
وليراع الوترة وهي ما بين المنخرين ولا يتكلف ايصال
الغبار الى ما تحت الشعور خف او كثف يحصل ما ذكرنا
بالضربة الواحدة وليقل حين يرفعهما الى الوجه الله اكبر
ثم يردهما الى التراب فيضرب بهما ضربة اخرى ثم يرفعهما قارنا
لهما من عند ابهاميه فيضع اليسرى على ظاهر اليمنى ويمر
بها على ظاهر الكف ثم يعمل بكفه اليمنى على ظاهر كف اليسرى
كذلك وان اخطأ شيئا من مواضع الوضوء لم يصبه التراب
فقد اجزاه وليس عليه ان يخلل بين اصابعه في التيمم فيما
وجدت في الاثر لان هذا مسح لا غسل فاذا صلى الفريضة
بذلك التيمم فله ان يتنفل كيف شاء فان لم يجمع بين
فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية والله اعلم (فصل)
ويجب على المتطهر بالماء او التراب عند فقد الماء ان يستصحب
حال وضوئه او تيممه عند فعل الصلاة وان طرا عليه ما
ينقض طهارته وجب عليه الاتيان بها والا بطلت صلاته
لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلاة من احدث حتى يتوضا
والذي ينقض الطهارة من الوضوء او التيمم هو كل نجاسة
تخرج من الجسد من اي موضع خرجت وعلى اي جهة خرجت
سواء كانت من القبل مثل البول والمني والمذي والودي
والدم او كانت من الدبر كالغائط والدم والدابة والحصاة
والريح وغيرها او سالت من الانف كالرعاف او من الفم

كالقيء والقلس او سفحت من جرح او قرح كالدم والصديد
الذى غلب عليه الدم او من سائر الجسد كالفصد والحجامة وكذلك
كل نجاسة من هذه الانجاس او غيرها تلاقى بدن المتوضى
من غيره سواء لاقته باختياره كلمسه النجس الرطب او
الميتة رطبة كانت اويابسة اوظهر كلب رطبا او غسل
ميتا غير متولى او ما اشبه ذلك اولاقته بغير اختياره
كدابة تبول او تذبح فيطير البول او الدم اليه فيمس جسده
وكذلك لحم الخنزير والمنجوس من الطعام والشراب وما
اشبه ذلك اذا مس بدنه و ينقض الوضوء ايضا زوال
العقل باغماء اوجنون اوسكر او مرض برسام او نوم مضطجعا
واشباه ذلك وكذلك مس الفروج مباشرا بباطن كفه
من غير حائل بينه وبين الفرج ينقض الوضوء خطأ كان
اوعمدا وهذا اذا مس الذكر اوموضع الغائط من عورته
وكذلك عورة غيره تنقض الوضوء اذا مسها وكذلك ابدان
النساء الاجنبيات اذا مس ذلك على غير سبيل المعالجة
ما خلا الامة فانه لا ينقض من مس بدنها الا الفرج وكذلك
ذوات المحارم على هذا الحال واما ان قبل زوجته او سريته
فلا نقض عليه وكذلك غيبة المسلم وقول الكذب وقذف
المحصنات وبهتان البرى والنميمة ولعن البهائم والاطفال
وجميع من لا يستحق اللعن والشرك بالله وتسمية الفروج
باقبح اسمائها كل ذلك ينقض الوضوء وكذلك الاستماع الى
جميع ما لا يحل استماعه مثل غيبة المسلم والسر من اثنين
اللهو والمزامير واستماع النوح والغنا وغير ذلك ينقض

الوضوء

الوضوء وكذلك النظر الى عورات الآدميين غير نفسه
او زوجته او سريته ينقض الوضوء وكذلك النظر في
سر كتاب غير مباح كل هذا ينقض الوضوء عند اصحابنا
والله اعلم قد ذكرنا من النجاسات والفضلات والطهارات
الظاهرة على الابدان ما لا بد منها لسالكي طريق الآخرة
وليتحققوا ان نجاسات الباطن وفضلاته وأوساخه من
الاخلاق المذمومة والاعتقادات الفاسدة التي يجب
التنظف منها اكثر من ان تحصى وبالله التوفيق كملت
اسرار الطهارة بحمد الله وحسن عونه والصلاة على محمد
نبيه يتلوه اسرار الصلاة ان شاء الله *

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تمام قنطرة الصلاة في ذكر اسرارها وفضائلها اعلم
ان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات
وغرة الطاعات قدم الله تعالى فرضها على الصيام لان الصلاة
اسهل عملا وايسر فعلا وجعل الله لها شروطا لازمة من
رفع حدث وازالة نجس كما قدمنا ليستديم العبد النظافة
للقاء ربه والطهارة لاداء فرضه ثم ضمنها تعالى تلاوة كتابه
المنزل ليتدبر ما فيه من اوامره ونواهيه ويعتبر باعجاز
الفاظه ومعانيه ثم علقها باوقات راتبة وازمان مترادفة
ليكون ترادف ازمانها وتتابع اوقاتها سببا لاستدامة
الخضوع له والابتهال اليه فلا تنقطع الرهبة منه ولا الرغبة

فيه فاذا لم تنقطع الرغبة والرهبة استدام صلاح الخلق فبحسب قوة الرغبة والرهبة وضعفهما يكون استيفاؤها على الكمال او التقصير فيها عن حال الجواز ثم من لطف الله سبحانه بخلقه ان جعل لهم من جنس كل فريضة نفلا وجعل لهم من الثواب قسطا وندبهم اليه ندبا وجعل لهم بالحسنة عشرا ليضاعف ثواب فاعله ويضع العقاب عن تاركه ونحن ان شاء الله في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمكلف منه من اعمال الصلاة الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون عن دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في كتب الفقه ومرتبون ذلك ان شاء الله على ستة ابواب الباب الاول في فضل المسجد وفضل الاذان وفضل الصلاة الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة ومناهي الصلاة الباب الثالث في كشف معاني اعمالها الباطنة الخفية الباب الرابع في كيفية الامامة فيها وما على الائمة الباب الخامس في صلاة الجمعة وسننها وآدابها المستحبة الباب السادس في الصلوات المسنونة والنوافل المرغوب فيها الاول في فضل المسجد وفضل الاذان وفضل الصلاة وفضل الخشوع والركوع والسجود واتمام الاركان وصلاة الجماعة فيشتمل هذا الباب على هذا الحال على ستة فصول الفصل الاول في فضل الاذان قال الله سبحانه ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا الآية قيل انها نزلت في المؤذنين وقال تعالى واذا ناديتم الى الصلاة الآية اراد بالنداء الاذان وعن ابن

عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم
فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ
القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وام به قوما وهم به راضون
ورجل اذن في مسجد سبع سنين لا ياخذ على اذانه طمعا
ودعا الى الله ابتغاء وجهه ورجل ابتلي بالرق في الدنيا
فلم يشغله ذلك عن عبادة ربه وادى حق مولاه وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسمع صوت المؤذن جن ولا
انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه
وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤذن المحتسب
كالشهيد المتشحط بدمه في سبيل الله ما دام في اذانه ويشهد
له كل رطب ويابس فاذا مات لم يدود في قبره وعن عبد الله
ابن مسعود رحمه الله انه قال لو كنت مؤذنا لما باليت ان لا
احج ولا اعتمر ولا اجاهد وعن عمر رضي الله عنه انه قال
لو كنت مؤذنا لكمل امري وما باليت ان لا انتصب لقيام ليل
ولا صيام نهار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
اغفر للمؤذنين قال فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد
على الاذان بالسيوف فقال كلا يا عمر سياتي على الناس
زمان يتركون الاذان على ضعفائهم فتلك لحوم حرمها الله على
النار يعني لحوم المؤذنين وعن سعيد بن المسيب انه قال
من صلى بارض فلاة صلى على يمينه ملك وعن شماله ملك
فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملائكة وعن

النبي عليه السلام انه قال الامام ضامن والمؤذن مؤتمن
اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين ويقال ان المؤذنين
اطول الناس اعناقا يوم القيامة وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا سمعتم الاذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن
وفي حديث آخر ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى
الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في
الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله عز وجل وارجو ان اكون
انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء بين الاذان والاقامة
لا يرد وعنه عليه السلام انه قال من قال حين يسمع المؤذن
وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
رسولا غفر له وفي حديث آخر عنه عليه السلام انه قال
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه
مقاما محمودا الذي وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة
وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قال بلال قد قامت
الصلاة قال عليه السلام اقامها الله وادامها وينبغي لمن
سمع الاذان ان يقول كما يقول المؤذن الا في الحيعلتين فانه
يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي قوله
قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها ما دامت السموات
والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن
من الاذان يدعو بالدعوة المتقدمة في الحديث وعن ام سلمة

رضي الله عنها انه عليه السلام علمها ان تقول عند اذان
المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات
دعائك فاغفرلي وبالله التوفيق الفصل الثاني في فضل
المسجد قال الله سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
الى قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وقال تعالى
في بيوت يعني المساجد اذن الله ان ترفع اى تكرم وتصان
وتعظم وقيل ترفع تبني ويذكر فيها اسمه الآية وروى
عن النبي عليه السلام انه قال من بنى مسجدا لله تعالى
ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له تعالى قصرا في الجنة
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من الف المسجد الفه
الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم
الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وفي بعض
الكتب يقول الله عز وجل ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها هم عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم
زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الحصاة لتناشد الذي يخرجها من
المسجد وفي حديث آخر عنه عليه السلام انه قال عرضت
على اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت
على ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القران او آية
اوتيها رجل ثم نسيها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
يأتي في آخر الزمان ناس يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا
ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله بهم
من حاجة وفي الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما

تاكل البهائم الحشيش وعنه عليه السلام انه قال الملائكة تصلى على احدكم مادام فى مصلاه الذى صلى فيه مالم يحدث او يقم يقولون اللهم اغفرله اللهم ارحمه وفى حديث آخر لا يزال العبد فى صلاة ماكان فى مصلاه ينتظر الصلاة تقول الملائكة اللهم اغفرله اللهم ارحمه حتى ينصرف او يحدث قيل ومايحدث قال يفسو او يضرط وعنه عليه السلام انه قال من اتى المسجد لشئ فهو حظه وعنه عليه السلام انه قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وعنه عليه السلام انه قال اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك فاذا خرج فليقل اللهم انى اسئلك من فضلك وفى حديث آخر عن عمر ابن العاص عنه عليه السلام انه كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان عصم منى سائر اليوم وعنه عليه السلام انه قال ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار تنزوى اى تنضم وتنقبض وفى حديث جابر بن عبد الله انه قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدنا هذا وفى يده عرجون بن طاب يعنى نوعا من الوان التمر قال فنظر فراى فى قبلة المسجد نخامة فاقبل عليها فحتها بالعرجون ثم قال ايكم احب ان يعرض الله عز وجل عنه فقال ان احدكم اذا قام يصلى فان الله قبل وجهه فلا

يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى فان عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا ووضعه على فيه ثم دلكه اروني عبيرا فقام فتى من الحي يشتد الى اهله فجاء بخلوق في راحته فاخذه عليه السلام فجعله على راس العرجون ثم لطخ به على اثر النخامة قال جابر فمن هنالك جعلتم الخلوق في مساجدكم وعن النخعي انه قال كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من غدا او راح الى المسجد لا يريد غيره ليتعلم خيرا او يعلمه ثم يرجع الى بيته كان كالمجاهد في سبيل الله يرجع غانما وقال عليه السلام رهبانية امتي عمارة المساجد وعن الحسن بن علي انه قال من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى خمس خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء وعنه عليه السلام انه قال المساجد بيوت المتقين وقال انما جعلت لذكر الله والصلاة وعن انس بن مالك انه قال من اسرج سراجا في المسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي حديث الربيع عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طهرت المساجد من ثلاثة من ان ينشد فيها بالضالة او يتخذ فيها طريقا او يكون فيها سوق وقال ابن عباس ولا باس بانشاد الضالة على ابواب المساجد وعن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم

انها قالت يا رسول الله افتنا فى بيت المقدس قال ايتوه
فصلوا فيه وكانت البلاد اذ ذاك حربا فان لم تاتوه وتصلوا
فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله والله اعلم وعن ابن
عباس رضى الله عنه انه قال قال النبى عليه السلام ما امرت
بتشييد المساجد ثم قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت
اليهود والنصارى وفى حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد
وفى حديث انس انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى
حيث ادركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم ثم انه امر ببناء
المسجد فارسل الى بنى النجار فقال لهم ثامنونى بحائطكم هذا
فقالوا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله قال انس وكان فيه
قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل فامر عليه
السلام بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع
فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة وفى
حديث ابن عمر انه قال ان مسجد النبى عليه السلام كانت
سواريه على عهده من جذوع النخل اعلاه مظلل بجريد
النخل ثم انها نخرت فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه فبناها
بجذوع النخل وبجريد النخل ثم انها نخرت فى خلافة عثمان
فبناها بالآجر فلم تزل ثابتة حتى الآن وفى حديث آخر
لم يزد فيه ابو بكر وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد
النبى عليه السلام باللبن والجريد واعاد عمده قال
مجاهد عمده خشب فغيره عثمان فزاد فيه زيادة
كثيرة وبنا جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده

قال

قال مجاهد من حجارة منقوشة وسقفه بالساج والله اعلم ويروى ان عليا كتب الى بعض قضاته فقال احذروا النزاويق والشرافات في المسجد فان المسجد جم قيل معناه كالشاة الجما التي لا قرون لها وعن النبي عليه السلام انه قال جعلت لى الارض مسجدا الحديث وعن عطاء الخرساني انه قال ما من عبد سجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت ويقال الصلاة في المسجد باربع وعشرين صلاة وفي المصلى باثنتي عشرة وفي الحديث الصلاة في مسجد النبي عليه السلام خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد وفي المسجد الحرام بمائة الف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة والله اعلم وعن انس بن مالك انه قال ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة او ذكر الا فتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل عليها الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل نزله قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم وعن علي بن ابي طالب انه قال اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرا فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا والله اعلم

*

* (الفصل الثالث في فضيلة الصلوات وعقوبتها) *

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا اى فرضا موقتا وقال تعالى حافظوا على
الصلوات الآية وقال تعالى لنبيه عليه السلام اقم
الصلاة طرفى النهار وقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام حين
تكلم فى المهد واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا
وقال تعالى مخبرا عن اسمعيل عليه السلام وكان يامر
اهله بالصلاة والزكاة الآية وقال تعالى مخبرا عن الانبياء
عليهم السلام واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة
الآية فى امثال هذه مما يطول به الكتاب وصح عن النبى
عليه السلام انه قال لكل شئ عمود وعمود الدين الصلاة
وعمود الصلاة الخشوع وخيركم عند الله اتقاكم وعنه
عليه السلام انه قال لا ايمان لمن لا صلاة له ولا صلاة
لمن لا وضوء له ولا وضوء ولا صلاة لمن لا صوم له ولا
صوم الا بالكف عن محارم الله وعنه عليه السلام
انه قال الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الايمان
وقال بنى الاسلام على خمس على ان يوحد الله تعالى واقام
الصلاة وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت
من استطاع اليه سبيلا وعنه عليه السلام انه قال
من هانت عليه صلاته كان على الله اهون وعنه عليه
السلام انه قال الا ادلكم على ما يمحوا الله به الخطايا
ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال عليه
السلام اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى

المساجد في الظلمات وانتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه
عليه السلام انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة
ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر
وعنه عليه السلام انه قال الصلاة نور والصدقة برهان
والصبر ضياء والقرآن حجة لك وعليك وعن ابي امامة
عنه عليه السلام انه قال من خرج من بيته متطهرا الى
صلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح
الضحى لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر الحاج المعتمر وصلاة
على اثر صلاة لا لغو فيها كتب في عليين وعنه عليه السلام
انه قال زكوا تفلحوا صلوا تنجحوا وصوموا تصحوا وسافروا
تغنموا وعنه عليه السلام انه قال يتعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة الفجر فيعرج الذين
باتوا فيكم فيسئلهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي
فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون
الربيع بن حبيب عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال خمس صلوات كتبهن الله على العبد
في اليوم والليلة فمن جاء بهن لم يضيع من حقهن شيئا جاء
وله عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن نقص من حقهن
شيئا جاء وله عند الله عهد ان يدخله النار وعنه صلى
الله عليه وسلم من طريق سلمان الفارسي رحمه الله انه
قال الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد
علمتم ما قال الله في المطففين رواه جابر بن زيد عن سلمان
موقوفا وعنه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر اخوان عنده

هلك احدهما فقال عليه السلام ومايدريكم مابلغت
به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب
احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك
يبقى من درنه شئ قالوا لا شئ قال صلى الله عليه وسلم
فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن
فانكم لا تدرون ما بلغت به صلاته وعنه عليه السلام
قال الصلاة علم الايمان فمن حفظها وحافظ عليها الوقتها
بحدودها وفرائضها وسننها فهو مؤمن وعنه عليه السلام
قال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من لقى الله وهو مضيع
للصلوات لم يعبأ الله عز وجل بشئ من حسناته وعنه صلى
الله عليه وسلم انه سئل اى الاعمال افضل فقال الصلاة
لمواقيتها وعنه عليه السلام انه قال من حافظ على الخمس
باكمال طهورها ومواقيتها كن له نورا وبرهانا يوم القيامة
ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال مفتاح الجنة الصلاة وعنه عليه السلام
انه قال ما افترض الله عز وجل على خلقه بعد التوحيد
احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه منها
لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم
وقاعد وعنه عليه السلام انه قال من ترك الصلاة
كفر وقال عليه السلام العهد الذى بيننا وبينكم
ترككم الصلاة فمن تركها فقد كفر وفى خبر آخر من
طريق الربيع باسناد عنه عليه السلام قال ليس بين

العبد والكفر الا تركه الصلاة وعن علي بن ابي طالب
وجماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء انهم قالوا
تارك الصلاة كافر وعن علي ايضا من ترك الصلاة فقد
خرج من الايمان ابو سفيان محبوب بن الرحيل العبدي
رحمه الله عن المعتمر بن عمارة بن سالم بن ذكوان الهلالي
قال ما لقي الله عبد بذنب اعظم من ترك الصلاة
وعن عمر بن الخطاب رحمه الله انه قيل له الصلاة
يا امير المؤمنين فقال وجرحه ينبعث دما نعم ولاحظ
في الاسلام لاحد ترك الصلاة وعن ابن مسعود رحمه
الله قال من لم يصل فلا دين له وعن النبي عليه السلام
انه قال من ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد
صلى الله عليه وسلم ويروى ان اول ما ينظر من عمل
العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت
منه وقبل سائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه
ورد سائر عمله وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
كان يكتب الى عماله ان اهم اموركم عندي الصلاة فمن
حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها احفظ ومن ضيعها
فهو لما سواها اضيع وقد عاب الله اقواما وذمهم
وتوعدهم بالوعيد الشديد والعذاب الاليم بتضييعهم
بعض حقوقها فكيف التارك لها فقال فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة الى قوله غيا وعن عمر بن عبد العزيز
قال اضاعوها اي ضيعوا حدودها ومواقيتها وقوله
فسوف يلقون غيا قيل واديا في جهنم وقال تعالى

فويل للمصلين الآية وقد امر الله نبيه بجهاد العدو ووضع السيف في اهل الكفر بالله ولم يامره بالكف عنهم الا بعد تادية الصلاة وقرنها بالايمان به فقال تعالى اقتلوا المشركين الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة الآية وجاء عنه عليه السلام انه نهى عن قتل المصلين فثبت بدليل الخطاب قتل غير المصلين فلعمري ان الذى عليه اكثر سلف الامة من كل المذاهب استتابة تارك الصلاة فان تاب وارتدع وصلى والا ضربت عنقه وعنه عليه السلام انه قال يا ابا هريرة مر اهلك بالصلاة فان الله تعالى يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه فيما بلغنا اذا حضرت الصلاة قال قوموا الى ناركم التى اوقدتموها فاطفئوها وفى حديث ابى ذر رضي الله عنه انه قال من تهاون بالصلاة ثلاثة ايام مع لياليها عاقبه الله بخمس عشرة خصلة ست فى حياته وثلاث عند موته وثلاث فى قبره وثلاث فى المحشر اما اللواتى فى الحياة فينزع البركة من رزقه وعمره وينزع سيم الصالحين من وجهه ولا يستجاب دعاءه ولا يقبل عمله ولا يجد ثواب عمله واما اللواتى عند الموت فانه يموت جائعا عطشانا ذليلا واما اللواتى فى القبر فضيق القبر وظلمته وعذابه فى البرزخ حتى تقوم القيامة واما اللواتى فى المحشر فانه يسحب على وجهه ويعذب عذابا اليما وينادى عليه مناد هذا جزاء من ضيع ما افترض الله عليه وعنه عليه

السلام

السلام انه قال ما اعطى العبد خيرا من ان يؤذن له
فى ركعتين يصليهما وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضات
الرب وحب الملائكة وسنة الانبياء واصل الايمان
واجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركة فى الرزق وراحة
الابدان وسلاح الاعداء وكراهية الشيطان وشفيع
لصاحبها عند الموت وسراج فى القبر وفراش لجنبه
وجواب منكر ونكير ومؤنس معه وزائر له فى قبره
فاذا كانت القيامة صارت الصلاة ظلا فوقه وتاجا
على راسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين يديه
وسترا بينه وبين النار وحجة بين يدى الرب تعالى
وثقلا فى الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة
لان الصلاة تحميد وتسبيح وتمجيد وتعظيم وقراءة
ودعاء فيها يتوصل العبد الى الملك الاعلى وبها يصرف
عنه البلاء كما حكى فى الخبر ان ادم عليه السلام
نزلت به قرحة فى ابهام رجليه ثم ارتفعت الى قدميه
ثم ارتفعت الى ركبتيه ثم الى حقويه ثم قام يصلى فنزلت
الى ركبتيه ثم قام يصلى فنزلت الى قدميه ثم قام
يصلى فذهبت من جميع جسده وعن عثمان بن عفان
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما توضأ عبد فاحسن الوضوء ثم اتى الصلاة الا غفر
الله له ما بينه وبين الصلاة الاخرى فالتمست ذلك
فى كتاب الله تعالى فاذا هو فى سورة المائدة فى قوله

اذا قمتم الى الصلاة الى قوله وليتم نعمته عليكم
فعلمت ان تمام النعمة على المصلين تطهيرهم من
الذنوب واتمام المغفرة وعن سعيد بن المسيب انه
قال حضرت الوفاة رجلا من الانصار فقال من فى
البيت فقالوا اهلك واخوانك وجلساؤك فى المسجد
فقال اقعدونى فاسنده ابنه الى صدره ففتح عينيه
وسلم على القوم فردوا عليه السلام وقالوا خيرا فقال
اما انى احدثكم حديثا ما حدثت به احدا منذ سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما احدثكم به الا
ايمانا واحتسابا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد
يصلى فى جماعة المسلمين لم يرفع رجله اليمنى الا كتبت
له حسنة ولا يضع رجله اليسرى الا محيت عنه سيئة
حتى ياتى المسجد فليقترب او يتباعد فاذا صلى الصلاة
انصرف وقد غفر له وكان عبد الله بن عمر فيما بلغنا يقول
ان خطايا الانسان فى راسه فاذا سجد انحطت الذنوب
والخطايا من راسه وعن النبى عليه السلام انه قال اول
ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة الصلاة يقول
الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا الى صلاة عبدى
فان كانت تامة فاكتبوها تامة وان كانت ناقصة قال
انظروا الى ماله من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا
فرضه من تطوعه رحمة منه على عبده يريد ما نقص
منها سهوا والله اعلم

*

الفصل

(الفصل الرابع في فضل الخشوع)

قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون في امثالها من الآيات ومعنى الخشوع الخوف الثابت في القلب فاذا كان القلب خاشعا خائفا اورث ذلك تيقظا فيه وسكونا في الجوارح كما قال عليه السلام وقد نظر الى رجل يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال تعالى اقم الصلاة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال عز وجل لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقيل ان المراد به ظاهره وفيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون فكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال بعض العلماء الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وعن عمرو بن دينار قال ليس الخشوع في الركوع والسجود ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة وقيل هو ان لا ترفع بصرك عن موضع سجودك وقال بعضهم يحتاج المصلي الى اربع خصال حتى يكون خاشعا اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الهمة وهذا هو الاصل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وهو مروي في الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا انما الصلاة تمسكن وتواضع

وتضرع وتبائس وتنادم وتقنع راسك فتقول اللهم
اللهم فمن لم يفعل فهى خداج وروى عن الله سبحانه فى
الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل تقبل صلاته
انما تقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على واطعم
الجائع الفقير لوجهى وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت
الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة
ذكر الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو
المقصود والمطلوب عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك
وقال صلى الله عليه وسلم للذى اوصاه اذا صليت
صلاة فصل صلاة مودع قيل معناه مودع لنفسه
مودع لهواه مودع لعمره سائرالى مولاه كما قال تعالى
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال
تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله
عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد بها من الله الا بعدا والصلاة مناجات فكيف
تكون مع الغفلة وعن بكر بن عبد الله انه قال من
مثلك يا ابن آدم اذا اردت ان تدخل على مولاك بغير اذن
دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل
محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فكلمه
بغير ترجمان وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا
حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا
بعظمة الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله

الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم
الخليل عليه السلام فيما بلغنا اذا قام الى الصلاة يسمع
اضطراب قلبه على ميلين وكان بعض العلماء اذا صلى
لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ويروى ان
الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني
من الحور العين فقال له بئس الخاطب انت تخطب
الحور العين وانت تعبث ويروى انه قيل لخلف بن
ايوب الا تؤذيك الذباب في الصلاة فتطردها فقال
لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف
تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت
اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك
فكيف وانا قائم بين يدي ربي افا تحرك لذبابة ويروى
عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة قال لاهله
تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم ويروى عنه انه كان
يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد
فاجتمع الناس لذلك ولم يشعر به حتى انصرف من
الصلاة وكان علي بن ابي طالب اذا حضر وقت الصلاة
يتزلزل ويتلون فقيل له مالك يا امير المؤمنين فيقول
جاء وقت امانة عرضها الله عز وجل على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وروي عن علي
ابن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله
ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين
يدي من اريد ان اقوم وعن ابن عباس رضي الله عنه

انه قال قال داود عليه السلام الهى من يسكن بيتك وممن تتقبل منه الصلاة فاوحى الله تعالى اليه انما يسكن بيتى واتقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من اجلى يطعم الجائع ويأوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضيء نوره فى السماء كالشمس ان دعانى لبيته وان سألنى اعطيته اجعل له فى الجهل علما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا وانما مثله فى الناس كالفردوس فى الجنان لا تتيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حان وقت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذى اريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم اقوم فى مصلاى فاجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن يسارى وملك الموت وراءى واظنها آخر صلاتى ثم اقوم بين الرجاء والخوف فاكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واجلس على التمام واتشهد بالسنة واتبعها بالاخلاص ثم لا ادرى اقبلت منى ام لا * (فصل) * اعلم ارشدك الله وايانا لطاعته ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى وعظمته ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غيرها بل فى جميع خلواته فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة

تقصير العبد في حق عظمته تعالى فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله تعالى وخضوعا له وفي كتاب الغزالي قال وكان الربيع بن ختيم فيما بلغنا من شدة غضه للبصر واطراقه الى الارض يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود رحمه الله صديقك ذلك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود على الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاة ولم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع فيما بلغنا يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي والله اعلم وروى عن ابي بلال مرداس رحمه الله انه اجتاز على اعرابي يهنا بعيراله بالقطران فلما رآه سقط مغشيا عليه فجعل الاعرابي يقرأ اذ نرظن انه مجنون فلما افاق قال له ليس بي ما ظننت ولكني رايت القطران فتذكرت

قطر ان النار فقال الاعرابي لاجرم لا افارقك وروى عن ابي
بلال ايض انه مر بحدادين هو وصاحب له فلما نظر اليهم غشي
عليه فلم يزل الرجل يرش على وجهه الماء حتى افاق ثم سارا
فاستقبلتهما امراة جسيمة بهية ذات كسوة وهيئة فلما
نظر اليها ابو بلال سقط مغشيا عليه فلم يزل صاحبه يرش
الماء على وجهه حتى افاق فسارا فبينما هما يسيران اذ استقبلهما
رجل على برذون في هيئة عجيبة وخلفه غلمان فلما نظر اليه
ابو بلال سقط مغشيا عليه فلم يزل صاحبه يرش الماء على
وجهه حتى افاق فقال له يا ابا بلال يرحمك الله ما هذا الذى
ارى اما المرة الاولى فقد علمت انك عاينت النار بذلك
فحدثني عنك حين رايت المراة والرجل فقال اما المراة فاني
لما رايت عظمها وجسمها وما هي فيه ذكرت تقلبها في النار
فكان ما رايت واما الرجل فكنت اراه كثيرا هو يشهد مجالس
المسلمين فذكرت سوابق الشقاء فكان ما رايت وذكر في سيرة
الاشياخ ان رجلا من اهل نفنج كان يصلي على ظهر
دكان فعمل في باطنه الاسفنج فلم يشم رائحته اشتغالا
بما هو فيه وروى عن ام داود امراة ابي هارون رحمه
الله انها كانت تصلي فدخل الحنش في كمها وخرج من
الكم الآخر ولم تكسر الصلاة قالت فحسست لينه على
فخذي وكان عامر بن عبد الله فيما ذكر في كتاب الغزالي
من خاشعي المصلين قال وكان اذا صلى ضربت ابنته
الدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن
يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدث

نفسك فى الصلاة بشئ قال نعم بوقوفى بين يدى الله عز
وجل ومنصرفى الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا
مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة فى احب
الى من ان اجد فى الصلاة ما تجدون وكان يقول فيما بلغنا
لو كشف الغطاء ماازددت يقينا وكان مسلم بن يسار
منهم اذلم يشعر فيما بلغنا بسقوط اسطوانة فى المسجد
وفى كتاب الغزالى قال وتأكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج
الى القطع ولم يمكن منه فقيل انه فى الصلاة لا يحس بما يجرى
عليه فقطعت وهو فى الصلاة وقال بعضهم الصلاة من
الآخرة فاذا دخلت فى الصلاة خرجت من الدنيا وقيل لآخر
هل تحدث نفسك فى الصلاة بشئ من امر الدنيا فقال
لا فى الصلاة ولا فى غيرها فهذه صفة الخاشعين فثبت
بما ذكرنا من الاخبار والحكايات ان الاصل فى الصلاة
الخشوع واحضار القلب على ما سيأتى ان شاء الله وان
مجرد الحركات قليل الجدوى والمنفعة فى الآخرة وبالله التوفيق

(الفصل الخامس فى فضل اتمام الاركان من الركوع والسجود)
وغير ذلك فى الصلاة اعلم انه لا يستحق ثواب الصلاة
الا المقيمون لها بحدودها ووظائفها لان المصلين كثير والمقيمين
قليل ولذلك عظم الله سبحانه الصلاة فقال وانها لكبيرة
الا على الخاشعين الآية فكلما ذكر الله فى كتابه صفة المؤمنين
نسبهم فى الصلاة الى الاقامة بها فقال تعالى واوحينا
اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة الآية وقال تعالى والمقيمين
الصلاة الذين يقيمون الصلاة فى امثالها وقال فى المنافقين

فويل للمصلين وقال واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
في امثالها لان الصلاة هي خدمة الله تعالى في ارضه تتضمن
على جميع طاعات المتعبدين من الملائكة وغيرهم ولذلك
قيل ان الله تعالى خلق سبع سموات وحشاها بالملائكة
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وتعبدهم بانواع العبادات
فاهل سماء قيام حتى ينفخ في الصور واهل سماء ركع واهل سماء
سجد واهل سماء مرخية الاجنحة من هيبة الله تعالى
واهل عليين ومن حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الارض من المؤمنين فجمع الله عباداتهم كلها على
اختلافهم فيها للمسلمين في صلاة واحدة ليناولوا حظا
من عبادة اهل السموات وزادهم القرآن يتلونه فيها
فدل ما ذكرنا ان الصلاة امر عظيم وفرض جسيم وانها
معدن البر واساس الخير والاتيان بها على الكمال امر شديد
الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
ولذلك قال عيسى عليه السلام مثل الصلاة المكتوبة كمثل
الميزان من اوفى استوفى وعن يزيد الرقاشي انه قال كانت
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة
وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجلين
من امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد
وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض قيل اشار بذلك
الى الخشوع وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله عز
وجل يوم القيامة الى عبد لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده
وعنه عليه السلام انه قال اما يخاف الذي يحول وجهه

فى الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار وعن ضمام بن السائب
باسناده الى حذيفة بن اليمانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون
الصلاة حتى يقول آخر هذه الامة ما فينا منافق ولا كافر
وانا لاولياء الله حقا وحق على الله ان يدركهم الدجال وروى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال على المنبر ان الرجل
ليشيب عارضه فى الاسلام وما اكمل لله صلاته قيل
وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله
عز وجل فيها وروى عنه انه رأى رجلا لم يحسن صلاته
بقيام وركوع وسجود فعلاه بالدرة فقال والله لانتركك
تظهر النفاق بين اظهرنا وسئل ابو العالية عن قوله
تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هو الذى
يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف عن شفع ام
عن وتر فانكر عليه الحسن فقال هو الذى يسهو عن
وقت الصلاة حتى يخرج وقال بعضهم هو الذى ان
صلاها فى اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن
فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما وعن مطرف بن عبد الله
رفع الحديث الى عبد الله بن مسعود قال بينما هو جالس
فى مسجد الكوفة اذ دخل رجل بعد العصر وقد دنت الشمس
للغروب فجعل يصلى ولم يحسن صلاته فى قيام وركوع وسجود
فقال ابن مسعود الا من محتسب يقوم فيضرب عنق هذا
وروى عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى
الى العقوبة اسرع وقال بعضهم ان العبد يسجد السجدة عنده

انه تقرّب الى الله تعالى بها ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على
اهل مدينته لهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند
الله تعالى وقلبه مصغ الى هوى اومشاهد لباطل قد استولى
عليه وعن حذيفة رضى الله عنه انه نظر الى رجل يصلى لايقيم
ظهره فلما فرغ قال ا تالم ظهرك قال لا قال اما انك لو مت
على حالتك هذه كنت مخالفا لسنة رسول الله عليه السلام
واحسب انى رايت فى بعض الآثار ان رجلا خفف ركوعه
وسجوده فقال له ابن مسعود منذكم تصلى هذه الصلاة قال
منذ اربعين سنة اوما شاء الله فقال له ما صليت منذ
اربعين سنة وجاء عن النبى عليه السلام انه قال
من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها
وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة
تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى الصلاة لغير
وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها
ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك
الله كما ضيعتنى حتى اذا كانت بحيث شاء الله لفت كما
يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ماترون فى الشارب
والسارق والزانى وذلك قبل ان ينزل فيهم قالوا الله ورسوله
اعلم قال هن فواحش وفيهن العقوبة واسوء الناس سرقة
من الذى يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق صلاته قال
لايتم ركوعها ولا سجودها والآثار والاخبار فى تعظيم
الصلاة كثيرة جدا ويكفى فى ذلك تعظيم الله اياها فى كتابه

فى غير موضع قال تعالى قد افلح المؤمنون فبدا اعمالهم
بخشوع الصلاة وختمها بالمحافظة عليها ثم عاب الانسان
وذمه بالجزع والهلع والمنع للخير الا اهل الصلاة فقال
ان الانسان خلق هلوعا الى قوله الا المصلين فوصفهم
فقال الذين هم على صلاتهم دائمون فوصفهم بحسن
اعمالهم فختمها بالمحافظة على الصلاة فقال والذين هم
على صلاتهم يحافظون اولئك فى جنات مكرمون ثم
ندب اليها رسوله فقال اتل ما اوحى اليك من الكتاب
واقم الصلاة ففى تلاوة القرآن جميع الطاعة واجتناب
جميع المعاصى ثم خص الصلاة بالذكر وامره ان يامر
اهله بها فقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
ثم امر المؤمنين فقال واستعينوا بالصبر والصلاة
الآية وكذلك لما اخبر عن المؤمنين الاولين فقال والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر
المصلحين فى امثالها مما يطول به الكتاب وحض عليها
رسول الله فى جميع حالاته حتى عند خروج نفسه فقال
الصلاة الصلاة وفى لفظ آخر الصلاة الزكاة وما ملكت
اليمين ثم قال رفيع الدرجات هل بلغت ثم لم يتكلم بعدها
فيما قيل والله اعلم *

(الفصل السادس فى فضل صلاة الجماعة)

والوعد فى تاركها وعن ابى الدرداء قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ثلاثة فى قرية ولا
فى بدو ولا تقام فيهم الصلاة الا وقد استحوذ عليهم

الشيطان ثم قال عليه السلام وعليك بالجماعة وانما
ياكل الذئب القاصية قال الراوى للحديث يعنى بالجماعة
الصلاة فى الجماعة وفى حديث ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان آمر
بالصلاة فتقام ثم امر رجلا يصلى بالناس ثم انطلق
برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة
فاحرق عليهم بيوتهم ومن طريق آخر قال عليه السلام
لقد هممت ان آمر فتيتى فيجمعوا الى حزما من حطب
ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فاحرقها
عليهم قيل للراوى عن ابى هريرة الجمعة عنا او غيرها
قال صمت اذناى ان لم اكن سمعت ابا هريرة يأثره عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر جمعة ولا غيرها
وعن عبد الله بن مسعود رحمه الله قال من سره ان يلقى
الله مسلما فليحافظ على الصلوات المفروضات حيث
ينادى بهن فى الجماعة فان الله تعالى شرع لنبيكم سنن
الهدى وانهن من سنن الهدى ولقد اتى علينا زمان
وما يتخلف عنهن الا منافق معلوم نفاقه ولعمرى
لو صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم
سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وفى لفظ
آخر لكفرتم ولقد رايت الرجل يتهادى بين اثنين
حتى يقام فى الصف وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال من سمع المنادى فلم يمنعه من اتباعه
عذر لم تقبل منه الصلاة التى صلى قيل وما العذر قال

خوف او مرض فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله انى رجل ضرير شاسع الدار ولى قائد لا يلايمنى فهل لى من رخصة اصلى فى بيتى قال هل تسمع النداء قال نعم قال لا اجد لك رخصة ويقال كان بينه وبين المسجد وادمن نخل فامر عليه السلام ان يشد له حبل من بيته الى المسجد فكان يمشى اليه ومن طريق آخر قال ابن ام مكتوم يا رسول الله ان المدينة كثيرة السباع والهوام فقال هل تسمع حى على الصلاة حى على الفلاح فحيهلا واما فضلها فقد قال عليه السلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وعن عثمان بن عفان عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة وعن ابى بن كعب قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الصبح فقال اشاهد فلان قالوا لا قال اشاهد فلان قالوا لا قال ان هاتين الصلاتين اثقل الصلوات على المنافقين ولو تعلمون ما فيهما لاتيتموهما ولو حبوا على الركب وان الصف الاول على مثل صف الملائكة ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه وان صلاة الرجل مع الرجل ازكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين ازكى من صلاته مع الرجل وما كثر فهو احب الى الله وفى بعض آثار رويناها عن ابى سعيد الخدرى عنه عليه السلام انه قال اتانى جبريل عليه السلام بعد العصر معه سبعون الف ملك فقال لى يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك قد اهدى لك هدية

قال فقلت يا جبريل وما هذه الهدية قال صلاة الوتر وصلاة
الخمس في الجماعة فقلت له يا جبريل وما لامتي من صلاتها
في الجماعة فقال يا محمد ان كانا اثنين كتب الله لكل واحد منهما
بكل ركعة ثواب مائة وخمسين صلاة وان كانوا ثلاثة
كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثلثمائة صلاة وان كانوا
اربعة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ستمائة صلاة وان
كانوا خمسة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثواب الف
صلاة ومائتي صلاة وان كانوا ستة كتب الله لكل واحد منهم
لكل ركعة ثواب الفي صلاة واربعمائة صلاة وان كانوا سبعة
كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة اربعة آلاف صلاة وثمانمائة
صلاة وان كانوا ثمانية كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة
ثواب تسعة آلاف صلاة وستمائة صلاة وان كانوا تسعة
كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثواب تسعة وعشرين الف
صلاة ومائتي صلاة وان كانوا عشرة كتب الله لكل واحد
منهم ثواب ثمانية وثلاثين الف صلاة واربعمائة صلاة
فان زادوا على العشرة فلو كانت البحار مدادا والاشجار اقلاما
والثقلان كتابا لم يقدروا ان يكتبوا ثواب ركعة واحدة من
صلاة الجماعة يا محمد تكبيرة ركعة واحدة يكبرها
المصلي المؤمن مع الامام خير له من مائة الف دينار
يتصدق بها على المساكين وسجدة واحدة يسجدها
المؤمن مع الامام خير له من عبادة سنة وركعة
واحدة يركعها المؤمن مع الامام خير له من عتق
رقبة والله اعلم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال

من صلى اربعين يوما صلاة الصبح في جماعة لا تفوته منها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال من سمع المنادى ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وعن ابي هريرة انه قال لان تمتلئ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع المنادى ثم لا يجيبه ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة ولا يشغلنا عنها غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشموس فيقولون بعد السؤال كنا نسمع الاذان في المسجد ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني آتيان في نومي فقالا انطلق معنا فانطلقت معهما فاتيانى على رجل مضطجع واذا بآخر قائم على رأسه بصخرة يهوى بها الى رأسه فيشدخه بها ثم يأخذها ويرجع بها اليه فما يصل اليه حتى يرجع رأسه كما كان فيفعل به مثل المرة الاولى فقلت سبحان الله ما هذا فقالا لي انه كان ينام عن صلاة العتمة ويقال صلاة العشاء تثقل على من كان قبلنا ويكره النوم قبلها والحديث بعدها لانها كالطابع على العمل ويروى ان قوما كانوا في سفر لا يستنزلون الله اذا نزلوا ولا يستجمعون على امام فعميت ابصارهم فنودوا اذ لكم

بانكم لا تستنزلون الله اذا نزلتم ولا تستجمعون على امام فتابوا الى الله وتضرعوا فرد الله عليهم ابصارهم ويقال عن سعيد بن المسيب انه قال ما اذن المؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وعن محمد بن واسع انه قال ما اشتهي من الدنيا الا ثلاثة اخا في الله ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بلا تباعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وعن الحسن قال لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وعن النخعي قال مثل الذي يؤم بالناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه ويقال من اخذ تكبيرة الاحرام مع الامام كمن انفق مائة ناقة سود الحدق ويروى ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتهم التكبير الاول ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة وفي حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ فاحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله تعالى مثل اجر من صلاها او حضرها ولا ينقص ذلك من اجورهم شيئا والله اعلم *

(الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة)

اعلم انه ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث من البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة للرجل وجميع البدن للمراة هذا اقل السترة وان كان الثوب واسعا فليستر الرجل

ظهره وعامة بدنه فان خرج الى المسجد فليخرج بنية الزيارة ويدخل المسجد بنية العبادة وينتصب للصلاة قائما متوجها الى القبلة بنية الخدمة لله تعالى بالعبودية مقراله بالربوبية وليقم الصلاة وليؤذن اولا ان رجا من يصلي معه ولينتصب للصلاة جاعلا بين رجليه مقدار مسقط نعل او اربعة اصابع يراوح بذلك بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك فيما بلغنا مما يستدل به على فقه الرجل هذا ما يراعى في رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد حزامه الانتصاب واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرقه قليلا والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه في موضع سجوده فان لم يكن مصلا فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر ولا يخالف بين رجليه ولا يقف على اطراف اصابع احدى رجليه وذلك هو الصفن المنهي عنه وليرسل يديه ارسالا مع بدنه وليتخشع لله بقلبه وجميع جوارحه وليستقبل القبلة بوجهه وقلبه وليعلم انه مامور بالصلاة والتوجيه بها الى القبلة وليعرف صلاته تلك ويومه وشهره وليرج ثواب الله في اداء فرضه خائفا من عقابه في تضييع شيء من اوامره فاذا استوى قيامه واستقباله وتخشعه فليحضر النية على اداء صلاة معينة حضرية او سفرية ويقول رب اني عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت

اللهم اعنى على اداء فريضتك التى فرضت على ان اودى
صلاة الظهر فريضة افترضتها على ويقول بقلبه هذه
الالفاظ ليتميز بقوله اودى عن القضاء وبالفريضة
عن النفل وبالظهر عن العصر ولتكن معانى هذه الالفاظ
حاضرة فى قلبه فانها النية والالفاظ مذاكرة وليجتهد
ان يستديم النية الى آخر التكبير حتى لا تعزب عن قلبه
فاذا احضر هذه الالفاظ كما ذكرنا فانه يقول اللهم اعنى
على اداء فرضك الذى افترضت على بان اودى صلاة الظهر
فريضة افترضتها على فى يوم معلوم وشهر معلوم متقربا
بها اليك راجيا بها ثوابك خائفا بها من عقابك مستقبلا
بها فرض قبلتك وهى الكعبة التى هى قبلة لاهل المسجد
الذى هو قبلة لاهل مكة التى هى قبلة لاهل الحرم الذى
هو قبلة لاهل الارض انى وجهت وجهى للذى فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
امرت وانا من المسلمين سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك
وتعالى جدك ولا اله غيرك الله اكبر وينبغى له ان يضم
الهاء من الله بضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل
بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة
ولا يدخل بين باء اكبر ورائه الفا كانه يقول اكبار ويجزم
التكبير ولا يضمه فاذا كبر فليسكت مقدار ما يبلع ريقه
وليقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم سرا ويجمع الذاله
من اعوذ ثم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم سرا فى قراءة السر

وجهرا فى قراءة الجهر ثم يقرا فاتحة الكتاب بتمام تشديداتها
وحروفها جهرا فى موضع الجهر وذلك فى الصبح والركعتين
الاولتين من المغرب والعشاء ثم يقرا سورة ان قدر او
ثلاث ايات من القرآن فما فوقها بعد الفاتحة جهرا ومعنى
الجهر تحريك اللسان بقطع الحروف حتى يسمع اذنيه وان كان
فى صلاة السر اقتصر على الفاتحة وذلك فى الظهر والعصر
والركعة الاخيرة من المغرب والاخيرتين من العشاء
ومعنى السر تقطيع الحروف باللسان دون ان يسمع
الاذن وان لم يحرك لسانه فذلك تكييف ولا تجزيه
والمستحب فى قراءة الصبح ان يقرا من طوال سور المفصل
من سورة محمد عليه السلام الى تبارك الذى بيده الملك
ثم الى عبس ويقرا فى العتمة من عبس الى والفجر وفى المغرب
من انا انزلناه الى قل هو الله احد ويقرا فى الصبح فى السفر
من السور القصار من اذا زلزلت الى قل يايها الكافرون
وان قرا بغير ما ذكرنا فجائز ثم اذا فرغ من قراءة السورة
فليفصل بين القراءة وتكبير الركوع بقدر قوله سبحان الله
ثم يركع بتكبير يمده الى انتهاء الركوع وليمد ظهره
مستويا راسه مع عنقه كالصفيحة الواحدة لا يكون
راسه اخفض ولا ارفع وليضع كفيه على ركبتيه
واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة ولينصب
ركبتيه ولا يثنيهما وليجاف مرفقيه عن جنبيه والمراة
تضمهما وليقل سبحان ربى العظيم ثلاثا وان زاد على
الثلاثة الى سبعة فلا باس ان لم يكن اماما ثم يرتفع

من الركوع الى القيام معتدلا حتى يرجع كل عضو الى
مفصله وليقل سمع الله لمن حمده ان كان وحده
وان كان مع امام فليقل ربنا ولك الحمد ثم يهوى الى
السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ثم كفيه مكشوفة
ثم جبهته وليكن اول ما يقع على الارض منه ركبتاه
ثم يداه ثم بعد ذلك جبهته مع انفه وليجاف مرفقيه
عن جنبيه وبطنه عن فخذيه والمراة فى جميع ذلك تضمها
وليضع يديه على الارض بين اذنيه وركبتيه وليضم
اصابعهما ولا يفترش ذراعيه على الارض كافتراش الكلب
وليوصل الى الارض اكثر اصابع رجليه وليسبح ثلاثا يقول
سبحان ربى الاعلى وان زاد على الثلاث فحسن الا ان كان
اماما فليقتصر على الثلاث ثم يرفع راسه من السجود مكبرا
حتى يطمئن جالسا معتدلا حتى يرجع كل عضو الى مفصله
وليقعد بين رجليه وظاهر اليسرى مما يلى الارض وليضع
يديه على فخذيه منشورة اصابعهما ثم يرجع الى السجود مرة
ثانية وليفعل فيها كما فعل فى الاولى ثم يقوم الى الركعة
الثانية ولا يعتمد على يديه فى حين القيام الا ان يكون شيخا
كبيرا فلا باس والذى ينبغى له ان يقوم من الارض كقيام
المهر اذا تمرغ فى الارض ولا يقدم احدى رجليه فى حالة القيام
ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين القعود الى انتهاء القيام
كما يمده فى حال هبوطه الى السجود مدا يستغرق ما بينهما
ثم يصلى الركعة الثانية كالاولى ثم يجلس للتشهد واضعا
ظهر قدمه اليمنى فى اخمص اليسرى وظاهر اليسرى مما يلى

الارض واما المراة فلتفض الى الارض باوراكها و ترد رجليها الى الجانب الايمن فليقرا التحيات الى التشهد وليقم بالتكبير الى اتمام الصلاة ثم يفعل فى بقية صلاته كما تقدم ثم يجلس فى آخرها للتشهد حتى يتمها ثم يسلم تسليمة واحدة يقول السلام عليكم يصفح بها وجهه على اليمين ثم الشمال وينوى به الخروج من الصلاة وقيل ينوى به التسليم على الحفظة ولا يسلم المأموم حتى يفرغ الامام من التسليم وليحذف السلام حذفا ولا يمده فهو السنة فهذه هيئة صلاة المنفرد وبالله التوفيق *(فصل فى المناهى الواردة فى الصلاة)* وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة فالصفن هو رفع احدى الرجلين مع القيام على اطراف اصابعها ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد واما الصفد فهو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد و نهى عليه السلام فى الصلاة عن اقعاء الكلب وهو عند اهل اللغة ان يجلس الانسان على مقعدتيه ناصبا ركبتيه ويجعل يديه على الارض كالكلب وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤس اصابع الرجلين و نهى عن التفات الثعلب و نقر الديك وذلك فى الركوع والسجود و نهى عن النظر قبل الوجه و نهى عن افتراش الذراعين فى السجود كما يفعل الكلب و نهى عليه السلام عن لباس السدل والكفت وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق و عن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه اما السدل فمذهب اهل الحديث فيه فيما

ذكر في كتاب الغزالي هو ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه ولا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في داخل القميص ورخص في ذلك آخرون وهو فعل الربيع رحمه الله فيما ذكر ابو سفيان محبوب ابن الرحيل رحمه الله ولباس السدل عند اصحابنا هو ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه وقيل هو لبس الازار على الطول كما تسدل الدواب والله اعلم واما الكفت فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكفت في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي في هذا للرجال خاصة وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اراب ولا اكفت شعرا ولا ثوبا واما الاختصار فهو ان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام والصلب في معناه فيما وجدت واما المواصلة فهي اربعة اثنان على الامام وهو ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم وهو ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع في قوله عليه السلام اذا حضر العشاء واقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلاة وهو متعصب ولا يصلين احدكم

وهو غضبان ولذلك قال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الحديث سبعة اشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات الى الشئ وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصباء وان تصلى بطريق من يمر بين يديك ونهى ايضا ان يشبك بين اصابعه او يفرقعها او يستر وجهه او يضع كفه على الاخرى او يدخلها بين فخذيه في الركوع وحكى عن بعض الصحابة قال كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ونهى عن صلاة الرجل وهو يدافع الاخبثين وان ينفخ في الارض عند السجود للتطهير ويكره العبث بشئ من جوارحه وان يحمل في فمه او في غيره ما يشغله عن الصلاة وان يسوى الحصباء بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث انه لو سل ذلك الحائط سقط فقد بطلت صلاته ولا يدخل اصبعه في انفه ولا في فيه ولا في شئ من مغابن جسده ولا يمس جسده حديد ولا نحاس ولا رصاص ولا ذهب ولا حرير ولا يستقبل النائم ولا الميت ولا النار ولا العجل ولا جميع ماله صورة وشرح هذه المعاني يطول فليرجع فيه المسترشد الى كتب الصلاة او سؤال اهل التقى من العلماء وقد روى عن على بن ابى طالب انه قال ان في الصلاة اثنى عشر الف مسئلة يجمع ذلك اركان الصلاة وبالله التوفيق

*

* (فصل في تمييز فرائض الصلاة من سننها وفضائلها) *

اعلم انا قد ذكرنا هيئة الصلاة ههنا مشتملة على ما فيها من الفرائض والسنن والفضائل وذلك مما ينبغي لمريد طريق الآخرة ان يراعي جميعها لان الله تعالى قد اوجب علينا الصلاة وجعل لها اصولا واركانا لا تتم الا بها فمن ترك شيئا منها عامدا انتقضت صلاته وان كان ساهيا استدرك وسجد للسهو وسن فيها رسوله عليه السلام سننا واجبات اكيدات فمن تعمد ترك شيء منها عامدا اعاد صلاته وان سهى سجد للسهو وجعل فيها فضائل مندوبا اليها من احرزها اجر ومن تركها لم يوزر وبالله التوفيق اما جملة فرائضها فعشرون منها عشرة قبل الدخول فيها وعشرة بعد الدخول فاللواتي قبل الدخول فيها احداها الطهارة من الاحداث وازالة النجس قبل الطهارة والثانية طهارة الثوب والثالثة طهارة البقعة المصلى عليها والرابعة دخول الوقت لادائها والخامسة الستر للعورة من الركبة الى السرة للرجل وللمرأة الحرة جميع جسدها ما خلا الوجه والكفين من زينتها والسادسة القيام مع القدرة في حال فعلها والسابعة استقبال القبلة في جميعها والثامنة النية بالقلب عند التلبس بها والتاسعة استصحاب حكم النية في سائرها والعاشرة العلم بكيفيتها واما العشرة التي بعد الدخول فيها فاحداها الاحرام بلفظ التكبير او ما يقوم مقامه عند بعضهم في اولها والثانية القراءة بام القرآن فصاعدا والثالثة الركوع فيها والرابعة الاعتدال في الركوع والرفع منه في قول بعضهم والخامسة

السجود بعد الركوع والسادسة الفصل بين
السجدتين والاعتدال فيهما على قول بعضهم والسابعة
الجلوس بعده والثامنة التحيات على اختلاف بين العلماء
في انهما الفريضة الاولى والاخيرة منهما والتاسعة
ترتيب الافعال في جميعها والعاشرة استصحاب الخشوع
فيها من اولها الى آخرها * (وسننها عشرون) * ايضا
احداها الاذان لها في المساجد وحيث الائمة فرض على الكفاية
وسنة لكل احد في خاصة نفسه للرجال دون النساء والثانية
الاقامة للصلاة في حق الرجال والثالثة الصلاة بالجماعة
والرابعة التوجيه والخامسة الاستعاذة بعد التكبير
والسادسة قراءة البسملة والسابعة قراءة السورة مع
ام القرآن في الركعتين الاولتين من المغرب والعشاء وركعتي
الفجر والثامنة الجهر بالقراءة في موضع الجهر وهو فيما قدمنا
مع صلاة الجمعة والتاسعة الاسرار بفاتحة الكتاب
في الظهر والعصر وآخر المغرب والعشاء والعاشرة الانصات
لقراءة الامام اذا جهر والحادية عشر قراءة فاتحة الكتاب
للمأموم وراء الامام والثانية عشر تكبير الركوع والسجود
الا عند الرفع من الركوع فيقول الامام او المنفرد سمع الله
لمن حمده ويقول المأموم ربنا ولك الحمد والثالثة عشر
التعظيم في حال الركوع ثلاثا والرابعة عشر التسبيح في حال
السجود ثلاثا والخامسة عشر السجود على سبعة اراب
والسادسة عشر التحيات مع الاسرار بها والسابعة عشر
التسليم منها والثامنة عشر التيامن بالسلام على اليمين

ثم اليسار والتاسعة عشر الدعاء بعد الصلاة والعشرون الصلاة على النبي عليه السلام * (وفضائلها) * عشر احداها الاذان للمسافر والثانية الاقامة للنساء والثالثة توجيه ابراهيم عليه السلام والرابعة اطالة القراءة في الصبح وتخفيفها في المغرب وتوسطها في العشاء والخامسة مباشرة الارض بالجبهة والكفين عند السجود مع ايصال الانف والسادسة التجافي في الركوع والسجود بالضبعين عن الجانبين والسابعة الدنو من السترة للامام والمنفرد والثامنة الصلاة اول الوقت والتاسعة وضع البصر في موضع السجود والعاشرة المشي اليها بالوقار والسكينة والله اعلم * (فصل) * فان قال قائل تمييز فرائض الصلاة عن سننها معقول اذ تفوت صحتها بترك ركن من اركانها دون بعض سننها فاما تمييز السنن عن الفضائل فغير معقول لانه ان كان الكل مامورا به فما معنى سجود السهو لجبر السنة دون الفضيلة فان كان العقاب يتوجه لترك السنة فهي لاحقة بالفرض وان كان لا يتوجه فما معنى تمييزها عن الفضيلة اذ كان العقاب لا يتوجه الى ترك الكل والثواب مرجو على الكل فاعلم ان اشتراك الجميع في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوت درجاتها وسينكشف لك ذلك بمثال ذكره الغزالي في كتابه قال وذلك ان الصلاة كانها صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها ولا تكون كاملة الايمان باطنة واركان ظاهرة كما ان الانسان صورة صورها الله سبحانه ولا يكون انسانا كاملا الا بمعان باطنة واعضاء ظاهرة فالمعنى

الباطن هو الحياة والروح والاعضاء الظاهرة قسمان بعضها ينعدم الانسان بانعدامها كالقلب والدماغ والكبد وكل عضو تفوت الحياة بفواته والقسم الثاني اعضاء لا تفوت الحياة بفواتها ولكن تفوت بها منافع الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت الحياة بفواتها ولا تبطل منافعها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الحسن والجمال ولكن يفوت بها الكمال كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وامرنا الله بامتثالها فروحها وحياتها الباطنة هي الخشوع والاخلاص والنية وحضور القلب كما سيأتي ان شاء الله فنحن الآن في اجزائها الظاهرة والركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجري منها مجرى القلب والدماغ والكبد في صورة الانسان اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من الاسرار والاجهار والتكبير في الركوع والسجود والتعظيم والتسبيح وسائرها يجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصلاة بفواتها بالسهو كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على فرائض الصلوات دون سننها لا تقبل منه فلذلك يجبر نقصانها بسجود السهو لان من اهدى الى ملك من الملوك جارية حية مقطوعة الاطراف

مشوهة الخلقة فقد استخف بالملك وتعرض للعقوبة
واما الفضائل والهيئات من اتمام الصلاة وهيئة
اللباس واول الوقت وسائر ذلك من الفضائل التي هي
وراء السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين
واللحية والاهداب وحسن اللون واما الهيئات ولطائف
الآداب في تلك السنن من اطالة القراءة والتفكر فيها وطول
السجود والدعاء وغير ذلك فهي مكملات للصلاة تجرى
مجرى استقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرهما من
اسباب الحسن والجمال فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب
بها الى ملك الملوك وتحفة بها كجارية يهديها طالب القربة
الى بعض السلاطين يتقرب بها اليه وهذه التحفة تعرض
على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة
في تحسين صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان
اسأت فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه
ان يتميز لك السنة عن الفرض ثم يتعلق بفهمك انه يجوز
تركها اذ كانت فضيلة ولا تستدرك اذ كانت اكيدة
اذ لا عقاب عليها فتتركها فان ذلك يشبه قول الطبيب
ان عمش العينين وتشويه الخلقة لا يبطل وجود الانسان
ولكنه لا يقبله السلطان اذا اهدى اليه بل ربما يعاقب
مهديه اليه اذ كان ذلك استخفافا بحقه فهكذا ينبغي
ان تفهم مراتب السنن والهيئات والفضائل فكل صلاة
لا يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي التي تخاصم صاحبها
في الدنيا قبل خصومة الرب تعالى يوم العرض الاكبر اذ ورد

في الحديث انها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار والآيات التي اوردناها في اتمام اركان الصلاة يظهر لك وقعها وسنشير بعد هذا ان شاء الله الى شرح معانيها الباطنة وفهم اسرارها الخفية ما تزداد به يقينا ان شاء الله وبه الحول والتوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *(الباب الثالث)* في الشروط الباطنة من اعمال القلب في الصلاة وهذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول احدها في ذكر اشتراط الصلاة بالخشوع وحضور القلب الفصل الثاني في معانيها الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها الفصل الثالث فيما ينبغي ان يحضر في كل ركن من اركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة وبالله التوفيق *(الفصل الاول)* في بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله عز وجل اقم الصلاة لذكري فظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيم الصلاة لذكره تعالى وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهي ظاهره التحريم وقوله عز وجل حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهمة في الوسواس وافكار الدنيا وقوله عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع حصرها بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر بين الاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه

صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من فحشاء الوساوس وعنه عليه السلام انه قال كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل عن الاخلاص وغيره من معاني الصلاة وقوله عليه السلام ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها والتحقيق فيه ان المصلي يناجي ربه عز وجل كما جاء في الحديث عنه عليه السلام انه قال للمصلي ثلاث خصال البر يتناثر على راسه من اعنان السماء الى مفرق راسه والملائكة تحف به من لدن قدميه الى اعنان السماء وملك ينادي لو يعلم هذا العبد من يناجي ما انفتل في امثاله من الاحاديث والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكاة وان غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس لانها اخراج مال محبوب الى النفس وكذلك الصوم قاهر للهوى كاسر للشهوة التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منها المقصود اذا صحت النية في بدء الامر مع الغفلة في سائر عملها وكذلك الحج افعال شاقة شديدة وفيها من المجاهدة ما يحصل بها الابتلاء والامتحان كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اذا صحت النية في ابتدائه واما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجات فلا يخلو ان يكون المقصود منه كونه خطابا او محاورة امتحانا للقلب بالخضوع او يكون المقصود منه الحروف والاصوات امتحانا للسان باعمال التصويت كما تمتحن المعدة والفرج

بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن
القلب بمشقة اخراج الزكاة وانقطاع المال المعشوق
ولاشك ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان
ما اخفه على الغافل اذ ليس فيه امتحان من حيث انه
عمل بل المقصود من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا
اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب
فاي سؤال في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اذا
كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي
مشقة في حركة اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد اعتياد
اللسان ذلك هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان
وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واسئله حاجة ثم
خرجت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم
فيبعد ان يقال ان هذا بر في يمينه ولو جرى هذا على لسانه
في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا
يراه لما صار بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا
معه ما لم يكن حاضرا هو في قلبه ولو جرت هذه الكلمات
على لسانه وهو حاضر في بياض النهار الا ان المتكلم غافل عنه
لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يقصده بالخطاب
عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولاشك في ان المقصود من
القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب
هو الله عز وجل وقلبه محجوب عنه بحجاب الغفلة فلا يراه
ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم
العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت

لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله تعالى ورسوخ عقد الايمان بذلك هذه احكام القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لاسبيل الى انكارها فى النطق وتميزها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوعا بين يديه وهو غافل عنه٧ واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ما ارى ان هذه العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة بلا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فاما اذا اضيف اليها حضور القلب بالمناجات فحينئذ تقدما على الصوم والزكاة والحج وغيره من القربات والضحايا التى هى مجاهدة النفس لتعظيم الملك الاعلى قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم اى الصفة التى استولت على القلب وغلبت عليه حتى حملته على امتثال الاوامر هى المطلوبة منكم فكيف الامر فى الصلاة فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قال قائل فان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها فقد خالفت به اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند تكبيرة الاحرام فاعلم انه قد تقدم فى قنطرة العلم ان الفقهاء لا ينظرون

٧ [illegible] وهو غافل عنه

فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة
بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح
وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان
بفعل الصلاة فاما انه هل ينفع فى الآخرة فليس
ذلك من حدود الفقه بعلم الاحكام الظاهرة على انه
لا يمكن ادعاء الاجماع فى هذا اذ نقل عن الحسن انه قال
كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع وعن
سفيان الثورى انه قال كل صلاة امرء لم يخشع فيها
القلب فسدت وعن معاذ بن جبل اذا عرف المصلى من
على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له
وروى ايضا مسندا عن جابر بن زيد رحمه الله انه قال اجمع
علم العلماء على ان ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها
ورفع ايضا مسندا الى النبى صلى الله عليه وسلم وادعى مثل
هذا الاجماع عبد الواحد بن زيد فيما ذكر الغزالى فى كتابه
وروى عن عمار بن ياسر رحمه الله عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ان العبد ليصلى الصلاة ولا يكتب له منها
نصفها ولا ثلثها ولا ربعها الى عشرها وانما يكتب للعبد
من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا
فكيف لا يتمسك به وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء
المتورعين وعن علماء الآخرة المحتاطين اكثر من ان يحصى
والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآيات ظاهرة
فى هذا الشرط الا ان مقام الفتوى فى التكليف الظاهر
يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس

احضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الخاشعين المخلصين وقليل ما هم واذا لم يمكن اشتراط ذلك فى جميع الصلاة لضرورة العجز فلا بد ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة واولى اللحظات لحظة تكبيرة الاحرام فاقتصر الشرع فى التكليف على ذلك ونحن مع ذلك نرجوا ان شاء الله ان لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك لها بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فنخشى ان يكون حال الساهى اشد من حال التارك كيف لا والذى يحضر خدمة الملك ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة واذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعد فى الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما اتفقوا عليه من الصحة مع الغفلة فان ذلك ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة فان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك فبقدر الزيادة عليه

تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به
قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير
كحي لا حراك به وبالله التوفيق *

(الفصل الثاني في بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة)
اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ستة
جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء
والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها
فيشتمل حينئذ هذا الفصل على ثلاث جمل الاولى في تفصيل
هذه المعاني الثانية في اسبابها الثالثة في علاج اكتسابها
الجملة الاولى في التفاصيل وفيها ستة اقسام القسم الاول
في حضور القلب ومعناه تفريغ القلب عن غير ما هو ملابس
له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا
يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير
ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم تكن فيه
غفلة عن كل شيء هو مشتغل به فقد حصل حضور
القلب الثاني في التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء
حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا
يكون حاضرا في معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم
بمعنى اللفظ هو المراد بالتفهم وهذا امر يتفاوت الناس
فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن
والتسبيحات فكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في
اثناء صلاته ولم تكن قبل ذلك خطرت بقلبه فمن هذا
الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها

تفهم امورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة
الثالث التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والفهم
اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم
لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما الرابع
الهيبة وهي زيادة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه
التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب
وسوء الخلق من العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة
لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة
فالهيبة خوف مصدره الاجلال الخامس الرجاء ولا شك
انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف
سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا
بصلاته ثواب الله عز وجل كما انه خائف لتقصيره عقاب
الله عز وجل السادس الحياء وهو زائد على الجملة لان
مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور
التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون
توهم تقصير وارتكاب ذنب وبالله التوفيق

الجملة الثانية في اسباب هذه المعاني الستة اما
حضور القلب فان سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك
فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب
شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه فالقلب اذا لم
يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما
الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج
لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة

لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط
بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى
وان الصلاة وسيلة الى الآخرة فاذا اضيف هذا الى
حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها
حضور القلب فى الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك
اذا حضرت بين يدى بعض الاكابر ممن يقدر على مضرتك
ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك
الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا
تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن فى
تقوية الايمان وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع ان
شاء الله واما التفهم فان سببه بعد حضور القلب ادمان
الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه هو علاج
احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر
الشاغلة هو قطع موادها اعنى النزوع عن تلك الاسباب
التى تجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف
عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب
يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب
غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر واما التعظيم
فهى حالة للقلب تتولد فى القلب من معرفتين احداهما
معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وذلك من اصول
الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه
والثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا
مسخرا مربوبا فيتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار

والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تمتزج
معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة
التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الامن على
نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون
الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهى معرفة
حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف
فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى وسطوته
ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالات به وانه لو اهلك
الاولين والآخرين لم ينقص ذلك من ملكه مثقال ذرة
هذا مع مطالعة ما يجرى على الانبياء والاولياء من المصائب
وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من
ملوك الارض وبالجملة كلما ازداد العلم بالله تعالى ازداد الخشية
والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل
وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى
وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة
بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء
فاستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام
بعظيم حق الله تعالى ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس
وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلها وميلها الى الحظ
العاجل فى جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال
الله سبحانه والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب
وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا
انبعثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب

هذه

هذه الصفات فكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في باب اليقين والله اعلم * (فصل) * اعلم ان القلب يخشع بقدر اليقين ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروى انه اوحى اليه قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي قدمنا ذكرها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث لا يحس ما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار فيما بلغنا سقوط اسطوانة في المسجد اجتمعت الناس عليها وبعضهم يحضر الجماعة

مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره وما روى من ان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام كان يسمع على ميل وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد فى همم بنى الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد منهم على ملك او وزير ويحدثه بمهمه ويخرج من عنده ولو سئل عن من حوله اوعن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه بنفسه عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور يوم القيامة فى الدار الآخرة ولا ينجو منها الا من اتى الله بقلب سليم وبالله التوفيق * (الجملة الثالثة) * فى بيان الدواء النافع فى حضور القلب اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره ولا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كان قوتها بقدر تحقيقه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر

وغيبة القلب عن المناجات والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشئ الا بدفع سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا فى ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره ويتسلسل فيكون الابصار سببا للافكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض فمن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد ان يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يقصر نظره فى موضع سجوده او على طرف انفه وان يقرب من غض البصر حتى لا يحقق النظر او يصلى فى بيت مظلم ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه وان يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع والطرق وفى المواضع المنقوشة المصبوغة وعلى الفرش المصنوعة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة فى ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابة الا محاها واما الاسباب الباطنة فهى اشد فان من تشعبت به

الهموم فی اودیة الدنیا لم ینحصر فکره فی فن واحد بل لا یزال یطیر من جانب الی جانب وغض النظر لا یغنیه فی ذلک فان ما وقع فی القلب من قبل کاف فی الشغل فهذا طریقه ان یرد النفس قهرا الی فهم ما یقرءه فی الصلاة ویشغلها به عن غیره او یعینه علی ذلک بان یستعد له قبل تکبیرة الاحرام ولو بطرفة عین ذکر الآخرة وموقف المناجات وخطر المقام بین یدی الله سبحانه والعرض علیه وهول المطلع ویفرغ قلبه قبل التحریم بالصلاة من جمیع ما یهمه فلا یترک لنفسه شغلا یلتفت الیه خاطره قال الاوزاعی کانوا یستحبون ذکر المعاد وشبهه عند حضور الصلاة فانه قلما قام رجل الی الصلاة وقلبه مشغول بشیء الا غلب علیه فی صلاته وقد روی عن النبی علیه السلام قال لعثمان بن شیبة انی نسیت ان اقول لک تخمر القرآن الذی فی البیت او قال القدر الذی فی البیت فانه لا ینبغی ان یکون فی البیت شیء یشغل الناس عن صلاتهم فهذا طریق تسکین الافکار فان کان لا یسکن هائج افکاره بهذا الدواء المسکن فلا ینجیه الا المسهل الذی یقطع مادة الداء من اعماق العروق وذلک ان ینظر فی الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شک فی انها تعود الی مهماته وانها انما صارت مهما بشهواته فیعاقب نفسه بالنزوع عن تلک الشهوات بقطع تلک العلائق فکل ما یشغله عن صلاته فهو ضد دینه وجند ابلیس عدوه فامساکه

اضرعليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روى
انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى اتاه بها
ابو جهم وعليها علم فصلى بها ثم نزعها بعد صلاته
وقال عليه السلام اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى
آنفا عن صلاتى واتونى بانبجانية له وهى كساة لابى
جهم وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم
نظر اليه فى الصلاة اذ كان جديدا فامر ان ينزع عنه
ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم قد اتخذ
نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى
عز وجل كى لا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى اول
سائل لقيه ثم امر عليا فيما بلغنا ان يشترى له
نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما وكان صلى الله
عليه وسلم فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على
المنبر فرماه وقال نظرت اليه ونظرت اليكم وروى ان
طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فاعجبه دبسى طار
فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر
كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه
من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة ضعه حيث
شئت وعن رجل آخر انه صلى فى حائط له والنخل
مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدركم صلى فذكر
ذلك لعثمان فقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله فباعه
عثمان بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر
وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع

لمادة العلة ولا ينبغي غيره واما الذي ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فانه انما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلواتك في شغل المجاذبة ومثال ذلك كمثل رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره فكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بعصى هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير ويعود الى تطييرها بالعصا فقيل له ان هذا اسير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا اشتعلت في القلب وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وكانجذاب الذباب الى الانجاس والاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب اب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد منها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزودها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجات في الصلاة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا

هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع فبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهد وا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون فيهما انفسهم بشئ من امر الدنيا فعجزوا عن ذلك وذلك لا مطمع فيه لامثالنا وليته يسلم لنا من الصلاة شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثال الماء الذى يصب فى قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة ولا يجتمعان فنسئل الله العفو والعافية مما ابتلينا به من الشهوات انه مقيل العثرات

(الفصل الثالث من هذا الباب فى بيان تفصيل)

(ما ينبغى ان يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من اعمال)

الصلاة اعلم ايها المسترشد لسلوك طريق الآخرة انه ينبغى لك ان لا تغفل ولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة واركانها اما الشروط والسوابق فهى الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية اما الاذان فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوأ بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال قيل فى كتاب الغزالى معناه ارحنا بالصلاة وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه

فيها صلى الله عليه وسلم واما الطهارة فاذا اتيت بها فى
مكانك وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهى غلافك الاقرب
ثم فى بشرتك وهو قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذى
هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على
مافرط منك وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها
باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان
معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك
موقع نظر الخلق فما رايك فى عورات باطنك وفضائح سريرتك
التى لا يطلع عليها الا ربك عز وجل فاحضر تلك الفضائح
ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين
الله سبحانه ساتر وانما يسترها الندم والحياء والخوف فتستعد
فى احضارها فى قلبك بانبعاث جنود الخوف والحياء من
مكامنها فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم
بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم الآبق الذى ندم
فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال
فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله
افترى ان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله عز وجل
ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر
تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى
جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فانها اذا بغت وظلمت فى
حركاتها والتفاتاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت
به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك
واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف

التمريغ

عن غيره فكذلك القلب لا ينصرف الى الله عز وجل الا
بالتصريف عن ما سوى الله تعالى وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه
وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته امه واما
الانتصاب قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى
الله عز وجل وليكن راسك الذى هو ارفع اعضائك مطرقا
مطاطيا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها
على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترأس
والتكبر وليكن على قلبك ها هنا ذكر خطر المقام بين يدى
الله عز وجل وهول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم فى
الحال انك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك
فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت
تعجز عن معرفة كنه جلاله وعظمته تعالى بل قدر فى دوام
قيامك فى صلواتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالية من
رجل صالح من قومك واهلك او ممن ترغب فى ان يعرفك
بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك
وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز
المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك
عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك
تدعين معرفة الله تعالى وحبه افلا تستحيين من اجترائك
عليه مع توقيرك عبدا من عباده وتخشى الناس ولا تخشاه
وهو احق ان تخشاه ولذلك لما قال ابو هريرة كيف
الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحيي منه كما

تستحيي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم
على اجابة الله عز وجل فى امتثال امره بالصلاة واتمامها
والكف عن نواقضها ومفسداتها والاخلاص بجميع
ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من
عقابه وطلبا للقربة متقلدا المنة منه تعالى لاذنه لك
فى المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم فى
نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي
وعند هذا ينبغى ان يعرق جبينك من الخجل وترتعد
فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما
التوجيه فاول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر
السموات والارض حنيفا وليس المراد بالوجه وجه ظاهر
البدن فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه
مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك اليه
وانما وجه القلب هو الذى يتوجه به الى فاطر السموات
والارض فانظر اليه اهو متوجه الى امانيك وهمك
فى البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر
السموات والارض اياك ان يكون اول مفاتحتك المناجاة
بالكذب والاختلاف ولا ينصرف الوجه الى الله تعالى الا
بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وان
عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا واذا
قلت حنيفا ومعناه مسلما مائلا عن غير الله اليه فينبغى
ان تخطر ببالك ان المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه
ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى ان تعزم

عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال
فاذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك
الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا انزل فيمن
يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس فكن منتفيا من
هذا الشرك وغيره واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت
نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا
الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه
واذا قلت ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين فاعلم ان هذا حال عبد مفقود عن نفسه
موجود لسيده فانه ان كان يصدر في افعاله عن
رضاه وغضبه في قيامه وقعوده ورغبته في الحياة
ورهبته من الموت فكان جميع ذلك لامور الدنيا لم
تكن ملائما للحال فاجتهد لاخلاص جميع افعالك
واحوالك لله تعالى والتبري عن حولك وقوتك الا له
تعالى واما التسبيح في قولك سبحانك اللهم فاعتقد
تنزيه الله تعالى عن جميع نقائص الصفات وفي قولك
تبارك اسمك وتعالى جدك اعتقد تعظيم الله ووصفه
بجميع محامد الصفات وكمال الذات ولا اله غيرك
اعتقد وحدانيته وافراده عن خلقه بالالوهية والعبادة
وانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه في اسم ولا صفة ولا ذات
ولا فعل الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
واما التكبير فاذا نطقت به لسانك فينبغي ان لا يكذبه

قلبك وان كان فى قلبك شئ هو اكبر من الله سبحانه فالله يشهد انك لكاذب كما يشهد على المنافقين انهم لكاذبون اذ يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم فان كان هواك اغلب عليك من امر الله فانت اطوع له منك لله عز وجل فقد اتخذته الها وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما بمجرد اللسان وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه واعتقد بالتكبير تعظيم الله عن كل شئ وحرم على نفسك ما كان حلا لا لك فى غير الصلاة واما الاستعاذة فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله سبحانه وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه ان يعيذك منه هو ترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فان من قصده سبع اوعدو ليفترسه او يقتله فقال له اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت فى مكانه غير هارب منه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا بتبديل المكان والهرب فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله تعالى من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال عز وجل فيما

روى عنه لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الرحمن واعلم ان من مكايده شغله اياك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك بذلك عن فهم ما تقرأ من القرآن لان كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها والله اعلم واما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كانه يسمعه من غيره وهي درجة اصحاب اليمين ورجل سبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله معناه ان الشكر لله اذ النعم كلها من الله ومن يرى من غير الله عز وجل نعمة او يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث انه مسخر له من قبل الله تعالى ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر قلبك التعظيم والخوف بقولك ملك يوم الدين

اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى عن الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التفويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين بسؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا الى جوارك ويفضى بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزايغين من اليهود والنصارى والصابئين وامثالهم من الضالين وبالله التوفيق فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون من الذين قال الله فيهم قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل قال عليه السلام فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدنى عبدى فيقول العبد الرحمن الرحيم فيقول الله اثنى على عبدى وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده قال عليه السلام فيقول العبد ملك يوم الدين فيقول الله مجدنى عبدى فيقول العبد اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله هذه بينى وبين

عبدى ولعبدى ما سال فيقول العبد اهدنا الصراط المستقيم الى آخر الفاتحة فيقول الله هؤلاء لعبدى ولعبدى ما سال واعلم انه لو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغى ان تفهم ما تقراه من سورة كما سياتى ذلك فى موضعه ان شاء الله فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته ولحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والترك حق النهى والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء عليهم السلام فهكذا كان حال السلف الصالح عند قراءة القرآن وفى الحديث عن حذيفة رضى الله عنه انه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا بسورة البقرة فكان لا يمر بآية العذاب الا استعاذ ولا بآية الرحمة الا سال ولا بآية تنزيه الا سبح وعن ابى بلال مرداس بن جدير رحمه الله انه كان يقول ما اتيت على آية من القرآن فيها ذكر خطيئة كنت عملت بها الا استغفرت الله تعالى منها قال وانى لاحفظ كل شئ تكلمت به منذ اصبحت مخافة ان اخطى والله اعلم وعن الحسن انه قال ما قرات آية فجاوزتها حتى تدبرت فيما انزلت وما عنى بها وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال الله سبحانه وننزل من القرآن ما هو شفاء الى قوله خسارا ويقال ان الملائكة تكتب صلوات

الناس بالزيادة والنقصان بقدر الخشوع فيها فينبغي للانسان ان يتفهم معانى القرآن تعظيما لله عز وجل واجلالا له فاذا قرأ آية فيها تعظيم لله عز وجل او تنزيه او خبر عن من اهلكه الله تعالى فان استطاع ان يموت فليمت والا فليتماوت وروى ان زرارة بن اوفى ام في صلاة الفجر فلما انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور الآية خر ميتا وكان ابراهيم النخعى اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيى تنزيها وخضوعا لله تعالى عن ان يذكره بشيء لا يليق به وكان بعضهم اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وروى ابن عمر يصلى وبياوه حتى لو رآه من يجهله لقال اصيب الرجل وذلك فيما بلغنا عند قراءته واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين الآية وقال بعضهم رايت ابن عمر يصلى مقلوليا وحق له ان يحترف بوعد سيده ووعيده لانه عبد ذليل مذنب بين يدى رب جليل محسن وتكون هذه المعانى على قدر درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات هذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ويستعين على الفهم بترك العجلة في القراءة قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وكانت قراءة رسول الله فيما بلغنا مفسرة حرفا حرفا يمد بها صوته وذلك اقرب للتامل والفهم

والله اعلم واما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله عزوجل على نعت واحد من الحضور قال عليه السلام ان الله تعالى مقبل على المصلى ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة القلب عن الالتفات الى غير الصلاة فان التفت فذكره باطلاع الله عليك واقباله اليك فكيف انت تتهاون بمناجاتك بالغفلة والاعراض عنه وقبح ذلك عليه حتى يعود الى الصلاة والزم الخشوع للقلب حتى لا يلتفت فان ثمرة الخشوع الاخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا فمهما خشع الباطن خشع الظاهر وقد قال صلى الله عليه وسلم لما رأى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية تبع لحكم الراعى وقد ورد فى الدعاء اللهم اصلح الراعى والرعية قيل اراد القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه فى الصلاة كانه وتد وابن مسعود كانه ثوب ملقى وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه تظنه حائطا فكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضا بين يدى ملك الملوك عند من يعرف جلاله وعظمته ومن يطمئن بين يدى غير الله عزوجل خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدى الله تعالى ولا يخشع فانما ذلك لقلة معرفته بجلال الله تعالى وقصور علمه باطلاعه تعالى

على سره وضميره وعن عكرمة فى قوله تعالى الذى يراك
حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قال قيامه وركوعه
وسجوده وجلوسه والله اعلم واما الركوع والسجود فينبغى
ان تجدد ذكر كبرياء الله تعالى وعظمته وانت متذلل
متواضع ناكس راسك عند ربك كانك فى عرصة القيامة
مع المجرمين ناكسى رؤسهم عند ربهم وتجتهد فى ترقيق
قلبك وتجديد خشوعك فى ركوعك وتستشعر ذلك وعز
مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك
فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة فانه
اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم
ترتفع من ركوعك راجيا انه ارحم الراحمين راحم ذلك
ومؤكد للرجاء فى نفسك وتقول سمع الله لمن حمده ايه اجاب
الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضى للمزيد فتقول
ربنا ولك الحمد ثم تهوى الى السجود وهو اعلا درجات الخضوع
والاستكانة فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء
وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فافعل
فانه اجلب للخضوع واذل على التواضع والذل وقد جاء فى
الحديث ما تقرب العبد الى الله تعالى بشئ افضل من سجود خفى
واقرب ما يكون من ربه تعالى اذا كان ساجدا وذلك قوله تعالى
فاسجدوا واقترب وقيل فى قوله تعالى سيماهم فى وجوههم من
اثر السجود قيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود
وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر
وهو الاصح ان شاء الله وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم

يوم القيامة من اثر الوضوء وروى ان رجلا قال يا رسول
الله ادع الله ان يرزقنى مرافقتك فى الجنة قال عليه السلام
اعنى بكثرة السجود وروى عن على بن عبد الله بن عباس
انه يسجد كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروى
ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب ثم اذا
وضعت نفسك بالسجود موضع الذل فقد وضعتها
موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب
خلقت واليه رددت فعندها جدد على قلبك عظمة الله
سبحانه فقل سبحان ربى الاعلى واكده بالتكرار فان
المرة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك
فليصدق رجاؤك فى رحمة ربك فان رحمته تسارع الى
الضعف والانكسار لا الى الترفع والاستكبار فارفع راسك
من السجود مكبرا ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود
ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح
بان جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات اى الاخلاق
الطاهرة لله تعالى وكذلك التحيات ومعناه الملك لله واحضر
فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم بشخصه الكريم وقل
السلام على النبى ورحمة الله وبركاته وليصدق املك فى انه
يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وجميع
عباد الله الصالحين ثم تامل بر كل عبد صالح من سكان السموات
والارضين وارج من الله سبحانه ان يرد عليك سلاما وافيا
بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى
الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتى

الشهادة ومستانفا للشهادة بالجنة والنار والموت والبعث
وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور
ثم اقصد عند التسليم السلام على الملائكة الكرام الكاتبين
وسائر المسلمين الحاضرين فانو بالسلام ايضا الخروج من
الصلاة واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لك لاتمام
هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما
لاتعيش لمثلها ثم تستغفر الله ثلاثا روى ذلك عنه عليه
السلام وتعتقد ذلك استغفارا من تقصيرك فى صلاتك
وسائر ذنوبك ثم انصب فى الدعاء بالتواضع والخشوع وارغب
الى ربك بالتضرع والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك
فى دعائك سائر المؤمنين والمؤمنات وتقول اللهم انت السلام
ومنك السلام واليك يرجع السلام فحينا بالسلام وادخلنا
دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم لامانع لما
اعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد اللهم
اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فى امثالها من الدعاء
ثم اشعر قلبك الاشفاق والوجل والحياء من التقصير فى الصلاة
وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او
باطن ترد من اجله صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك ان
يقبلها بكرمه وفضله كان بعض علماء السلف اذا صلى
مكث ماشاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان بعضهم
يمكث بعد الصلاة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلاة
الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على
صلاتهم دائمون وهم الذين يناجون الله عز وجل على قدر

استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على
هذه الصلاة فبالقدر الذى يتيسر له منها ينبغي ان
يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفى مداومة ذلك
ينبغي ان يجتهد واما صلاة الغافلين فانها مخطرة الا ان
يتغمد الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسئل
الله ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا
الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته وفى كتاب الغزالى
قال اعلم ان تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لله
تعالى عن شوائب العاهات والمبطلات واداءها بشروطها
الظاهرة والباطنة من الخشوع والتعظيم وغير ذلك
من المعانى المتقدمة قال فالاتيان بها على ما ذكرنا
سبب لحصول انوار فى القلب تكون تلك الانوار مفاتيح
لعلوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات
والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون بما فى الصلاة
ولا سيما فى السجود اذ يتقرب به العبد من الله تعالى
كما قدمنا فينكشف الامر لكل مصل على قدر صفاء قلبه
عن كدورات الدنيا حتى ينكشف لبعضهم الشئ بعينه
وينكشف لبعضهم بمثال كما كشف لبعضهم الدنيا
فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها
يدعو اليها والله اعلم وقال ومن لم يكن من اهل المكاشفة
فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الا ان يشاهد
ذلك بالتجربة ويقال مكتوب فى التوراة يا ابن آدم لا تعجز
ان تقوم بين يدى مصليا باكيا فانا الله الذى اقتربت من

قلبك وبالغيب رايت نوري قال فكنا نرى ان
تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي من
دنو الرب سبحانه من القلب قال واذا لم يكن هذا الدنو
هو القرب بالمكانية فلا معنى له الا الدنو بالهداية
والرحمة ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشر
صفوف من الملائكة كل صف منها عشرة آلاف وباهى الله
عز وجل به مائة الف ملك قال وذلك ان العبد قد يجمع فيهما
بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على
اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيامة
والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وهكذا الراكعون
والقاعدون قال فان ما رزق الملائكة من القرب والرتبة
لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك
قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة
في الرقي من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى
فيستفيد بقربه مزيد الديه اذ باب المزيد مسدود على
الملائكة وليس لكل واحد منهم الا رتبته التي هي وقف
وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر
عنها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح
المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان
بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف
المفلحين بالصلاة ايضا فقال تعالى في آخرها والذين هم على
صلواتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم

الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا وما
عندى ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى الى
هذا الحد ولذلك قال تعالى فى اضدادهم ما سلككم فى
سقر قالوا لم نك من المصلين الآية فالمصلون فى الحقيقة
هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون
لدنوه وقربه من قلوبهم فنسئل الله تعالى ان يجعلنا منهم
فهيهات ما بيننا وبينهم ونحن نرغب الى الله تعالى ان يعيذنا
من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم
المنان ذو الفضل والاحسان * (فصل) * ويروى
عن ابى الدرداء انه قال من فقه الرجل ان يبدا بحاجته
قبل دخوله فى الصلاة ليدخل فيها بقلب فارغ وكان
بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس ويروى ان عمار
ابن ياسر رحمه الله صلى صلاة فخففها فقيل له خففت يا ابا
اليقظان فقال هل رايتمونى نقصت من حدودها شيئا قالوا
لا قال فانى بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان العبد ليصلى الصلاة ولا يكتب له نصفها ولا
ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان
يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة
والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا اخف الناس
صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان واعلم ان الصلاة
قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار
عليه اذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفى الخبر

عن عيسى عليه السلام انه قال يقول الله عز وجل بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل يتقرب الى عبدي وعن النبي عليه السلام انه قال قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسال ابي بن كعب فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ادري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الآخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني قلوبكم باطلا ما ترهبون وهذا يدل على ان استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءته السورة بنفسه لان الله تعالى يقول فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وذلك خاص في قراءة السورة وراء الامام والله اعلم فدلت هذه الاحاديث مع ما سبق ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في الآخرة والله اعلم * (مسئلة) * ومن كتاب المحاسبي قلت ما المحافظة على الصلوات قال القيام عليها في اول اوقاتها بشدة مخافة وخضوع والتهيئ لها قبل الدخول فيها باحسن زينة من الوقار والسكينة فاذا استفتح جمع همه واحضر ذهنه واشعر قلبه تعظيم من قام بين يديه قلت وكيف الاخلاص فيها وفي غيرها من الاعمال قال

الاخلاص

الاخلاص ضربان احدهما التوحيد لله وان لا يراد بالعمل غيره والآخر اخلاص العمل من كل آفة تنقص فضله من الاصغاء والالتفات وحديث النفس بغيره فاذا تحفظ فيه تم ثوابه ان شاء الله قلت اكل حديث يعرض في الصلاة ينقص منها قال يعرض فيها من حديث النفس ضربان وآخر من خواطر الوسواس فاما ما كان من حديث النفس فيكون على تعمد وسهو فما كان من تعمد فان صاحبه قد اساء وعليه الاستغفار لما مضى والسهو ضربان احدهما سهو اداه اليه حديث النفس متعمدا فملوم عليه والثاني سهو صار اليه بغير تعمد فذلك موضوع عنه اذ لم يتعمده واما ما كان من خواطر الشيطان فموضوع عنه ما لم يكن له تابعا فان اصغى اليه بهواه فليكن عنه راجعا وللنفس عنه رادعا وبالله التوفيق *

* (الباب الرابع في صلاة الامامة وما على الامام من وظائفها) *

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام الذي يراك حين تقوم يعني وحدك في الصلاة وتقلبك في الساجدين يعني في الجماعة وفي الحديث عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ام الناس فاصاب الوقت فله ولهم ومن انتقص من ذلك شيئا فعليه ولا عليهم وعنه عليه السلام انه قال ان من اشراط الساعة ان يتدافع اهل المسجد ولا يجدون اماما يصلي بهم ويقال ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم واما ما روي من مدافعة الامامة بين الصحابة فسببه فيما وجدت ايثارهم من رأوه اولى بها او خوف الخطر من ضمان الصلاة فان الائمة

ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشوش عليه الاخلاص في الصلاة حياء من المقتدين به لاسيما في جهره بالقرآن فكان الاحتراز ممن احترز عنها من اسباب هذا الجنس والله اعلم * (فصل) * فيما على الامام من الوظائف في الصلاة وقبلها اعلم ان على الامام وظائف قبل الصلاة والقراءة في اركان الصلاة وبعد السلام اما الوظائف قبل الصلاة فست احداها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثر وان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولا وفي الحديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق وامراة زوجها عليها ساخط وامام قوم هم له كارهون وكما ينهى عن التقدم مع كراهيتهم فكذلك ينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه وافضل منه الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم اذا كان قائما بشروط الامامة وعرف ذلك من نفسه والله اعلم الثانية اذا خير المريد للآخرة بين الاذان والامامة فاختلف السلف في ذلك فقال قوم ينبغي ان يختار الامامة وقال آخرون الاذان اولى لما في الامامة من خطر الضمان ولانه عليه السلام قال اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة ولما ورد في الحديث ان من اذن في مسجد سبع سنين فقد وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب وغير هذا مما تقدم في فضل الاذان قالوا ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم انهم يتدافعون الامامة وفي كتاب الغزالي قال والصحيح

ان الامامة افضل اذ واضب عليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وغيرهما من الائمة نعم
فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة
الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم
واحد من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة
ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه
وعنه عليه السلام انه قال ائمتكم وفدكم الى ربكم فان
سركم ان تزكوا صلاتكم فقدموا اخياركم وقال بعض السلف
ليس بعد الانبياء افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل
من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل
وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهى
الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة فى تقديم ابى بكر
رضى الله عنه للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد
الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لديننا والله اعلم الثالثة ان يراعى الامام
اوقات الصلاة فيصلى فى اوائلها ليدرك رضوان الله
سبحانه ففضل اول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا
هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا
وفى الحديث ان العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته
وما فاته من اول وقتها خير من الدنيا وما فيها ولا ينبغى
ان تؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة
لحيازة فضيلة اول الوقت فهى افضل من كثرة الجماعة ومن
تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا احضر اثنان فى الجماعة

لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة فى الجنازة لم ينتظروا
الخامس وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
فى بعض اسفاره فتاخر عن صلاة الفجر للطهارة فلم ينتظروه
وتقدم عبد الرحمن بن عوف رحمه الله فصلى بهم حتى
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها
قال فاشفقنا من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم قد احسنتم
هكذا فافعلوا وقد تاخر فى صلاة الظهر فقدموا ابا بكر
رضى الله عنه حتى جاء عليه السلام وهم فى الصلاة فقام
الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن
انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره والله اعلم
الرابعة ان يؤم لوجه الله تعالى مخلصا ومؤديا الامانة الله
تعالى سبحانه فى طهارته وجميع شروط صلاته اما الاخلاص
فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
امر عثمان بن ابى العاص الثقفى فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ
على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلاة فهى اولى بان لا
يؤخذ عليها اجر وفى كتاب الغزالى قال فان اخذ رزقا من
المسجد وقد وقف على من يقوم بامامته اومن السلطان
اومن آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية
فى الفرائض اشد منها فى التراويح ويكون له اجرة على مداومته
على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد فى اقامة الجماعة
لا على نفس الصلاة واما الامانة فهى الطهارة باطنا عن
الفسوق والكبائر وعن الاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة
ينبغى ان يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم

فينبغي ان يكون خير القوم وافضلهم وكذلك الطهارة عن
الحدث والخبث لا بد ان يكون طاهرا متطهرا وذلك ايضا امانة
لا يطلع عليها سواه فان احدث في صلاته بحدث يبني فيه
فليأخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه وليخرج فيتوضأ
ثم يرجع فليدخل في الصلاة وفي كتاب الغزالي قال سفيان
صل خلف كل بار وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسوق
او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبد آبق الخامسة
ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا
فان رأى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب
ويتضامون بالكعاب ولا يعجل المأمومين بالتكبير حتى
يستعدوا للصلاة وكذلك المؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان
بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان
والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من
اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر
بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب السادسة ان
يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات وينوي الامامة
ويقول اودي هذه الصلاة الاولى او غيرها فريضة افترضتها
على بجميع من له صلاة وبكل من يصلي هذه الصلاة خلفي
في هذا اليوم ليوم كذا فيبني بعد هذا على اعتقاد المنفرد
كما تقدم وعليه في القراءة ثلاث وظائف اولها ان يكون
له في القيام للقراءة سكتتان ورد بهما الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طريق سمرة بن جندب وعمران
ابن حصين عنه عليه السلام احدهما اذا كبر يسكت مقدار

ما يبلغ ريقه وقيل مقدار ما يقول سبحان الله والثانية بعد
الفراغ من الفاتحة فى صلاة السر واذا فرغ من السورة قبل
ان يركع لانه قد نهى عليه السلام عن المواصلة الثانية ينبغى
الاطالة بالقراءة فى صلاة الفجر والتغليس بها سنة ولا باس
بالخروج منها مع الاسفار ولا باس ان يقرا فيهما باواخر السور
لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ فى الوعظ وادعى
الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض السورة وقطعها
وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قرا بعض سورة يونس
فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وروى
انه صلى الله عليه وسلم قرا فى ركعتى الفجر آية من البقرة
وهى قوله قولوا آمنا بالله الآية وفى الثانية ربنا آمنا
بما انزلت رواهما فى كتاب الغزالى قال وسمع بلالا يقرا
من هاهنا وهاهنا فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب
بالطيب فقال احسنت ويستحب التوسيط فى قراءة العشاء
باوساط سور المفصل وفى المغرب باواخر المفصل ويقال
ان النبى عليه السلام قرا فى المغرب سورة والمرسلات وبالجملة
التخفيف اولى ولا سيما اذا كثر الجمع لقوله عليه السلام اذا
صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير
وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وروى ان
معاذ بن جبل رحمه الله كان يصلى بقوم العشاء فقرا البقرة
فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر عليه السلام معاذا
وقال افتان انت يا معاذ اقرا بسورة سبح والسماء والطارق

والشمس وضحاها الثالثة الجهر بالقراءة فى موضع
السورة والاسرار بها مع الفاتحة فقط ما خلا الاستفتاح
فانه يسر بها على كل حال والجهر بالفاتحة والسورة انما
يكون فى الصبح واولتى المغرب والعشاء وكذا المنفرد
ولكنه خلف الامام يقتصر على قراءة الفاتحة سرا
ويستمع بعد ذلك لقراءة الامام والله اعلم وعليه فى
الاركان ثلاث وظائف اولها ان يخفف فى تسبيح الركوع
والسجود فلا يزيد فيه على ثلاث وقد روى عن انس انه
قال ما رايت اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى تمام نعم روى ايضا عن انس بن مالك انه لما
صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة فقال
ما صليت وراء احد اشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم من هذا الشاب قال فكنا نسبح وراءه عشرا عشرا
وروى ايضا مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا وهذا حسن ولكن
الثلاث اذا كثرت الجماعة احسن واما اذا لم يحضر الا المتجردون
للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وليقل
الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده الثانية
ينبغى للماموم ان لا يسابق الامام بل يكون تبعا له فى المقال
والفعال ولا يهوى الى السجود الا اذا وصلت جبهة الامام
الى الارض ولا الركوع حتى يستوى الامام راكعا لقوله
عليه السلام الامام يركع قبلكم ويسجد قبلكم ويقال
هكذا كان اقتداء الصحابة به عليه السلام والتشديد

في تكبيرة الاحرام وفي الركوع والسجود والرفع منهما وفي
التسليم فان سبقه المأموم الى احد هذه الوجوه متعمدا
انتقضت صلاته وناسيا فليرجع الى اتباعه وقد قيل ان
الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة اقسام طائفة بخمس
وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون
بعد الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه
في الركوع والسجود وغير ذلك وطائفة بلا صلاة وهم
الذين يسبقون الامام والله اعلم ووظائف التحليل ثلاث
اولها ان ينوى بالتسليم السلام على الحفظة وهم الملائكة
عليهم السلام وسائر المؤمنين وقيل ينوى به الخروج من
الصلاة ولا ينبغي ان يجهر المصلي بقراءة التحيات بل يسر
بها فان ذلك هو السنة الثانية ان يتحول الامام اذا
سلم فيصلي النافلة في موضع آخر روى ان ذلك فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام وان كان خلف الامام
نسوة فلا يقم حتى ينصرفن وقد استحب بعضهم ان
يصلي سبحة المغرب في موضع الفريضة ذكر ذلك في كتاب
الصلاة لاجل المغرب من اصحابنا والله اعلم الثالثة
ينبغي اذا قام ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم
القيام قبل انتقال الامام وفي كتاب الغزالي وروى
عن طلحة والزبير انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا

للامام

للامام ما احسن صلاتك وا تمها الا شيئا واحدا انك لما
سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قال للناس ما احسن صلاتكم
الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام
حيث شاء عن يمينه او شماله واليمين افضل ثم اذا
دعا فلا يخص نفسه بالدعاء دون القوم بل ياتي بلفظ
الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي في امثالها
والله اعلم هذا ما على الامام من وظائف الصلاة اختصرنا
ذلك من كتاب الغزالي مخافة التطويل اذ كان هذا موجودا
في كتب الصلاة وبالله التوفيق *

*(الباب الخامس) * في فضل الجمعة وآدابها
وسننها وشروطها من كتاب الغزالي وهذا الباب يشتمل
على اربعة فصول الفصل الاول في فضل الجمعة اعلم
ان يوم الجمعة يوم عظيم عظم الله تعالى به الاسلام
وخص به المسلمين وقال تعالى اذا نودي للصلاة من
يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع حرم الاشتغال
بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي للجمعة وقال صلى
الله عليه وسلم ان الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في
مقامي هذا وعنه عليه السلام انه قال من ترك الجمعة
ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد
نبذ الاسلام وراء ظهره ويروى عن مجاهد انه قال
جاء رجل الى ابن عباس فقال يا ابن عباس ما تقول في رجل
يقوم الليل ويصوم النهار ولا يحضر جمعة ولا جماعة
ويموت على ذلك قال هو في النار قال فاختلف اليه شهرا

يسئله عن ذلك ويقول هو في النار وفي الخبر ان اهل
الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه
وهدانا الله له فاخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم
فهم اولى الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي
حديث انس بن النبي عليه السلام انه قال اتاني جبريل
عليه السلام وفي كفه مرآت فقال هذه الجمعة يعرضها
عليك ربك لتكون لك عيد ولامتك من بعدك قلت
فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير
هو له قسم اعطاه الله او ليس له قسم ذخر له ما هو
اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه
الله عز وجل من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا
وعنه صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة
وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه تقوم
الساعة وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستمائة الف
عتيق من النار وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وعنه صلى الله عليه وسلم
ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس
في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا في يوم الجمعة
فانه صلاة كله فان جهنم لا تسعر فيه وعن كعب قال
ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان
ومن الايام الجمعة ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها
بعضا يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وعنه

صلى الله عليه وسلم انه قال من مات يوم الجمعة كتب الله
له اجر شهيد ووقى فتنة القبر والله اعلم * (الفصل الثاني) *
في آدابها وتنحصر آدابها في عشر جمل على ترتيب العادة الاولى
ينبغي للمريد ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا
لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد
العصر من يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة
المبهمة في يوم الجمعة وعن بعض السلف انه قال ان لله
عز وجل فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك
الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل
في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده
ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة
وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا
عظيما يقال من صامه كمن صام خمسين الف سنة
ويقال من صامه فانه يبعد عن النار مسافة طيران
فرخ الغراب منذ خرج من البيضة حتى يموت هرما
وقيل يجعل بينه وبين النار خندق مسافته ما بين
مطلع الشمس الى مغربها ويقال من صام اربعين جمعة
غفرت ذنوبه والله اعلم ولكن يقال صوم الجمعة مفردا
مكروه حتى يضم اليه الخميس والسبت ويقال ان
النبي عليه السلام نهى عن صوم يوم الجمعة الا ان
يتقدمه يوم او يتاخره يوم والله اعلم وينبغي ان
يشتغل باحياء ليلة الجمعة بالصلاة وقراءة القرآن
وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في الليلة

او فى يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم وحملوا عليه
قول النبى عليه السلام رحم الله من بكروا بتكر
وغسل واغتسل اى حمل الاهل على الغسل وقيل معناه
غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل جسده وبهذا
يتم ادب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين
اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم الثانية اذا اصبح ابتدا
بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح
احسن ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب
استحبابا مؤكدا وبعض ذهب الى وجوبه وروا فى ذلك
ان النبى عليه السلام قال غسل يوم الجمعة واجب والمشهور
فى الحديث من اتى الجمعة فليغتسل وكان اهل المدينة فيما
بلغنا يتسابون فيما بينهم فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل
ويروى ان عمر رحمه الله قال لعثمان لما دخل عليه وهو يخطب
ما هذه البدعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت
بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فعرف
جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ يوم الجمعة فبها
ونعمت اى فقد اخذ بالرخصة ونعمت الرخصة ومن
اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية
غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه والله اعلم
الثالثة الزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى فى ثلاث
الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك
وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما تقدم

ومن اغتسل فالغسل افضل ويقال معنى الحديث من توضأ فبها ونعمت والغسل افضل

فى الطهارة وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال من قلم
اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه عز وجل داء وادخل
فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام فى الخميس والاربعاء
فقد حصل المقصود ويتطيب فى هذا اليوم باطيب طيب
عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل به الروح والراحة
الى مشام الحاضرين فى جواره واحب طيب الرجال ما ظهر
ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه
روى ذلك فى الاثر وقال بعض العلماء من نظف ثوبه قل
همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها
البيض من الثياب لان احب الثياب الى الله عز وجل البيض
ولا يلبس ما فيه الشهرة وفى كتاب الغزالى قال لبس السواد
ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه قال
لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
والعمامة مستحبة فى هذا اليوم قال وروى واثلة بن
الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته
يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة قال فان اكربه الحر
فلا باس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع فى وقت
السعى من المنزل الى الجمعة ولا فى وقت الصلاة وعند صعود
الامام المنبر فى خطبته والله اعلم الرابعة ويستحب ان
يقصد الجامع من فرسخين ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر
وفضل البكور عظيم وينبغى ان يكون فى سعيه الى الجمعة
خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف فى المسجد للصلاة
قاصدا للمبادرة الى اجابة نداء الله عز وجل الى الجمعة

والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء بحق الصلاة ليس له من الفضل شئ والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلا الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وعنه عليه السلام قال ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل فى طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال بعضهم افضلهن الغدو الى الجمعة وفى الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء فى الاثر ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسئل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذى اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان اخره مرض فاشفه وان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه على طاعتك قال وكان ترى فى القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يزدحمون فيها الى الجامع كايام

العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع قال وكيف لا يستحيي المؤمن من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى درجات الجامع للبيع والربح فلم لا يسابقهم طالب الآخرة وروى ان ابن مسعود رضي الله عنه دخل بكرة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم بذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا لها رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد الخامسة في هيئة الدخول فينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم وفي البكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو ان يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عليه الصلاة والسلام صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال عليه السلام اولم ارك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله هكذا ذكر في كتاب الغزالي قال وفي الحديث مسندا ايضا قال ما منعك ان تصلي معنا قال اولم ترني قال عليه السلام رأيتك انيت واذيت اي تأخرت عن البكور واذيت الحضور قال ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة وعن الحسن انه قال تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي

الا يسلم عليهم فانه تكليف جواب فى غير محله السادسة ان لا
يمر بين يدى الناس ويجلس هو الى قريب من اسطوانة او
حائط حتى لا يمر بين يدى المصلين فان ذلك مكروه وان كان
لا يقطع الصلاة اذ قال صلى الله عليه وسلم لان يقف الرجل
اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدى المصلى وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال لان يكون الرجل رمادا رميا تذروه الرياح
خير له من ان يمر بين يدى المصلى وسوى فى حديث آخر بين المار
والمصلى حيث صلى على الطريق او قصر فى الدفع فقال لو يعلم المار
بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك لكان ان يقف اربعين
خير له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش
فيه حد المصلى فمن اجتاز به فينبغى ان يدفعه قال صلى الله
عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان قال
وكان ابو سعيد الخدرى يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه
فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان
النبى صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة
فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة
لحده السابعة ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما
تقدم وفى الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من
الامام واستمع كان له كفارة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة
ايام وفى لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط
فى بعضها ان لم يتخط رقاب الناس قال ولا يغفل عن الصف
الاول الا بثلاثة امورا ولها ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا
يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة

في سلاح كثير شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب
عليه الانكار من اجله فالتاخر له اسلم واجمع لهمه فعل ذلك
فيما بلغنا جماعة من العلماء طلبا للسلامة وقيل لبعضهم
نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب
لا قرب الاجساد اشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه قال ونظر
سفيان الثوري الى شعيب بن حارث عند المنبر يستمع
الى الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ من الصلاة قال شغل
قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك
انكاره فلا تقوم به قال ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد
قال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن واستمع قال ويحك
ذلك للخلفاء الراشدين المهتدين واما هؤلاء فكلما بعدت
عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وعن
سعيد بن عامر قال صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل
يتاخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت
له اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم الا ان
هذه امة مرحومة منظور اليها من بين سائر الامم
فان الله عز وجل اذا نظر الى عبد في الصلاة غفر لمن وراءه
من الناس وانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر
الله اليه وفي بعض الروايات انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تاخر على هذه النية
ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال
الاعمال بالنيات الثاني انه ان لم تكن مقصورة عند
الخطيب مقتطعة عند المسجد للسلاطين فالصف الاول

محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة وقيل
كان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة ورءوا انها
قصرت على السلاطين وهى بدعة احدثت بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى المساجد ووجدت فى كتاب المبرد ان الحجاج
ابن عبد الله وهو احد الثلاثة الذين اتفقوا على قتل على بن ابى
طالب وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان فى ليلة
واحدة قال فاتى الحجاج معاوية وهو يصلى فضربه مدبرا
ففلق اليتيه فقال قتلتك يا عدو الله فقال معاوية كلا
يا ابن اخى ان عمك احمش من ذلك قال فلما اخذ قال الامان
والبشارة قتل على فى هذه الصبيحة فاستوثق به حتى جاء
الخبر فقطع معاوية يده ورجله وامر حينئذ باتخاذ المقصورة
فقيل لابن عباس ما تاويل المقصورة قال يخافون ان ينتهضهم
الناس فيقال الباس بالباء والمقصورة بيت يتخذ فى الجامع
تصلى فيه السلاطين خاصة ولذلك كرهت العلماء الصلاة
فيه لان المسجد مطلق لجميع الناس وقد روى ايضا ان انس
ابن مالك وعمران بن الحصين صليا فى المقصورة طلبا للقرب
ولم يكرها ذلك والله اعلم ولعل الكراهة تختص بحالة التخصيص
والمنع واما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة
والله اعلم الثالث ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف
الاول الواحد المتصل وعن الثورى انه كان يقول الصف
الاول هو الخارج بين يدى المنبر وهو المتجه لانه متصل
ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال
الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى

وتكره الصلاة فى الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة فيما بلغنا يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب والله اعلم الثامنة ان يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل باجابة المؤذن ثم باستماع الخطبة وفى كتاب الغزالى قال وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين قال ولم يثبت له اصل فى اثر ولا خبر لكنه ان وافق سجود تلاوة القرآن فلا باس ان يمد الدعاء لانه وقت فاضل قال ولا يحكم بتحريم هذا السجود لانه لا سبب لتحريمه قال وقد روى عن على وعثمان من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر واحد ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لصاحبه والامام يخطب انصت اومه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغى ان يكون باشارة اورمى حصاة لا بالنطق وفى حديث ابى ذر رحمه الله لما سال ابيا والنبى عليه السلام يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابى اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابى وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغى ان يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت واذا كانت الصلاة مكروهة فى وقت خطبة الامام فالكلام اولى التاسعة ان يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيرها فاذا سمع قراءة الامام فلا يقرا

سوى الفاتحة ثم اذا فرغ من الجمعة قرأ سورة الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا فروى عن بعض السلف انه من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب قال ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وعن ابي هريرة عنه اربعا وعن علي وابن عباس ستا والكل صحيح فيما بلغنا في احوال مختلفة والاكمل افضل والله اعلم العاشرة ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان اقام الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب كان له ثواب العمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله عز وجل مفكرا في آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع ولا غيره من المساجد بحديث الدنيا وقد جاء في الحديث يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله تعالى بهم من حاجة والله اعلم *

(الفصل الثالث) في شروط الجمعة وحكمها اما حكمها فقد اتفقت الامة على ان حكم الجمعة الوجوب وانها تصلى خلف

الامام العادل فى الامصار السبعة التى مصرها عمر بن الخطاب رضى الله عنه واختلفوا فيها خلف الجبابرة فذهب اكثر الاباضية الى ايجابها خلفهم فى الامصار السبعة وذهب بعضهم الى انها لا تصلى خلف الجبابرة وقد ذكرت هذا فى كتابنا المسمى بقواعد الاسلام مشروحا بادلته واختلاف الناس فى ذلك وما اعتمد عليه اصحابنا فلا معنى لاعادته ها هنا اذ ليس هذا الكتاب موضوعا لتفريع مسائل الفقه وانما هو موضوع لما لا بد منه من حدود الفرائض وغيرها ظاهرا وباطنا واما شروط وجوب الجمعة عند اصحابنا فهى عشرة البلوغ والعقل والاسلام والذكورية والصحة والحرية والاقامة والامام والمصر والجماعة وقد شرحتها فى كتاب القواعد فلا نعيدها ها هنا وبالجملة فلا تجب الجمعة الا على بالغ عاقل مسلم ذكر صحيح حر مقيم فى مصر تحت حكم سلطان معه جماعة من الناس ولا تجب على طفل ولا على مجنون ولا على انثى ولا على مريض ولا على عبد ولا على مسافر ولا على من كان فى غير مصر من الامصار السبعة على قول بعض علمائنا ولا على من كان فى غير ارض تقام فيه الحدود بالسلطان ولا على من كان فى غير جماعة هذه شروط الوجوب مجملة ها هنا مشروحة فى غير هذا الكتاب والله اعلم واما شروط صحة صلاة الجمعة فهى كسائر شروط الصلوات الا انها تتميز عنها بستة شروط احدها الوقت فلو وقع تسليم الامام منها فى وقت العصر لكانت الجمعة فائتة فى قول بعضهم وعليه ان يتمها ظهرا الثانى المكان فلا تصح فى الصحارى والبوادى وبين

الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لا بنية لا تنتقل بجمع جماعة ممن تلزمهم الجمعة بحضور سلطان او باذنه الثالث العدد وقد اختلف فيه من اثنين بالامام الى اربعين رجلا ممن تلزمهم ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الرابع الجماعة فلو صلوا فرادى لا تصح جمعتهم الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى فى ذلك البلد الا عند الضرورة السادس الخطبة لانه اذا لم تكن الخطبة صلوا الظهر اربعا وهما خطبتان بينهما جلسة خفيفة وقد اتفق جمهور العلماء على ان وقت الاذان هو اذا جلس الامام على المنبر فاذا قال المؤذن لا اله الا الله اخذ الامام فى الخطبة ولا ينزل حتى يقول المؤذن قد قامت الصلاة فيدخل الامام فيها والله اعلم هذه شروط صحة الصلاة والله اعلم ﴿الفصل الرابع﴾ فى سننها وفضائلها اما السنن المختصة بها فقد ذكرت فى الجمل المتقدمة وهى الغسل عند الرواح لها ولا يجزى الا بعد الصبح والطيب والسواك والتجمل فى اللباس والبكور والانصات للامام والاستقبال له بالوجه والجهر بالقراءة فى الصلاة والله اعلم واما فضائلها فالتهجير لها وصلة الغسل بالرواح لها واستعمال خصال الفطرة فيها من قص الشارب ونتف الابط والاستحداد وتقليم الاظفار والاقتصاد فى الخطبة مع بلاغة واختصار وقراءة آية ولا يستعمل فيها غريب اللغة ولا يتمطى ولا يتغنى وليتكئ على سيف او عصى او نحوه ولتكن مشتملة على الذكر والثناء على الله تعالى والشهادتين والتذكير والدعاء والصدقة قبلها وحضور مجلس العلم قبل الصلاة بكرة او بعدها او بعد

العصر

العصر ولا يحضر مجلس القصاص وقد روى عن انس فى
قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض
وابتغوا من فضل الله قال اما انه ليس بطلب دنيا ولكن
عيادة مريض وحضور جنازة وتعلم علم وزيارة اخ فى الله
وقد سمى الله تعالى العلم فضلا فى مواضع قال الله تعالى
وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى علما وينبغى ان يكون حسن
المراقبة للساعة الشريفة التى ورد الخبر بها الايوافقها عبد
مسلم يسئل الله فيها شيئا الا اعطاه اياه وفى خبر آخر لايوافقها
عبد يصلى فاختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل
عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الامام المنبر
واخذ فى الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر
وقت العصر وقيل عند غروب الشمس ويقال كانت فاطمة
رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت فتاخذ فى الدعاء والاستغفار
الى ان تغرب الشمس وتخبر بان تلك الساعة هى المنتظرة وقد
روى عن كعب الاحبار انها فى آخر ساعة من يوم الجمعة فقال
ابو هريرة كيف والنبى عليه السلام يقول لايوافقها عبد يصلى
ولات حين صلاة فقال كعب الم يقل من قعد ينتظر الصلاة
فهو فى صلاة قال بلى فقال تلك صلاة فسكت ابو هريرة وقال
بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم والليلة مثل ليلة القدر
حتى تكثر الرغبة فى مراقبتها وقيل انها تنتقل فى ساعة يوم الجمعة
كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه ولكن ينبغى للانسان ان
يصدق بقوله عليه السلام ان لربكم فى ايام دهركم نفحات

الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي ان
يكون العبد متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع
عن وسواس الدنيا فعساه يحظى بشئ من تلك النفحات والله اعلم
ويستحب ايض اكثار الصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى علي
في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة
فقيل له كيف نصلي عليك فقال تقول اللهم صل على محمد
عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي ثم تعقد واحدة
وينبغي ان يضيف اليه الاستغفار فانه مستحب ايض في
هذا اليوم ويستحب ايض ان يكثر فيه قراءة القرآن وخصوصا
سورة الكهف وقد روى عن ابن عباس وابي هريرة انهما
قالا من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة او يومها اعطى
نورا من حيث يقراها الى مكة وغفر له الى يوم الجمعة الاخرى
وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح
وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة
الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة او ليلتها ان قدر
ولتكن ختمة القرآن في ركعتي الفجر ان قرا في الليل او في ركعتي
المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم قيل
وكان العابدون يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله
احد الف مرة ويقال ان قراها في عشر ركعات او عشرين ركعة
فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي عليه السلام الف مرة
ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة
وان قرا المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فذلك حسن

جميل

جميل ويقال ان النبي عليه السلام لم يكن يقرا سورا باعيانها الا في يوم الجمعة اوليلتها كان يقرا في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وفي صلاة العشاء سورة الجمعة وسورة المنافقين وروى انه كان يقراها في ركعتي الجمعة وكان يقرا في الصبح يوم الجمعة بسورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان والله اعلم واحكم ويستحب ايض اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يركع اربع ركعات يقرا فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف قيل انه عليه السلام امر بذلك وقيل انه سكت للداخل حتى صلاهما ولذلك قال بعضهم ان سكت له الامام صلاهما ويقال انه يستحب في هذا اليوم ان يصلي اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرا يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع ايض قراءة هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرا ما يحسن ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي فيه ايض صلاة التسبيح كما سياتي ان شاء الله في باب صلاة التطوعات وروى عن النبي عليه السلام انه قال صلها في كل جمعة فكان ابن عباس فيما بلغنا لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها وقيل الاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد صلاة الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب

للتسبيح والاستغفار وتستحب الصدقة فى هذا اليوم
ايضا لانها مضاعفة فيه الا من سال والامام يخطب
فهذا مكروه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع
الذين يتخطون رقاب الناس الا ان سال فى مكانه قائما او قاعدا
من غير تخطى وعن كعب الاحبار انه قال من شهد الجمعة ثم
انصرف وتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع
فركع ركعتين يتم فيهما ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم
انى اسئلك باسمك الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا
هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم لم يسئل الله تعالى
شيئا الا اعطاه اياه وقال بعض السلف فيما بلغنا من
اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم
قال حين سلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسئلك
ان تغفر لى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له
استجيب له والله اعلم والذى ينبغى لمريد الآخرة ان يجعل
يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا
ويكثر فيه من اوراد العبادة ولا يبتدى فيه السفر وقد
روى ان من سافر ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد
طلوع الفجر عند بعضهم حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره
بعض السلف شراء الماء فى المسجد ليشربه او ليسبله حتى
لا يكون مبتاعا فى المسجد فان البيع والشراء فيه مكروه
وقالوا لا باس ان يعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب
او سبل فى المسجد وبالجملة فينبغى ان يزيد فى يوم الجمعة
فى اوراد العبادة وانواع الخيرات فان الله سبحانه اذا احب

عبداستعمله فى الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال
واذا مقته استعمله فيها بسيئ الاعمال ليكون ذلك اوجع
فى عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه
حرمة الوقت الفاضل وبالله التوفيق * (مسئلة) حق
على من حضر الصلاة اذا رآى غيره يسىء الصلاة ان ينكر
عليه فان صدر عن جهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك
الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف
والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من
الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل
حيث لايعلمه ولا يكون له الويل الا بترك الفريضة وعن
ابن مسعود رحمه الله انه قال من رآى من يسئ صلاته
ولم ينهه فهو شريكه وجاء فى الحديث ان بلالا كان
يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وينبغى ان
يعاتب تارك الجماعة والمتخلف عنها وقدكان الاولون
يبالغون فى الانكار على ذلك ويستحب ان يقصد يمين
الصف ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل له تعطلت الميسرة فقال عليه
السلام من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر والله
اعلم واحكم

* (الباب السادس) *

فى المندوب اليه من الصلوات اعلم ان ما عدا الفرائض
من الصلوات ينقسم الى اربعة اقسام سنن ومرغوبات
ومتطوعات ومستحبات اما السنن فهو ما نقل عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليها والامر بها

وذلك كصلاة الوتر وصلاة الميت وركعتي الفجر وركعتي
المغرب وركعتي الطواف وصلاة العيدين واما المرغوبات
فهي صلوات ورد الخبر بفضلهن ولم يرد بالمواظبة عليهن
وذلك كصلاة الضحى وصلاة الكسوف والخسوف والزلزلة
وصلاة الاستسقاء وتحية المسجد واما المتطوعات
فكركعات النوافل قبل الظهر وبعدها وقبل العصر
وقبل العشاء وبعدها وكقيام الليل واحياء ما بين
المغرب والعشاء وركوع السحر واما المستحبات فهي ماوراء
هذه الصلوات المذكورة مما لم يرد في عينه خبر ولكنه
يتطوع بها العبد رغبة في مناجات الله تعالى لقوله عليه السلام
الصلاة خير موضوع فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر ومن
هذا النوع صلاة التسبيح وصلاة الاستغفار وصلاة الاجر
وصلاة الدهر وصلاة الرجاء وركعتان بعد الوضوء لئلا
يتعطل وركعتان عند الدخول في المنزل وركعتان عند الخروج
منه وعند السفر والقدوم منه وصلاة الاستخارة وصلاة
الحاجة واشباه ذلك وقد ذكرنا هذه الصلوات وفضائلها
وشرحنا جميع ذلك في كتابنا المسمى بقواعد الاسلام
ولكنا نذكرها هنا فضائل صلوات الايام السبعة ولياليها
لكل يوم وليلة منقول من كتاب الغزالي وبالله التوفيق
اما الايام فنبدا فيها بيوم الاحد وفي كتاب الغزالي
قال وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة بفاتحة
الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله عز وجل له بعدد كل

نصرانی ونصرانية حسنات واعطاه الله ثواب نبی وکتب
له حجة وعمرة وکتب له بکل رکعة الف صلاة واعطاه الله فی
الجنة بکل حرف مدينة من مسك اذفر وعن علی بن ابی
طالب عنه عليه السلام انه قال وحد والله بكثرة الصلاة
يوم الاحد فانه سبحانه واحد لاشريك له فمن صلی يوم الاحد
بعد صلاة الظهر اربع رکعات بعد الفريضة والسنة قرأ فی
الرکعة الاولی فاتحة الکتاب وتنزيل السجدة وفی الثانية
فاتحة الکتاب وتبارك الملك ثم يتشهد ويسلم ثم قام
فصلی رکعتين آخرتين يقرأ فيهما فاتحة الکتاب وسورة
الجمعة ويسئل الله حاجته کان حقا علی الله ان يقضی
حاجته يوم الاثنين روی جابر عن رسول الله صلی الله
عليه وسلم انه قال من صلی يوم الاثنين عند ارتفاع النهار
رکعتين يقرأ فی کل رکعة فاتحة الکتاب مرة وآية الکرسی مرة
وقل هو الله احد مرة والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر
الله تعالی عشر مرات وصلی علی رسوله عليه السلام عشر
مرات غفر الله تعالی له ذنوبه کلها وروی انس بن مالك
عنه عليه السلام انه قال من صلی يوم الاثنين اثنتی عشر
رکعة يقرأ فی کل رکعة فاتحة الکتاب وآية الکرسی مرة ثم
اذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتی عشر مرة واستغفر الله
اثنتی عشر مرة نودی به يوم القيامة اين فلان بن فلان
ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فاول ما يعطی من
الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله
مائة الف ملك مع کل ملك هدية يشيعونه حتی يدور

على الف قصر من نور بيلالا **يوم الثلاثا** روى يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **الاربعاء** ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع الله سبحانه عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدائد يوم القيامة ورفع له من يومه عمل نبي **الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرا في الاولى بفاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي على مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنات **الجمعة** روى

عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الجمعة صلاة مامن عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح اواكثر من ذلك فتوضئ فاسبغ الوضوء وصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحى عنه مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنان ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحي عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له **السبت** روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة واعطاه الله بكل حرف اجر شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء **واما الليالي** فليلة الاحد روى فيها عن انس بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة

وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين خمسين مرة
ويستغفر الله عز وجل مائة مرة ويستغفر لنفسه
ولوالديه والمؤمنين مائة مرة ويصلي على النبي مائة مرة
ويتبرا من حوله وقوته ويلتجئ الى حول الله وقوته ثم
يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله
وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى
روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من
ادعى لله ولدا وبعدد من لم يدعه لله تعالى ويبعثه الله
عز وجل يوم القيامة مع النبيين وكان حقا على الله عز
وجل ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين**
روى عن الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات يقرا في الركعة
الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة
الثانية يقرا الحمد لله مرة وقل هو الله احد عشرين مرة وفي
الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلاثين مرة وفي
الرابعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد اربعين مرة ثم يسلم
ويقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة ويستغفر لنفسه
ولوالديه والمؤمنين خمسا وسبعين مرة ثم يصلي على محمد
صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم يسئل الله
حاجته كان حقا على الله ان يعطيه ما سال وهي تسمى
صلاة الحاجة **ليلة الثلاثاء** يصلي ركعتين يقرا
في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين
خمس عشرة مرة ويقرا بعد التسليم آية الكرسي خمس عشرة مرة

ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة **ليلة الاربعاء**
روى عن فاطمة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى ليلة الاربعاء ست ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد
الفاتحة قل اللهم مالك الملك الخ الآية فاذا فرغ من صلاته
قال سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له
ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار **ليلة
الخميس** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء
ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس
مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات
فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة
وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حقهما وان كان عاقا لهما
فاعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء **ليلة
الجمعة** عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى ليلة الجمعة ما بين المغرب والعشاء اثنتى
عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو
الله احد احدى عشرة مرة فكانما عبد الله تعالى اثنتى عشرة
سنة صيام نهارها وقيام ليلها وعن انس عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء
الاخيرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما
عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد
والمعوذتين مرة مرة ثم يوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه
الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر وعنه

صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة

ليلة السبت

عن انس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة السبت ما بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له والله اعلم واحكم

(فصل) ومن المرغوبات فيها ايضا صلاة رجب وصلاة شعبان اما صلاة رجب فقد ذكر في كتاب الغزالي عن النبي عليه السلام انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسئل الله حاجته في سجوده فانها تقضى ان شاء الله قال عليه السلام لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع في سبعمائة من اهل بيته قال وذكر ان اهل القدس باجمعهم يواظبون

عليها ولا يستحبون تركها والله اعلم واما صلاة شعبان
ففي كتاب الغزالى انها فى ليلة الخامس عشر منه يصلى
مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرا فى كل ركعة بعد
الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات قال وان شاء عشر
ركعات يقرا فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد مائة
مرة قال وكان السلف يصلون هذه الصلاة وربما
صلوها جماعة قال وروى عن الحسن انه قال حدثنى
ثلاثون من اصحاب النبى عليه السلام ان من صلى هذه
الصلاة فى هذه الليلة نظر الله عز وجل اليه سبعين
نظرة يقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة
واما صلاة الحاجة فانه يقال اذا ضاق بالانسان الامر
ومست حاجته فى صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه
فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهب بن الورد انه
قال ان من الدعاء الذى لا يرد ان يصلى العبد اثنتى عشرة
ركعة يقرا فى كل ركعة بأم القرآن وآية الكرسى وقل هو
الله احد فاذا فرغ خر ساجدا وقال سبحان الذى لبس العز
وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى
احصى كل شئ علمه سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى
العز والكرم سبحان ذى الطول والقدرة: اسئلك بمعاقد العز
من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم
وجدك الاعلا وكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا
فاجر ان تصلى على محمد ثم يسئل حاجته التى لا معصية فيها
تجاب ان شاء الله قال قال وهب وبلغنا انه كان يقال

لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية الله
عز وجل كملت قنطرة اسرار الصلاة بحمد الله
وحسن عونه والصلاة على محمد نبيه عليه السلام تتلوها
قنطرة الصوم ان شاء الله *

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم *

القنطرة الرابعة من الكتاب قنطرة اسرار الصوم وظواهره
من كتاب الغزالي وغيره * الحمد لله الذي اعظم على عباده
المنة بان جعل الصوم لاوليائه من الشيطان حصنا وجنة
وفتح لهم من اجله ابواب الجنه وعرفهم ان وسيلة الشيطان
الى قلوبهم هي الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح
النفس مطمئنة والصلاة على نبينا محمد قائد الحق
وممهد السنة وعلى آله وصحبه اهل العقول المرجحة
اما بعد فان الله سبحانه فرض على عباده الصيام
وقدمه على زكاة الاموال لتعلق الصيام بالابدان فكان
في ايجاب الصوم عليهم حثا على رحمة الفقراء واطعامهم
وسد جوعاتهم لما قد قاسوه من شدة المجاعة في حال
صومهم ثم لما في الصوم من قهر النفس واذلالها وكسر
الشهوة المستولية عليها واعلام النفس بانها محتاجة
الى يسير من الطعام والشراب تسد بها فاقتها فكان
الصوم على هذا المعنى قمعا للشهوات ووسيلة الرحمة
والعطف على ذوي الحاجات اذ قال صلى الله عليه وسلم معاشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم

يستطع فليصم فان الصوم له وجاء يعنى خصاء وذلك
كناية عن كسر الشهوة وقيل ليوسف عليه السلام
اتجوع وانت على خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع
فانسى الجائع والصوم سبب للجوع الذى هو منبهة على
رحمة الفقراء وباب للعبادة التى هى وسيلة السعداء
ومقمعة للشيطان الذى هو اعدا الاعداء اذ بواسطة
الشهوة يتوسل الى الاغواء واضلال الاشقياء واذ عظمت
منفعته للعباد وجلت مرتبته فى الشرع الذى هو
زاد المعاد فلنرسم فيه خمسة ابواب الاول فى فضيلته
الثانى فى شروطه الواجبة وسننه المرتبة الثالث فى
مفسداته ولوازم افساده الرابع فى اسراره الباطنة
الخامس فى صوم التطوع وفضيلته *(الباب الاول)*
فى فضل الصوم اعلم ان الصوم دعامة من دعائم الدين
وركن من اركان الاسلام لقوله تعالى كتب عليكم الصيام
الآية ولقوله عليه السلام بنى الاسلام على خمس فذكر
فيهن الصوم ولقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر
والصبر نصف الايمان فكان الصوم على هذا المعنى
ربع الاسلام ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى
من بين سائر الاركان اذ قال تعالى فيما حكى عنه نبيه
عليه السلام كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر امثالها
الى سبعمائة ضعف الا الصوم فان الصوم لى وانا
اجزى به الجنة فارق عبدى شهوته وطعامه وشرابه
من اجلى وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير

حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون
التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى
الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم
اطيب عند الله من ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم
من طريق ابى هريرة انه قال اعطيت امتى فى شهر رمضان
خمس خصال لم يعطها امة قبلهم خلوف فم الصائم اطيب
عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا
وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه الى ما
كانوا يخلصون فى غيره ويزين الله تعالى جنته فى كل يوم
منه ويقول يوشك عبادى الصالحون ان تلقى عنهم
المؤنة والاذى ويصير اليك ويغفر لهم فى آخر ليلة منه
قيل يا رسول الله اهى ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما
يوفى اجره آخر عمله وفى حديث ابن عباس رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الجنة
لتتزين من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان فاذا كان
اول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش
يقال لها المثيرة فتصفق ورق الجنة وحلق المصاريع
فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون احسن منه فتتزين
الحور العين حتى يقمن بين شرافات الجنة فينادين هل
من خاطب الى الله فنزوجوه منا ثم يقلن يا رضوان
فيجيبهن بالتلبية فيقول يا خيرات حسان هذه اول
ليلة من شهر رمضان ويقول الله تعالى يا رضوان
افتح ابواب الجنة للصائمين من امة محمد عليه السلام

ويا جبريل اهبط الى الارض فصفد مردة الشياطين وغلهم باغلال ثم اقذف بهم فى البحر حتى لا يفسدوا على امة محمد صيامهم ولله عزوجل فى كل يوم من رمضان عند طلوع الشمس وعند الافطار الف الف عتيق يعتقهم من النار عبيد ولماء ويعتق فى آخر الشهر مثل ما اعتق من اوله الى آخره وله ملك ينادى من تحت العرش هل من تائب يتاب عليه هل من داع يستجاب له هل من مظلوم ينصره الله هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى سؤاله ويقال اذا كان ليلة القدر يامر الله جبريل عليه السلام فيهبط فى كبكبة من الملائكة الى الارض ومعه لواء اخضر فيركزه على ظهر الكعبة فيسلمون تلك الليلة على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر من امة محمد عليه السلام ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر فينادى جبريل يا معشر الملائكة الرحيل فيقولون يا جبريل ما فعل الله عزوجل فى حوائج امة محمد عليه السلام فيقول ان الله تعالى نظر اليهم وعفا عنهم وغفر لهم الا اربعة قالوا ومن هم قال مدمن على خمر وعاق لوالديه وقاطع الرحم ومشاحن قيل يا رسول الله ومن المشاحن قال الذى لا يكلم اخاه فاذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة فيبعث الله الملائكة فى غداة الفطر فيقومون على افواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق الا الجن والانس فيقولون لامة محمد عليه السلام اخرجوا الى ربكم يعطى الجزيل ويغفر العظيم فاذا برزوا فى مصلاهم يقول

الله تعالى يا ملائكتي ما جزاء الاجير اذا عمل عمله قالوا جزاءه
توفية اجره فيقول الله عز وجل انى اشهدكم يا ملائكتي انى
جعلت ثوابهم من صيامهم رمضان وقيامهم رضاى ومغفرتي
فيقول تعالى يا عبادى سلوني فوعزتي وجلالى لا تسئلوني
اليوم شيئا لدينكم ودنياكم الا اعطيته لكم وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما
فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل وان امرؤ شاتمه او قاتله
فليقل انى صائم وعن سلمان الفارسي رحمه الله
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من
شعبان فقال ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم شهر مبارك
شهر فيه ليلة القدر هى خير من الف شهر جعل الله صيامه
فريضة وقيامه تطوعا من تقرب فيه الى الله عز وجل
بخصلة من خصال الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه وهو
شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة يزداد
فيه فى رزق المؤمن وشهر اوله رحمة ووسطه مغفرة
وآخره عتق من النار من فطر فيه صائما كان كمن اعتق رقبة
وغفرت ذنوبه وسقاه ربه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها
حتى يدخل الجنة قالوا يا رسول الله ليس كلنا ما يجد ما يفطر
به الصائم قال عليه السلام يعطى الله هذا الثواب من فطر
صائما على مدقة لبن او تمرة او شربة من ماء ومن اشبع فيه
صائما كان ذلك مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار وكان
له مثل اجره من غير ان ينتقص من اجره شئ ومن خفف فيه
عن مملوكه اعتقه الله من النار فاستكثروا فيه من اربع

خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى لكم
عنها فاما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان
لا اله الا الله وتستغفرونه لذنوبكم واما الخصلتان اللتان
لا غنى لكم عنها فتسئلون الله الجنة وتتعوذون به من
النار وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال نوم الصائم عبادة
وصمته تسبيح ودعاءه مستجاب وعمله مضاعف وعن
ابى مسعود الانصارى انه قال من صام رمضان فى انصات
وسكوت وذكر الله عز وجل واحل حلاله وحرم حرامه
ولم يرتكب فيه فاحشة الا انسلخ عنه رمضان حين
ينسلخ وقد غفرت ذنوبه كلها وبنى له بكل تسبيحة بها
بيت فى الجنة من زمرد فى جوفها ياقوتة حمراء فى جوف تلك
الياقوتة خيمة من در مجوفة فيها زوجة من الحور العين
وعن ابى مسعود ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لو يعلم العباد ما فى رمضان لتمنوا ان يكون السنة كلها
فقال رجل من خزاعة حدثنا يا رسول الله بما فيه فقال ان
الجنة لتتزين لرمضان من الحول الى الحول فاذا كانت اول
ليلة من الشهر هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق
الجنة فتنظر الحور اليها فيقلن يا رب اجعل لنا فى هذا الشهر
من عبادك ازواجا تقر اعيننا بهم واعينهم بنا فما من عبد
صام رمضان الا زوج زوجة من الحور العين فى خيمة من
در مجوفة كما قال الله تعالى فى كتابه حور مقصورات فى الخيام
وعلى كل امراة منهن سبعون حلة ليس فيهن حلة على لون
الاخرى وتعطى سبعين لونا من الطيب وكل امراة منهن على

سرير من ياقوت احمر منسوج بالدر عليه سبعون فراشا بطائنها من استبرق لكل امرأة سبعون وصيفة هذا في كل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات وعنه عليه السلام انه قال رجب شهر امتي وفضله على سائر الشهور كفضل امتي على سائر الامم وشعبان شهري وفضله على سائر الشهور كفضلي على سائر الانبياء ورمضان شهر الله وفضله على سائر الشهور كفضل الله تعالى على خلقه وعنه عليه السلام انه قال للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وعنه عليه السلام قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وعنه عليه السلام انه قال لكل شئ باب وباب العبادة الصوم وقال نوم الصائم عبادة وروى عن وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية قال هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهات بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب العابد التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال عليه السلام في الصائم يقول الله عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل عملهم الصيام لانه قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصابر

جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان لله تعالى ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادة كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له وانما كان كذلك لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل مشاهد فجميع الطاعات يشاهدها الخلق ويراها الا الصوم فانه لا يراه الا الله عز وجل لانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد والثانى انه قهر لعدو الله عز وجل الذى هو الشيطان فان وسيلته الى اهلاك الانسان هى الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالعطش والجوع وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة رضى الله عنها داومى قرع باب الجنة قالت بماذا قال صلى الله عليه وسلم بالجوع فلما كان الصوم قمعا فنى قمع عدو الله نصرة لله تعالى ونصر الله موقوف على من نصره قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله تعالى ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكثرة الشهوات التى هى مراتع الشياطين ومرعاهم ومادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وماداموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله تعالى وكان محجوبا عن لقائه اذ قال عليه السلام فيما روى عنه لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم

لنظروا الى ملكوت السماء فمن هاهنا صار الصوم باب العبادة وجنة لاهل الزهادة ولن ينال فضله الا من عرف حرمته وصان فيه لسانه عن قبيح الكلام وفضوله وتحفظ فيه عن الكذب ومجاريه واحترز من الغيبة والنميمة وسائر مساويه وحفظ جوارحه كلها من المعاصى ظاهرا وباطنا واصلح طعمته التى بها اصلاح قلبه الذى عليه المدار وكان خائفا من رد صومه وسائر عمله عليه وراجيا لقبوله بفضل الله واحسانه اليه وبالله التوفيق *

(الباب الثانى فى شروطه الواجبة فيه وسننه المرتبة)

وفى هذا الباب فصلان احدهما فى شروطه الواجبة والثانى فى سننه المشروعة فيه *(الفصل الاول)* فى الواجبات وهى ستة احدها مراقبة الشهر فى اوله وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعنى بالرؤية العلم بدخول الشهر ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع ذلك من عدل ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض به القاضى الثانية النية لصومه وقد اختلف فيها على قولين قال بعضهم لا بد فى كل ليلة من نية معينة جازمة وقال آخرون تكفيه نية واحدة من اول ليلة من الشهر ولو نوى الصوم بالنهار لم يجزه للفرض ولا للتطوع وكذلك لو نوى الصوم مطلقا او صوم الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى صوم رمضان فريضة من الله عز وجل عليه ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه لانها ليست

بجازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل فاحتمال
غلط العدل اوكذبه لا يبطل الجزم وكذلك ان استند الى
الى استصحاب حال كالشك فى الليلة الاخيرة من رمضان
فذلك لا يمنع جزم النية وكذلك ان استند الى اجتهاده
كالمحبوس فى المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان يلجتهادم
فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم
ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب والقلب
لا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال فى وسط
رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره
ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع
بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو
نوت فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها الثالثة الامساك
عن ايصال شئ الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم ويفسد
صومه بالاكل والشراب والسعوط من الانف عمدا
ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال المرود
فى الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة ويكره
الاحتقان فى الدبر واما ما يصل جوفه من غير قصد من
غبار الطريق اوذبابة تسبق الى جوفه اوماء سبق الى
جوفه بالمضمضة فلا يفطر بذلك الا اذا بالغ فى المضمضة
اوكان ذلك لغير الوضوء فينبغى ان يكون مفطرا يومه
ذلك لانه متعرض للافطار وهو المراد بقولنا عمدا واما
ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسى فانه لا يفطر
ولكن يستحب له اعادة يوم مكانه واما من اكل عامدا

فطر في النهار ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه قضاء
ذلك اليوم وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه
ولا ينبغي ان يأكل في طرفي النهار الا بغالب ظن واجتهاد
انه من الليل والله اعلم الرابعة الامساك عن الجماع
وحده تغييب الحشفة وان جامع ناسيا فليعد يوما مكانه
وكذلك الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني وجب
عليه الامساك عنه سواء لقصد الجماع او لغيره فان
فعل فقد افطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها
ما لم ينزل المني دون المذي والودي لكن يكره الا ان يكون
شيخا كبيرا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه
احوط واحسن واذا كان يخاف الانزال بالتقبيل ثم قبل
فسبق المني منه افطر لانه متعرض له الخامسة
الاغتسال من الجنابة قبل طلوع الفجر فان جامع او احتلم
ففرط في الغسل حتى طلع الفجر فقد افطر وان لم يفرط
فعليه يوما مكانه وكذلك ان فرط في الغسل نهارا
فقد افطر وان اغتسل في حين علمه بالجنابة فلا يفطر
وكذلك ان كان له عذر في استعمال الماء للغسل ففرط في
التيمم حتى اصبح او في النهار مقدار ما يغتسل فيه فقد افطر
بانهدام ما مضى من صومه يقضيه بلا كفارة السادسة
الامساك عن الكذب والغيبة والنميمة وقول الشرك
وبهتان البريء وقذف المحصن واشباه ذلك من جميع
الكبائر فان كذب او اغتاب مسلما او قذف محصنا او لعن
غير المستحق او ارتد الى الشرك فقد انهدم صومه وكذا

اخراج القئ عمدا يفسد الصوم واما ان ذرعه القئ فلا
يفطر بذلك وكذلك ان ابتلع نخامة او بلغما فلا يفطر
الا ان ابتلع ذلك بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند
بعضهم واما شروط صحة الصوم فهى خمسة الاسلام
والعقل والبلوغ والطهارة من الحيض والنفاس والقدرة
على الصوم وقد شرحنا هذه الشروط فى كتاب
القواعد ولذلك اقتصرنا ههنا على ما لا بد للانسان
منه * (الفصل الثانى) * فى سننه المشروعة فيه
وهى ستة ايضا وهى تاخير السحور وتعجيل الافطار وينبغى
ان يكون بالتمر او الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد
الزوال رطبا كان او يابسا لئلا يقطع خلوف فم الصائم
الذى هو عند الله اطيب من ريح المسك وكذلك الاستنقاع
فى الماء نهارا لكسر العطش مكروه ومن سننه ايضا القيام
فى ليالى رمضان بالجماعة فى المساجد وترك المبالغة فى المضمضة
والاستنشاق لقوله عليه السلام اذا توضأت فابلغ
الا ان تكون صائما ومن فضائل رمضان مدارسة القرآن
فيه والاعتكاف فى المسجد لا سيما فى العشر الاواخر
من رمضان وهى عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا كان اذا دخلت العشرة الاواخر طوى الفراش
وشد المئزر فدأب وأدأب اهله اى اداموا التعب فى
العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها فى اوتار العشر
واشبه الاوتار ليلة احدى وثلاث وخمس وسبع
وليكن الاعتكاف متتابعا ولا يخرج من المسجد الا

لضرورة من قضاء حاجة الانسان او اغتسال او تطهر للصلاة واشباه ذلك مما لا بد منه ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر سوى ما هو فيه لما روى ان النبي عليه السلام كان لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسئل عن المريض الا مارا والله اعلم

(الباب الثالث في مفسداته ولوازم افساده)

اما مفسدات الصوم فهي ترك الواجبات المتقدمة بنفسها من النية وسائر الامساكات عن المفطرة لانه لما كان عقد النية للصوم شرطا في صحته كان قطع النية عن الصوم او اهماله في بدء الامر بغير نية مبطلا للصوم وكذلك امساك الجوارح من جميع ما يفسده شرط في صحته واطلاقها مبطل له ايض وكذلك الغسل من الجنابة والحيض والنفاس شرط في صحة الصوم وترك الغسل مبطل له وبالله التوفيق واما لوازم الافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبيها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل موحد مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر وهم خمسة اصناف احدهم المقيم اذا افطر بعذر ضرورة التنجية فعليه قضاء ما اكل وان افطر بغير عذر فعليه قضاء ما مضى والثاني الحائض والثالث النفساء يقضيان ما اكلا في شوال او في غيره والرابع والخامس المريض والمسافر يقضيان ما اكلا اذا لم يضيعا حتى يستهل عليهما هلال رمضان المقبل واختلف

المفطرات

في

فى المشرك يسلم نهارا فى بعض رمضان فقيل عليه قضاء
ما مضى وقيل لا شئ عليه وكذلك الصبى والمجنون
يبلغ هذا ويفيق هذا فى بعض رمضان فاكثر القول انه
لا قضاء عليهما وصوم القضاء مشروط فيه التتابع
فان افطر فيه متعمدا انهدم ما مضى ولا كفارة عليه
واما الكفارة فلا تجب الا فى الجماع او الاستمناء نهارا
او الاكل والشراب تعمدا وما عدا هذه الوجوه من تضييع
الغسل ليلا حتى اصبح او نهارا قدر ما يغتسل فيه ففيه
الانهدام لما مضى ولا كفارة فيه والكفارة اقل ما
قيل فيها عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين متتابعين
فان عجز فاطعام ستين مسكينا اكلتين مادومتين
حتى يشبعوا ويقولوا اشبعنا وان شاء اكتال لكل مسكين
مدين وهما نصف صاع النبى عليه السلام وقيل هو مخير
فى هذه الكفارة وقيل هى على الترتيب والله اعلم واما
الفدية فتجب على الحامل والمرضع والشيخ الهرم والعجوز
الهرمة والمريض المدنف الذى لا يرجى برؤه فيجب على
هؤلاء الفدية باطعام مسكين كل يوم غداء وعشاء
او فطورا او سحورا الا ان الحامل تطعم من مالها والمرضع
تطعم من مال زوجها ثم تقضيان بعد ذلك اذا امنتا
على ولديهما والمريض والمسافر اذا ضيعا القضاء حتى
يدخل عليهما رمضان المقبل يطعمان ايضا عن كل يوم من
الماضى مسكينا ثم يقضيا نم بعد انسلاخ هذا الحاضر
صوما وبالله التوفيق وان لم يطعما فليوصيا به عند

حضور الموت او قبل ذلك والله اعلم واما الامساك لبقية النهار فيجب على من عصى بالافطار او بالجماع او افطر يوم الشك ثم صح انه من رمضان او الصبي يبلغ او المجنون يفيق او المشرك يسلم فهؤلاء يجب عليهم الامساك اذا انتقلوا عن حالتهم الاولى نهارا في رمضان ولا يجب على الحائض والنفساء اذا طهرتا في بقية النهار ولا على المسافر اذا قدم من سفره مفطرا وان كان ينبغي لهؤلاء ان يتموا بقية النهار صوما والصوم في السفر افضل من الافطار فيه الا ان لم يطق ولكن لا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما من وراء فرسخين ولا يفطر المسافر الا بتبييت نية الافطار من الليل مع مجاوزة فرسخين في غير اليوم الذي خرج فيه وكذلك المريض لا يفطر الا بالنية من الليل مع العجز عن الصوم الا ان طرأ عليه المرض نهارا فاضطر فله ان ينجي نفسه الى الليل ثم يصبح على نية الافطار ان لم يطق الصوم وبالله التوفيق *

(الباب الرابع في اسرار الصوم وشروطه الباطنة)

اعلم ان الصوم في لغة العرب الامساك مجملا سواء كان الامساك عن الطعام او الكلام او غيرهما تقول صامت الريح اذا امسكت عن الهبوب وصامت الخيل اذا امسكت عن الجري والصوم في الشرع الامساك عن المفطرات بنية مخصوصة في زمان مخصوص فانقسم الناس في الصوم على ثلاثة اقسام احدها صوم السفهاء

الجاهلين والثاني صوم الاتقياء الصالحين والثالث
صوم الاولياء الصديقين اما صوم السفهاء الجاهلين
فهو الامساك عن الطعام والشراب والجماع واطلاق الجوارح
فيما سوى ذلك ولا يحفظ احدهم لسانه عن الكذب والغيبة
والنميمة والايمان الكاذبة والفحش وغير ذلك من
موبقات اللسان ولا يحفظ بصره عن النظر الى العورات
ومحاسن النساء الاجنبيات وغير ذلك من اصناف
نظر الشهوات ولا يحفظ سمعه عن استماع الغيبة
وغير ذلك من جميع المحرم من الكلام لان كل ما حرم
التلفظ به حرم الاصغاء اليه وكذلك لا يحفظ حلقه
من اكل الحرام عند الافطار من الصوم وكذلك سائر
الجوارح من اليد والرجل لا يحفظهما عن المعاصي بل
يطلقهما على مقتضى شهوته ثم يفطر وقت الافطار على
الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم
مصرا وفي مثله قال النبي صلى الله عليه وسلم كم من صائم
ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي
يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال
ثم يفطر على لحوم الناس بالغيبة وقيل هو الذي لا يحفظ
جوارحه عن الآثام واما صوم الاتقياء الصالحين فهو
امساك الجوارح عن الآثام وتمامه ستة امور الاول حفظ
اللسان عن الكذب وغيبة المسلم والنميمة بين الناس
واصناف فواحش اللسان من هذيان الكلام والتغني
وغير ذلك ثم الزامه السكوت او يشغله بذكر الله وتلاوة

القرآن فهذا صوم اللسان لانه ان لم يمسك لسانه عن كبائر
اللسان من الكذب والغيبة والنميمة فقد بطل صومه
لما روى عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال خمس يفطرن الصائم الغيبة والنميمة والكذب
واليمين الكاذبة والنظر بشهوة وفي حديث الربيع
ابن حبيب رضي الله عنه باسناده الى ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغيبة تفطر الصائم
وتنقض الوضوء وفي الاثر ان الخصال الخمس المتقدمة
في الحديث يفطرن الصائم وينقضن الوضوء ويهدمن
الاعمال هدما وعن سفيان الثوري انه قال الغيبة تفسد
الصوم وفي كتاب الغزالي عن ليث عن مجاهد قال خصلتان
تفسدان الصيام الغيبة والكذب وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ما صام من ظل يأكل لحوم الناس وفي
حديث آخر من لم يدع فعل المنكر او قال فعل المعاصي فليس
بالله حاجة ان يدع له طعامه وشرابه وفي كتاب الغزالي
قال وجاء الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى
كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال لهما عليه
السلام قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما بضعة لحم غريضا
ودما عبيطا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب
الناس من ذلك فقال عليه السلام هاتان صامتا عما احل
الله لهما فافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احداهما الى

الاخرى فجعلنا نقتا بان الناس فهذا ما اكلنا من لحومهم
الامر الثانى غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل
ما يذم وما لا يحل النظر اليه والى كل ما يشغل القلب ويصد
عن ذكر الله تعالى قال الله سبحانه قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم الآية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
النظرة الى ما لا يحل سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها
خوفا من الله تعالى آتاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وعن
عيسى عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع فى
القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال عليه السلام
خمس يفطرن الصائم فذكر فيهن النظر لشهوة وفى اثر
الفقهاء خمس يفطرن الصائم منهن النظر الى ما لا يحل من
الفروج فصوم العين امساكها عن النظر الحرام والله اعلم
الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم
القول به حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع
وآكل السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت وقال
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت وقال تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث
غيره ثم قال انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم فالسكوت عن انكار
الغيبة وانواع المنكر حرام كما ان فعله حرام الرابع كف
بقية الجوارح من اليد والرجل عن استعمالهما فى المعاصى
والمكاره وكف البطن عن اكل الشبهات وقت الافطار
فلا معنى للصوم عن الحلال والافطار على الحرام وقد تقدم

مثل هذا الصائم وهو كمن يبنى قصرا ويهدم مصرا
وقد ذهب ما شاء الله من العلماء الى ابطال الصوم للمفطر
على الحرام مع تضعيف الكفارات عليه والله اعلم
وهذا لان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم
انما هو تقليل للطعام لتضعف شهوته فالتقليل من
الطعام دواء والكثرة منه داء وتارك الاستكثار من الدواء
خوفا من ضرره اذا تناول من السم كان سفيها هالكا فالحرام
سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره
وقصد الصوم تقليله ولذلك قال عليه السلام رب صائم
حظه من صيامه الجوع والعطش الخامس ان لا يستكثر
من اكل الحلال وقت الافطار حتى يمتلئ فما من وعاء ابغض
الى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من
الصوم قهر الشيطان وقهر الشهوة اذا تدارك الصائم عند
افطاره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى الوان الطعام
حتى استمرت العادات من الناس ان يدخر احدهم جميع
الاطعمة لرمضان فيأكل من الطعام فيه ما يأكل فى عدة اشهر
ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس
على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى
هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات
واشبعت من الشهوات زادت لذتها وتضاعفت قوتها
وانبعثت من الشهوات ما عسى ان تكون ساكنة على حالتها
لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى
التى هى وسائل الشيطان فى قود الانسان الى الشرور ولن

يحصل ذلك الا بالقليل وهو ان يأكل اكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلة فانه لا ينتفع بصومه بل من الادب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم فى ليله قدرة وقوة من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده من العبادة فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت وقد قال تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة ثم قال فيها يفرق كل امر حكيم ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلة من الطعام فهو عن ذلك محجوب ومن اخلا معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب عن قلبه مالم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الامر المطلوب من الانسان المكلف المملوك المستعبد لربه تعالى وبالله التوفيق ومبدا جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتى له مزيد بيان ان شاء الله السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أتقبل صومه فهو من المقربين ام رد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة فرغ منها بل فى جميع حالاته وقد روى عن الحسن بن ابى الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم

الذى فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون اما والله
لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته
وفى كتاب الغزالى اى لكان سرور المقبول يشغله عن
اللعب وحسرة المردود يسد عليه باب الضحك وعن
الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير فان الصيام
يضعفك فقال انى لاعده لشر يوم طويل فالصبر على طاعة
الله سبحانه اهون من الصبر على عذابه فهذه هى المعانى الباطنة
فى الصوم وبالله التوفيق واما صوم الاولياء الصديقين
فهو صوم القلب وامساكه عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية
وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم
بالتفكر فيما سوى الله تعالى واليوم الآخر وبالتفكر فى الدنيا
الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى
قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير
ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق
بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود لانه قيل
سيئات الصديقين حسنات الابرار الصالحين فهذه رتبة
الانبياء والصديقين والمقربين الذين اقبلوا على الله عز وجل
بكلية قلوبهم واعرضوا عما سواه بجميع هممهم امتثالا لقوله
تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فهؤلاء هم الذين
راعوا من الصوم ما يقع به من الله لهم القبول الذى هو
وسيلتهم الى وصول المقصود ففهموا ان المقصود من
الصوم التخلق بخلق من اوصاف الله عز وجل وهو الصمدية
لانه تعالى الصمد الذى يطعم ولا يطعم والاقتداء بالملائكة

فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فان الملائكة منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته وهى ايضا دون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلا بمجاهدته فكلما انهمك فى الشهوات انحط الى اسفل سافلين والتحق بجهلة البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلا عليين والتحق بافق الملائكة الذين هم مقربون من الله تعالى والذى يقتدى بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله تعالى بقربهم فان الشبيه من الشبيه قريب وليس القرب بالمكان بل بالصفات على قدر الامكان فاذا كان سر الصوم هذا عند اهل الالباب واصحاب القلوب فاى منفعة فى تاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات طول النهار وان كان فيه كثير منفعة وجدوى فاى معنى لقوله عليه السلام رب صائم حظه من صومه الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدرداء فيما روى عنه ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقا وسهرهم ولذرة من ذى يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن المعاصى ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه فى المعاصى ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمواقعة الآثام

صومهم

كمن مسح على عضو من اعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في ظاهر العدد الا انه ترك الفرض الذي هو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة منه لاحكامه الاصل وان ترك الفرع ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الاصل والفرع وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلى قوله عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة فلولا انهما من امانات الصوم لما قال عليه السلام وان امرؤ شاتمه او قاتله فليقل اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذن قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات واليك ايها المسترشد الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى حيز ذوي العقول والالباب والله نسئله العون والتوفيق

(الباب الخامس في فضيلة التطوع بالصيام)

اعلم ان استحباب الصوم يتاكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها توجد في كل سنة وبعضها توجد في كل شهر وبعضها توجد في كل اسبوع اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاوائل من ذي الحجة والعشر الاوائل من المحرم

وجميع الاشهر الحرم وهم رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم واما ما يتكرر فى كل شهر فاول الشهر ووسطه
وآخره والايام البيض وهم الثالث عشر والرابع
عشر والخامس عشر واما فى الاسبوع فالاثنين
والخميس فهذه الاشهر الحرم والايام هى زمن الصيام
بعد رمضان وهى اوقات فاضلة يستحب فيها الصوم
وتكثير الخيرات ليضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات
ونحن نحصرها ان شاء الله فى خمسة فصول ليسهل
على الطالب قصدها ويحصل للراغب فضلها *
(الفصل الاول) فى فضيلة يوم عرفة اعلم ان
صوم يوم عرفة مستحب لمن ليس واقفا بعرفة وهو
حاج لما روى عن النبى عليه السلام انه سئل عن صوم
يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والآتية وفى حديث
آخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صام يوم عرفة
غفر الله له سنة خلفه وسنة امامه وروى عن
ابراهيم النخعى انه قال صوم يوم عرفة كفارة سنتين
سنة قبله وسنة بعده وروى عن عطاء ومجاهد
انهما قالا كنا لا نصوم يوم عرفة حتى بلغنا انه كفارة
لهذه السنة والسنة الماضية وصمناه وروى عن
عائشة رضى الله عنها انها قالت ما من يوم فى السنة
احب الى ان اصومه من يوم عرفة وروى انه دخل
عليها رجلان يوم عرفة فقالت يا جارية اخرجى لهما
عسلا فلولا انى صائمة لذقته فقالا يا ام المؤمنين

انما منعنا من صيام هذا اليوم انا خفنا ان يكون يوم النحر
قالت غدا يوم ينحر الناس وجماعة المسلمين واما من
وقف بعرفات فلا يستحب له صيام يوم عرفة لئلا
يضعفه عن الوقوف والدعاء والذكر لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ترك صومه ليتاسى بذلك اهل الموسم
كما ورد فى الحديث ان ناسا تماروا عند ام الفضل بنت الحارث
والدة ابن عباس رضى الله عنه فى صيام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بعضهم هو صائم وقال آخرون ليس بصائم
قال فبعثت اليه ام الفضل بقدح من لبن وهو واقف على
بعيره فشرب وانما فعل ذلك عليه السلام للرفق بالناس
الذين اجهدهم السفر فخاف عليهم ان يضعفوا عن الوقوف
والذكر واما من قوى على صيامه هناك فصيامه افضل
لما روى عن القاسم بن محمد ان عائشة كانت تصوم يوم عرفة
قال القاسم ولقد رايتها عشية يوم عرفة يدفع الامام ثم تقف
حتى يبيض ما بينها وبين الناس من الارض ثم تدعو بشراب
ثم تفطر والله اعلم * (الفصل الثانى فى يوم عاشوراء) *
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود
يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم
الذى اظهر الله فيه موسى وبنى اسرائيل على فرعون فنحن
نصومه فقال عليه السلام نحن اولى بموسى منكم فامر
بصيامه وفى حديث عائشة قالت كان يوم عاشوراء يوما
تصومه قريش فى الجاهلية فكان النبى عليه السلام يصومه

فى الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وامر الناس بصيامه
فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء
فمن شاء صامه ومن شاء تركه ولكن فى صيامه ثواب
واجر عظيم وعنه عليه السلام انه قال يوم عاشوراء يوم
كانت الانبياء يصومونه فصوموه انتم وعن ابى موسى انه
قال يوم عاشوراء يوم تعظمه اليهود تتخذه عيدا فقال
عليه السلام صوموه انتم وعن الاسود بن يزيد انه
قال سالت عبيد بن عمير عن صوم يوم عاشوراء فقال
ان قوما اذنبوا فتابوا فيه فتيب عليهم فان استطعت
الايمر عليك الا وانت صائم فافعل وعن قتادة انه
قال صوم يوم عاشوراء كفارة لما اضاع الرجل من
زكاة ماله قال بعض العلماء يريد انه اخر اخراجها عن
وقت وجوبها بجهالة ولم يرد انه لم يخرجها قال لانه لا يجوز
ان تسقط نافلة فرضا باجماع وعن الزهرى انه كان يامر
بافطار رمضان فى السفر ويصوم يوم عاشوراء فقيل له
فى ذلك فقال بان رمضان له عدة من ايام اخر وان يوم
عاشوراء يفوت وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال للسائل احتسب
على الله كفارة سنة وعنه عليه السلام من طريق ابن
عباس رضى الله عنه انه قال من صام يوم عاشوراء كتب
الله له عبادة ستين سنة صيامها وقيامها ومن صام
يوم عاشوراء اعطى ثواب عشرة آلاف ملك ومن صام
يوم عاشوراء اعطى ثواب الف شهيد ومن صام يوم

عاشوراء اعطى ثواب كل حاج ومعتمر فى ذلك العام ومن
افطر عنده مؤمن فى يوم عاشوراء فكانما افطر عنده جميع
امة محمد صلى الله عليه وسلم ومن اطعم فيه جائعا فكانما
اطعم جميع فقراء امة محمد صلى الله عليه وسلم واشبع بطونهم
ومن مسح فيه على راس يتيم رفعت له بكل شعرة درجة
فى الجنة قالوا يا رسول الله فضل الله يوم عاشوراء على
الايام قال نعم خلق الله السموات يوم عاشوراء وفيه
خلق الجبال وفيه خلق اللوح وفيه خلق القلم وفيه
خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه خلقت حواء وفيه
ولد ابراهيم وفيه نجاه الله من النار وفيه اغرق فرعون
وفيه كشف البلاء عن ايوب وفيه تاب الله على آدم
وفيه غفر ذنب داود وفيه رد ملك سليمان وفيه
ولد عيسى وفيه رفعه الله تعالى وفيه ايضا رفع
ادريس وفيه ولد النبى عليه السلام وفيه تقوم
الساعة ومن طريق آخر عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال فى اليوم العاشر من المحرم يكسى البيت وفيه استوت
سفينة نوح على الجودى وفيه حجت الملائكة البيت
المعمور وفيه تاب الله على قوم يونس وفيه اخرج
الله يوسف من الجب وفيه كسر ابراهيم الاصنام وفيه
جعلت النار بردا وسلاما على ابراهيم وفيه اخرج الله يونس
من بطن الحوت وفيه عبر موسى البحر وفيه اخرج الله
يوسف من السجن وجمع بينه وبين ابيه وفيه رد الله
على يعقوب بصره فمن صام ذلك اليوم فكانما حج واعتمر

سبعين مرة وانفق سبعين الفا في سبيل الله وكانما
صام سبعين سنة وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال من وسع على عياله ليلة عاشوراء وسع
الله عليه سائر السنة قال الراوي فجربنا ذلك فوجدناه
حقا واختلفوا اي يوم هو فقيل هو العاشر من المحرم
وقيل اليوم التاسع منه ولذلك كان بعض الصحابة
يصوم يوما قبله وكان ابن عباس فيما بلغنا يصوم يوم
عاشوراء ويوالي بين اليومين خشية ان يفوته وقيل
انه كان يقول صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود
والله اعلم *(الفصل الثالث)* في العشر الاوائل
من ذي الحجة قال الله تعالى والفجر وليال عشر وقال تعالى
في ايام معلومات وهي الاوائل من ذي الحجة وعن ابن
عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من ايام العمل الصالح فيهن احب الى الله من هذه
الايام يعني ايام العشر قيل ولا الجهاد يا رسول الله قال
ولا الجهاد في سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله فلم
يرجع من ذلك بشيء وفي حديث آخر الا من عقر جواده
واهرق دمه وقيل في قوله تعالى واتممناها بعشر
انها عشر اول من ذي الحجة وفيهم كلم الله موسى وقربه
نجيا وكتب الالواح له فيهن وعن ابي الدرداء انه قال
عليكم بصوم ايام العشر واكثروا الدعاء والاستغفار
والصدقة فيها فاني سمعت النبي عليه السلام يقول
الويل لمن حرم ايام العشر وعليكم بيوم التاسع خاصة

فان فيه من الخيرات اكثر من ان يحصيها العادون
وعن عائشة رضي الله عنها ان شابا كان صاحب سماع
فكان اذا اهل هلال ذي الحجة اصبح صائما فارتفع الخبر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له ما
حملك على صوم هذه الايام فقال له يا نبي الله بابي
انت وامي انها ايام المشاعر وايام الحج فعسى الله ان
يشركني في دعائهم قال عليه السلام فان لك بكل
يوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة
فرس تحمل عليها في سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك
فيه عدل الفي رقبة والفي بدنة والفي فرس تحمل عليها
في سبيل الله وفي حديث آخر ما من ايام العمل فيهن
افضل واحب الى الله عز وجل من ايام عشر ذي الحجة ان
صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه
تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال
ولا الجهاد الا من عقر جواده واهرق دمه قال وبلغنا
ان الله تعالى اهدى الى موسى بن عمران عليه السلام
خمس دعوات في ايام العشر جاء بهن جبريل عليه السلام
اولهن لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير والثانية
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا
فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا والثالثة اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له احدا صمدا لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والرابعة هي الاولى مع

زيادة وهو حي لا يموت والخامسة حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى وذكر ان هذه الكلمات انزلت في الانجيل وان الحواريين سالوا عيسى عليه السلام عن فضلهن وذكر لهم من الفضل والثواب لمن قراهن في ايام العشر ما لا يقدر على وصفه احد والله اعلم وفي بعض الاثر ان رجلا قالهن في ايام العشر فرآى في المنام كان في بيته خمس طبقات من نور بعضها فوق بعض وفي الخبر ان النبي عليه السلام قال في الايام العشر اكثروا فيهن التكبير والتسبيح والتهليل والتحميد فكان ابن عمر فيما بلغنا يكبر فيهن على فراشه ومجلسه وعطا بن ابي رباح يكبر في العشر في الطريق وفي الاسواق قال بعض العلماء من كبر في نفسه كان افضل الا ان اراد اظهار الشريعة وتذكير الناس فلا باس به والله اعلم *(الفصل الرابع)* في صوم ايام من المحرم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صام ثلاثة ايام من شهر المحرم كتب الله له عبادة تسعمائة سنة ويروى عن القاسم بن محمد سئل عن هذه الايام الثلاثة فقال اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من المحرم وعن ابي هريرة ان رجلا سال النبي عليه السلام فقال اي الصوم افضل فقال عليه السلام شهر الله الذي تدعونه المحرم وفي حديث آخر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله تعالى المحرم ولانه ابتداء

السنة فبلاءها على الخير افضل وارجا الدوام بركته
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال صوم يوم من
شهر حرام افضل من صوم ثلاثين من غيره وصوم
يوم من رمضان افضل من ثلاثين من شهر حرام وفى
الحديث من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس
والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة
سبعمائة سنة وروى عن النعمان بن سعيد انه
سال عليا فقال اخبرنى عن شهر اصومه بعد شهر
رمضان قال فصم المحرم فانه شهر الله تبارك وتعالى
فيه تاب الله على قوم ويتوب على قوم ويقال فى اليوم
الثالث من المحرم استجاب الله لزكرياء عليه السلام
ويستحب صومه لان الاجابة ترجى فيه لمن صامه والله اعلم
* (الفصل الخامس) * فى الترغيب فى صيام رجب
وشعبان والايام البيض وغير ذلك وعن انس بن
مالك انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان
وبلغنا رمضان وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
رجب شهر الله الاصم فمن صام يوما منه كان
كصيام سنة ومن صام منه سبعة ايام غلقت
عنه ابواب جهنم السبعة ومن صام منه ثمانية
ايام فتحت له ابواب الجنة الثمانية ومن صام
منه خمسة عشر يوما نادى مناد من عند العرش
استانف العمل فقد كفيت ما مضى ومن زاد زاد الله

له ويقال فى رجب حمل الله نوحا عليه السلام فى
السفينة فصامه نوح وامر من معه ان يصوموه
وجرت به السفينة ستة اشهر وآخر ذلك يوم
عاشوراء وفيه استقرت السفينة على الجودى
فصامه نوح واصحابه شكرا لله تعالى وعن
عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اعظم الليالى اربع ليلة الفطر وليلة
الاضحى واول ليلة من رجب وليلة النصف من
شعبان وزاد بعضهم ليلة عاشوراء ويقال من
قام ليلة من هذه الليالى وصام يومها كتب
الله له اجر شهيد فى حياته وبعد موته وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال رجب شهر الله
وشعبان شهرى ورمضان شهر امتى قيل يا رسول
الله ما معنى قولك شهر الله قال لانه شهر مخصوص
بالمغفرة فيه تحقن الدماء وفيه تاب الله على
انبيائه وفيه انقذ اولياءه من ايدى اعدائه
ثم قال عليه السلام من صامه استوجب من
الله ثلاثة اشياء مغفرة لجميع ما سلف من
ذنوبه وعصمة فيما بقى من عمره وامنا من
العطش يوم العرض الاكبر فقام شيخ ضعيف
فقال يا رسول الله انا اعجز عن صيامه كله فقال
له عليه السلام صم اول يوم منه واوسط يوم
منه وآخر يوم منه فان الحسنة بعشر امثالها

فانك تعطى ثواب من صامه كله واما شعبان
فقد روى ان اسامة بن زيد قال يا رسول الله
رايتك تصوم شعبان صوما لا تصومه الا في
رمضان فقال عليه السلام ذلك شهر يغفل
الناس عنه بين رجب وشهر رمضان ترفع فيه
اعمال الناس فاحب ان لا يرفع عملي الا وانا
صائم وعنه عليه السلام انه قال شعبان
شهري فمن صام فيه ثلاثة ايام لحبي ولختياري
لهذا الشهر كان معي في الجنة كهاتين ثم قرن
بين الوسطى والسبابة وعن عائشة رضي الله
عنها انها قالت كان رسول الله عليه السلام
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم وما رايته استكمل صيام شهر قط
الا رمضان وما رايته في شهر اكثر صياما
منه في شعبان وفي حديث آخر عنها انها
قالت كان عليه السلام يصوم شعبان كله
حتى يصله برمضان وعنه عليه السلام
انه قال من صام اول خميس من شعبان وخميسا
من وسطه وآخر خميس منه كان حقا على الله
ان يدخله الجنة والله اعلم واما الايام البيض
فانها الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
من كل شهر وكان النبي عليه السلام يصومها
ويقول تعدل صيام الدهر وروى عن ابن

عباس رضي الله عنه ان رجلا ساله عن الصيام
فقال لاحدثنك حديثا هو عندى من التحف
المخزونة ان اردت صيام داود خليفة الرحمن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افضل الصيام
صيام اخى داود عليه السلام كان يصوم يوما
ويفطر يوما وان اردت صيام ابنه سليمان
كان يصوم ثلاثة ايام من اول الشهر وثلاثا من
وسطه وثلاثا من آخره وان اردت صيام
عيسى عليه السلام فانه كان يصوم الدهر
فلا يفطر ويقوم الليل فلا ينام وكان يلبس
الشعر وياكل الشعير ويبيت حيث امسى
ولا يحبس شيئا وكان راميا اذا اراد الصيد لم
يخط وكان يمر بمجالس بنى اسراءيل فمن كانت له
اليه حاجة قضاها وكان ينظر الى الشمس فاذا
رآها قد غربت قام فصفن بين قدميه قائما
ليلته حتى يراها قد طلعت فكان هذا شانه
حتى رفعه الله وان اردت صيام امه مريم
فانها كانت تصوم يومين وتفطر يوما وان اردت
صيام خير البشر النبى العربى القريشى ابى القاسم
صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والرسل
فانه كان يصوم من كل شهر ثلاثة ايام ويقول
هى صيام الدهر وهو افضل الصيام وروى
عن كريب انه قال ارسلنى ابن عباس وناس

من الصحابة الى ام سلمة يسئلونها اى الايام كان
النبى عليه السلام فيهن اكثر صياما فقالت
اكثر ما يصوم من الايام يوم السبت و يوم
الاحد ويقول انهما يوما عيد للمشركين فانا احب
ان اخالفهم وعن عائشة ايض عنه عليه السلام
انه كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين
ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس
ومما يستحب صومه ايض يوم سابع وعشرين
من رجب ويوم خامس وعشرين من ذى القعدة
يقال فيه انزلت الكعبة على آدم عليه السلام
وانزلت معها الرحمة فنرجى فيه الرحمة لمن
صامه والله اعلم واما صوم الدهر فهو شامل
لما قدمنا من صيام عدد الايام وغيرها من
الشهور وقد كره ذلك بعضهم لقوله عليه
السلام من صام الدهر فلا صام ولا افطر
والصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر
فى العيدين وايام التشريق فهى الدهر كله
والآخر ان يرغب عن سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى صومه بعض الايام وافطاره
فى بعضها ثم يجعل هو صيام الدهر حجرا لازما
لنفسه ولا يفطر فيه مع ان الله سبحانه يحب
ان تؤتى رخصه كما يحب ان تمتثل عزائمه فاما
اذا لم يكن شئ من هذين الامرين وراى الانسان

صلاح

صلاح نفسه فى صيام الدهر فليفعل ذلك ولا باس به
فقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين انهم فعلوه
وقد روى عن النبى عليه السلام من طريق ابى موسى
الاشعرى انه قال من صام الدهر كله ضيقت عنه
جهنم قيل معناه لم يكن له فيها موضع وروى عن
عبد الله بن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
صوم نوح عليه السلام الدهر الا يوم الفطر والاضحى
وصيام داود نصف الدهر وصيام ابراهيم ثلاثة
ايام من كل شهر صام الدهر وافطر الدهر فصوم داود
عليه السلام هو اشد على النفس واقوى فى قهرها
لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم وقد روى
عن النبى عليه السلام انه قال عرضت على خزائن
الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت يا رب اجوع
يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك
اذا جعت ولهذا قال عليه السلام افضل الصيام
صوم اخى داود عليه السلام فانه كان يصوم يوما
ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن عمر فى الصوم حين قال له الم اخبرك انك
تقوم الليل وتصوم النهار قال بلى قال فلا تفعل نم
وقم وصم وافطر فان لنفسك عليك حقا
ولضيفك عليك حقا وانه عسى ان يطول بك عمر
فحسبك ان تصوم من كل شهر ثلاثة فذلك صيام
الدهر فالحسنة بعشر امثالها قال انى اجد قوة قال

صم من كل جمعة ثلاثة ايام قال اني اطيق اكثر
من ذلك قال صم صيام نبي الله داود عليه السلام
قال وما صوم داود قال نصف الدهر وهو اعدل
الصيام عند الله تعالى وقد روى انه صلى الله عليه
وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان ومن لا
يقدر على صوم الدهر او نصفه فلا باس بثلثه وهو
ان يصوم يوما ويفطر يومين فاذا صام ثلاثة ايام
من اول الشهر وثلاثا من اوسطه وثلاثا من آخره
فهو ثلث واقع في الاوقات الفاضلة فان صام الاثنين
والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث فاذا ظهرت
اوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى
الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهمة
لله عز وجل فاذا فهم ذلك فلينظر الى احواله فقد
يقتضي الحال دوام الصوم وقد يقتضي دوام الافطار
ما خلا الفريضة من الصوم وقد يقتضي مزج الافطار
بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق جده في سلوك
طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح
قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روى
انه عليه السلام كان يصوم حتى يقال لا يفطر
ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم
ويقوم حتى يقال لا ينام وذلك بحسب ما ينكشف
له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات
وقد كره العلماء ان يوالي الانسان بين الافطار

اكثر من اربعة ايام تقدير اليوم العيد مع ايام
التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد
ردى العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمرى
هو كذلك فى حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل
فى اليوم والليلة مرتين او اكثر والله نسئله
التوفيق لما يحبه ويرضاه من القول والعمل
اعلموا ارشدكم الله انى انما اوردت الاحاديث
المتقدمة فى فضل صلاة الايام والليالى وغير
ذلك من احاديث فضل العلم والتعلم وما اوردت
من الاحاديث هاهنا فى فضل رمضان وغيره من
صوم الايام المتقدمة وما سنورده فى الفضائل
ان شاء الله وان كان اكثرها غير مستفيض عند
اصحابنا ولا موثوق بصحتها فانى انما فعلت ذلك
لحديث رايته فى آثار اصحابنا عن ابى عبيدة مسلم
رحمه الله وذلك انه قال بلغنى عن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال من بلغه حديث فى الرغائب
والفضائل فى العمل فاجتهد فيه قال فان كان
الحديث على نحو ما بلغه كان له اجران اجر حفظه
الحديث وطاعته فيه واجر عمله به وان كان
الحديث على غير ما بلغه كان له اجره على نحو ما
بلغه لان الله لا يضيع اجر المحسنين فلا يذهب
اجر اجتهاده لله ونصيحته لربه ما لم يكن اجتهاده
فى بدعة قال الشيخ ابو عبيدة رحمه الله فيما وجدت

عنه اعلم ان المسلم اذا رزقه الله نفسا طيبة
مستقيمة على طاعة الله كلما بلغه شئ
يتقرب به الى الله اجتهد فيه فيكون ما جورا
على نحو ما تقدم قال واذا كان للانسان
نفس خبيثة مل العمل لله واستثقل العبادة
فكان اكثرهم فى الجدال والمراء فاذا بلغه
حديث فيه الرغبة فى العمل عارضه بالقياس
وقال ان هذا ليس بصحيح لان رايه وما يوافق
هواه ما ليس فيه العمل بطاعة الله تعالى
وايض فانى وجدت فى كتب فقهاء قومنا انهم
استسهلوا فى نقل احاديث الرغائب والمواعظ
وقالوا لان ذلك حث على طاعة الله تعالى ودعاء
اليه ورووا فى ذلك حديثا عن ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
قال عنى خيرا قلته او لم اقله فانا قلته ورووا
عن ابى هريرة عنه عليه السلام انه قال
ما بلغكم عنى من قول حسن قلته او لم اقله
فانا قلته قالوا وانما تشدد الائمة من اهل
العلم فى احاديث الاحكام التى بنيت عليها
قواعد الاسلام التى فيها الاوامر والنواهى
والحلال والحرام والحدود والفرائض ولعمرى
لكذلك ينبغى ان تكون ورووا ايض عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال من حدث عنى حديثا

الم اقله مما فيه دعاء الى الله عز وجل فانا قلته
فانى انما بعثت لذلك والله اعلم وينبغى لسامع
هذه الفضائل المروية فى الاحاديث المتقدمة اذا
سمع ما فيها من عظيم الثواب ان لا يستوحش
من مثله ولا يرد ذلك الى عقله لان الذى اعد
الله سبحانه لاوليائه المخلصين من الثواب
المتصل غير المقطوع اعظم من كل منظور اليه
ومسموع وقد قال عليه السلام حكاية عن ربه
عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاين
يقع ما سمع ورىء مما لم يسمع ولم ير وثواب الله تعالى
لعباده على قدر كرمه تعالى لا على قدر عمل
العبد ومنزلته وقد قال تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفى لهم من قرة اعين وكل ما ورد فى هذه
الاحاديث وشبهها من قوله اعطى مثل ثواب
ايوب او مريم او غيرهما من الشهداء والانبياء
فانما معنى ذلك فى شئ دون شئ وفى العمل
المذكور خاصة اذا سلم من الآفات وحفظ منها
فى جميع الحالات لانه غير جائز ان يكون لاحد
من اتباع الانبياء مثل ثواب الانبياء عليهم
السلام وقد قال عليه السلام انا وكافل اليتيم
كهاتين فى الجنة وقرن بين اصبعيه السبابة
والوسطى وهل يتوهم متوهم ان يكون احد

ممن آمن بالنبي عليه السلام واتبعه ان يكون
معه فى درجته ومثل ذلك قول الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين الآية فلو
كان المعنى على ظاهر الآية لاقتضى انهم فى درجات
الانبياء ولهذا قال عليه السلام حين وصف كتاب
الله تعالى ان لكل آية ظاهرا وباطنا وقال لن يتفقه
احدكم كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة
وفى التاويل المتقدم من الباطن الذى هو على غير تاويل
معنى الظاهر وكذلك حديث الرسول عليه السلام
له ايضا ظاهر وباطن ووجه وقفا وانما هلك من
هلك باتباع الظواهر وبالله التوفيق وهو حسبنا
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
كملت قنطرة اسرار
الصدر وتلوه قنطرة
زكاة

م